

روايات
عالمية
للفتيان
نساء صغيرات
لويزا ام الكوت
J
M
الجزء الثاني
A
E
نمير عباس مظفر

روايات
عالمية
للفتيان

نساء صغيرات

الجزء الثاني



فريق التوثيق الألكتروني

نساء صغيرات ـ الجزء الثاني
تأليف : لويزا ام الكوت
ترجمة : نمير عباس مظفر
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٧

الناشر ، وزارة الثقافة والاعلام . دار ثقافة الاطفال
العراق . بغداد : ص . ب ٨٠٤١

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

نساء صغيرات
الجزء الثاني

بقلم لويزا ام الكوت
ترجمة نمير عباس مظفر

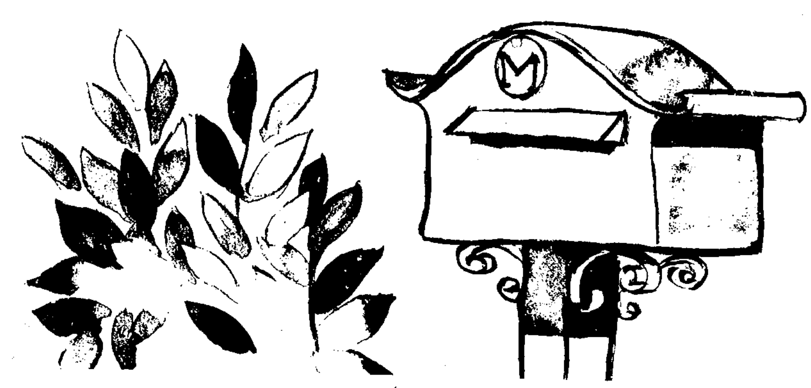


نساء صغيرات

الجزء الثاني



الفصل الثاني عشر



معسكر لورنس

كانت (بيث) هي المسؤولة عن البريد . فبحكم تواجدها في البيت صار بامكانها ادارة شؤونه بانتظام .

وكانت تستسيغ واجبها الذي يتطلب قيامها بفتح الصندوق وجمع مابه من بريد ومن ثم توزيعه . وقد دخلت للبيت في احد ايام شهر تموز ويداها مملوءتان وراحت توزع الرسائل والرزم مثل «البريد البنسي (*)»

«هذه باقة الزهر الخاصة بك يا (مامي)! ان (لوري) لاينسى ابداً ،

(*) «البريد البنسي» – هو احد انظمة البريد العديدة والذي كان يؤمن ايصال البريد لقاء بنسٍ (او بني) واحد عن كل رسالة – المترجم

قالت (بيث) وهي تضع الزهور في المزهرية التي كان موقعها في «زاوية مامي» — والتي دأب هذا الشاب على تأمين ايصالها على نحو منتظم ومستمر لتستقر في «نفس الزاوية».

«الانسة (ميج مارتش)، رسالة واحدة وقفاز واحد» واصلت (بيث) كلامها وهي تعطي اختها نصيبها من البريد وقد جلست الاخيرة هذه بجانب امها وهي تخيط .

«لقد تركت زوجاً من القفازات وها انا ذي استلم فردة واحدة» قالت (ميج) وهي تنظر الى فردة القفاز القطنية ، الرمادية اللون .

«هل اسقطت الفردة الاخرى في الحديقة؟»

«كلا ! اني متأكدة باني لم افعل ذلك . كانت هناك فردة واحدة فقط» .

«كم اكره ان يكون لي فردة قفاز ! لاضرر في الامر . سيتم العثور على الفردة الاخرى ولاشك . ان مضمون رسالتي يحتوي على النص المترجم للاغنية الالمانية التي اردتها . لقد قام السيد (بroوك) بترجمتها اذ ان الخط ليس بخط (لوري)».

ونظرت السيدة (مارتش) الى ابنتها (ميج) التي بدت في غاية الجمال — وهي ترتدي فستانها القطني الصباحي وقد تطايرت خصلات شعرها فوق جبينها — فبدت في غاية الانوثة وهي تجلس امام منضدتها الصغيرة وقد انصرفت كلياً للخياطة .

راحت اصابعها تتطاير وافكارها منشغلة بتصورات بناتية لم تقل طهارة وعذوبة عن الزهور التي ثبتتها في زنارها — وفي اثناء ذلك ابتعد

وعيها عما كان يدور في ذهن امها من افكار الى حد انها ابتسمت من خلالها عن رضى .

«هناك رسالتان للدكتور (جو) اضافة الى كتاب وقبعة قديمة ، مضحكة كانت قد غطت دائرة البريد وبرز جزء منها الى الخارج» قالت (بيث) وهي تضحك حين ذهابها الى غرفة المكتبة حيث جلست (جو) وهي تكتب .

«ياله من شاب مراوغ (لوري) هذا .

فعندما اخبرته باني تمنيت ان يشمل الزي السائد القبعات العريضة لاني احرق وجهي في كل يوم حار ، سألني عن سبب التزامي بالازياء السائدة ونصحني بلبس قبعة عريضة لكي احقق لنفسي الراحة . وقد اجبته بأني لااتوانى عن لبس مثل هذه القبعة لو امتلكت واحدة منها . ولقد ارسل لي هذه القبعة ليختبرني هل سالبسها لمجرد النكتة ام ساثبت له باني لااهتم بالازياء السائدة» قالت (جو) . وبعد ان علقت القبعة القديمة ، ذات الحافة العريضة على تمثال نصفي للفيلسوف الاغريقي (افلاطون) بدأت (جو) تطالع رسالتيها .

كانت احدى الرسالتين من امها .

وقد احمرت وجنتاها اثناء قراءتها ، واغرورقت عيناها بالدموع لان الرسالة خاطبتها :

عزيزتي —اكتب هذه الاسطر القليلة لكي اخبرك باني اتابع جهودك التي تستهدف السيطرة على اعصابك بكثير من الراحة والرضى .

انك لاتتحدثين عن محاولاتك او اخفاقك او نجاحك ولربما تظنين

بعدم وجود من يلاحظ ذلك باستثناء الصديق الذي تطلبين منه الغون والدعم كل يوم، كما يتضح ذلك بصورة جلية من حال غلاف كتاب الهداية الخاص بك، ذلك الغلاف الذي تهرّأ من كثرة الاستخدام. أنا أيضاً قد شاهدت وراقبت محاولاتك، واني اومن من كل قلبي بصدق عزمك سيما وانه قد بدا يثمر. فواصلي جهودك، ياعزيزتي، بصبر وشجاعة ودعيني اؤكد لك عدم وجود من يقف متعاطفاً معك بلطف ورقة اكثر من الموقعة ادناه.

امك الحنون.

«هذا امر عظيم للغاية. انه يساوي الملايين من النقود، وهو أعلى درجات المديح. اعدك ياماه باني احاول، وسأستمر في المحاولة دون سأم لانك موجودة معي ولن تبخلي علي بالمساعدة».

وبعد ان اسندت رأسها على ذراعها بللت (جو) روايتها الغرامية ببعض دموع الفرح التي ذرفتها عيناها لانها كانت تظن بان جهودها لم تلق انتباهاً من احد. وكان لهذا التأكيد اهمية مضاعفة وتشجيع مضاعف لا لانه قد جاء على نحو غير متوقع فحسب، بل لأنه مصدر من الانسان التي كانت (جو) تقيم استحسانها وتقديرها تقييماً عالياً. وبعد ان شعرت انها اقوى من اي وقت، وعلى اتم استعداد لمواجهة ملاك الهاوية، قامت بتثبيت هذه الرسالة داخل سترتها كدرع وكتذكرة لها خشية ان تؤخذ على حين غرة، ثم انصرفت الى فتح الرسالة الثانية وهي مستعدة لتلقي اخباراً سارة او سيئة. وما ان فتحتها حتى وجدت بأن (لوري) قد كتب بما يلي بخط انيق جداً:

عزيزتي (جو)
ماذا هناك!

سيزورني غداً بعض الفتيات والفتيان الانكليز وقد قررت أقضي وقتاً ممتعاً . فاذا كان الجو صحواً فسانصب خيمتي في (لونجميدوو) وسانقل الجميع في قارب الى المكان المذكور حيث سنتناول طعام الغداء ونلعب (الكروكي[*]) .

فهم اناس لطيفون للغاية وتستهويهم مثل هذه السفرة . سيرافقنا (برووك) ليقوم برعايتنا ويؤمن حسن تصرفنا ، كما سترافقنا ايضاً (كايتي فون) التي ستعزف للفتيات .

اطلب منكن جميعاً الحضور ولابد حضور (بيث) التي لن تجد من يقلق راحتها او يضايقها باي شكل . لاتقلقي بشأن المؤونة فسوف اعالج هذا الجانب والجوانب الاخرى كذلك . ان المطلوب هو حضوركن فقط الذي ارجو ان يتحقق ياصديقي العزيز . سأتركك الآن لأني في غاية العجلة.

المخلص

لوري

«هذا هو الكرم» صاحت (جو) وهي تنطلق لتخبر (ميج) يالتفاصيل . «يمكننا الذهاب طبعاً ياماه اليس كذلك؟ سنتمكن من مساعدة (لوري) لاني استطيع تجديف القارب وستشرف (ميج) على ترتيبات الطعام ، كما يمكن للصغيرتين مساعدتنا بشكل ما» .

(*) الكروكي – لعبة بالكرات الخشبية – المترجم

«آمل ان لايكون الاخوان (ثون) واختاهما كبار السن. هل تعرفين اي شيئ عنهم؟» سألت (ميج) .

«اعلم فقط انهم اربعة اشخاص : (كيت) هي اكبر منك سناً اما التوأمان (فرانك) و (فريد) فهما بعمري تقريباً وهناك كذلك أختهم الصغيرة (جريس) التي تبلغ التاسعة او العاشرة من عمرها . لقد تعرف عليهم (لوري) عندما كان تلميذاً خارج البلاد وقد احب الاخوين . كما اتضح لي من الطريقة التي يزم بها (لوري) شفتيه كلما ذكر سيرة (كيت) بانه لايميل اليها كثيراً» .

«يسرني بان فستاني المصنوع من قماش فرنسي مطبوع نظيف وجاهز . انه لائق لهذه المناسبة كما انه الزي السائد الآن» .

علقت (ميج) بارتياح . «هل لديك فستان لائق؟»

«ان بدلتي الرمادية والقرمزية الخاصة بركوب الزوارق والقوارب هي جيدة بالقدر الكافي بالنسبة لي . ساقضي وقتي في التجديف وفي التنزه وبذلك لن اكون بحاجة الى فستان.

انيق منشى . هل سترافقينا يا (بيث)؟»

«اذا ماستطعت منع الصبيان من التحدث معي» .

«بدون استثناء ! »

«يسرني ارضاء (لوري) كما انني لا اهاب السيد (برووك) فهو لطيف ومجامل للغاية .

ولكنني لا اريد اللعب او الغناء او الحديث . ساعمل بجد ولن اقلق احداً وسوف تقومين برعايتي يا (جو) ولذلك اوافق على الذهاب» .

«يالك من فتاة لطيفة . حاولي ان تقضي على خجلك وسأكون ممتنة لك . ان تجاوز الاخطاء ليس بالامر السهل وأنا أدرك ذلك جيداً، إلا أن كلمة تشجيع يمكنها أن تكون حافزاً شكراً ياماه» قالت (جو) ثم مالت لتطبع على ذلك الخد النحيف قبلة تعبر عن الامتنان كانت بالنسبة للسيدة (مارتش) اغلى من اي شيء آخر .

«استلمت صندوقاً من الشوكولاته والصورة التي أرادت نقلها» قالت (ايمي) وهي تعرض بريدها امام الجميع .

«اما انا فقد استلمت رسالة من السيد (لورنس) يطلب مني زيارته مساء اليوم ، وقبل حلول الظلام لغرض قيامي بعزف بعض المقطوعات الموسيقية وقد قررت الذهاب» . اضافت (بيث) التي كانت صداقتها بالرجل العجوز تزدهر على نحو رائع .

«هيا بنا للقيام باعمال مضاعفة اليوم لنتمكن من التمتع غداً بضمائر مرتاحة» قالت (جو) وهي تستعد لاستبدال قلمها بمكنسة .

وعندما نفذت اشعة الشمس الى غرفتي الفتيات في وقت مبكر من صباح اليوم التالي ، لتبشرهن بيوم مشمس جميل ، فانها شهدت منظراً مضحكاً .

لقد قامت كل واحدة منهن بالتهيؤ لهذه السفرة كما بدا لها لائقاً وضرورياً في آن واحد . فقد وضعت (ميج) صفاً اضافياً من الاوراق الملفوفة على جبينها بينما دهنت (جو) وجهها المبتل بمرهم ملطف للبشرة . وكانت (بيث) قد دعت دميتها (جوانا) لمشاركتها فراشها تكفيراً عن الفراق المرتقب ، بينما وضعت (ايمي) على انفها مشبك غسيل لكي ترفع

هذا الجزء الجارح من ملامح وجهها . وكان المشبك هذا من النوع الذي يستعمله الفنانون لتثبيت الاوراق على لوحات الرسم وبذلك فقد كان لائقاً وفعالاً للغرض الذي استخدم من اجله . لقد راق للشمس ، على مابدا ، هذا المنظر المضحك اذ انها سرعان ما اندفعت بتألق افاق (جو) التي افاقت بدورها اخواتها عندما انفجرت ضاحكة بعد ان شاهدت منظر (ايمي) .

كان الضحك وضياء الشمس نذيري خير لمجموعة قصدت المتعة والبهجة . وسرعان ماعم المنزلين نشاط صاخب . وكانت (بيث) – التي انتهت قبل اخواتها – تفيد اخواتها باخبار بيت الجيران وقد كان لاخبارها المنقولة من الشباك اثرها الفاعل في حث اخواتها على الاسراع في استعداداتهن .

«ها قد ذهب الرجل المسؤول عن الخيمة!

ارى السيدة (باركر) وهي تضع طعام الغداء في سلة كبيرة . والآن بدأ السيد (لورنس) ينظر الى السماء ثم الى ديك الرياح(*) . ليته يذهب معنا هو الآخر كذلك . وها هو (لوري) الذي بدا كبحار . صبي لطيف . ياالهي! ها قد وصلت مركبة مملوءة بالناس: سيدة طويلة القامة ، فتاة صغيرة وصبيان مقرفان . احدهما اعرج . مسكين . انه يتوكأ على عصاة . لم يخبرنا (لوري) عن هذا الجانب.

هيا ايها الفتيات عليكن بالاسراع . الوقت يدركنا .

ديك الرياح: اداة على شكل ديك توضع. اعتيادياً فوق سطوح المنازل او في اماكن عالية لاظهار اتجاه الرياح.

هاهو (نيد موفيت)! ماهذا! انظري ، يا (ميج) اليس هذا هو الرجل الذي انحنى لك محيياً في احد الايام عندما كنا في السوق؟»

«اجل انه هو بالذات . ماأغرب هذه الصدفة.

ظننته يقضي فترة في المناطق الجبلية . وهذه هي (سالي) . يسرني انها قد عادت في الوقت المناسب . هل ابدو بمظهر لائق يا (جو؟)» صاحت (ميج) مهتاجة .

«انك زهرة ربيع بحق . امسكي فستانك وضعي قبعتك بصورة معتدلة .

انها تبدو اكثر رقة وجمالاً اذا ماامِلتها بهذا الاتجاه ولكنها ستطير عند هبوب اول نسمة هواء . هيا اسرعن ايتها الفتيات» .

«ماهذا يا(جو)! انك لن تقومي بلبس هذه القبعة القبيحة؟ انها مضحكة للغاية! عليك تفادي الظهور بمظهر الصبيان» احتجت (ميج) عندما قامت (جو) بتثبيت القبعة العتيقة الطراز ، ذات الحافة العريضة ، بشريط احمر .

وكانت هذه القبعة تلك التي كان (لوري) قد بعثها لها من باب النكتة

.

«بل سألبسها لانها تجلب الانظار اضافة الى انها خفيفة الوزن ، كبيرة وتؤمن لي مقدار الظل الكافي . ستستقطب العديد من الملاحظات اللاذعة . ولايهمني الظهور بمظهر الصبيان اذا ماأمن لي هذا الزي ماأطلب من الراحة» . وما ان انتهت من كلامها هذا حتى خرجت (جو) من الغرفة لتتبعها بقية اخواتها . وقد بدت النساء الصغيرات مجموعة

لطيفة من الاخوات اللواتي ظهرن بابهى حلة ، وهن يلبسن الملابس الصيفية وقد بدت الفرحة واضحة على وجوههن التي غطتها حافات القبعات .

هرع (لوري) لاستقبالهن ولتعريفهن بأصدقائه بطريقة ودية ومهذبة للغاية . وقد تحولت الحديقة الى غرفة استقبال حيث دارت احداث مشهد مثير مفعم بالحياة . وقد ابتهجت (ميج) عندما لاحظت بان ملابس الانسة (كيث) – بالرغم من بلوغ هذه الانسة سن العشرين – قد اتصفت ببساطة يستحسن بالفتيات الأمريكيات ان تحذو حذوها .

كما سرت (ميج) سروراً عظيماً عندما اكد لها السيد (نيد) بانه قد جاء خصيصاً للقائها . وقد ادركت (جو) سبب قيام (لوري) بزم شفتيه كلما ذكر اسم (كيث) او سيرتها لانها كانت تغالي في التصنع بعكس بقية الفتيات اللواتي تصرفن تصرفاً طبيعياً .

واخذت (بيث) تلاحظ الصبيان الجدد لتقرر بعد ذلك بان الاعرج الذي بينهم لم يكن «مقرفاً» بل كان رقيقاً ، ضعيف البنية ولذلك عزمت على ملاطفته ومعاملته برقة . وقد وجدت (ايمي) بان (جريس) كانت انساناً صغيرة ، مؤدبة ومرحة . وبعد تهيب لم يدم سوى لحظات وجد الجميع انفسهم يمتزجون مع بعضهم ليصبحوا اصدقاء .

كانت الخيم وطعام الغداء وعدة لعبة (الكروكي) قد ارسلت مسبقاً . وسرعان ماركب هذا الجمع قاربين كانا بانتظارهم منطلقاً في طريقه تاركاً السيد (لورنس) العجوز يلوح بقبعته من الشاطئ . وقد قام (لوري) و (جو) بتجديف احد القوارب بينما تولى السيد (بroوك) و (نيد) القارب

الآخر. اما (فريد فون)، احد التوأمين، فقد حاول جهده قلب الزورقين من خلال تحريك يديه وقدميه مثل حشرة ماء مشوشة. وقد استحقت قبعة (جو) كلمة ثناء لما قدمته من خدمة عامة - فهي لم تحقق كسر طوق الجمود والتهيب من خلال مااثارته من ضحك فحسب بل انها قامت كذلك بتوليد نسمات منعشة من خلال رفرفتها بفعل تجديف (جو)، كما كان بامكانها ان تكون مظلة ممتازة لكل هذا الحشد من الناس اذا ما امطرت السماء. وقد نظرت (كيت) الى (جو) وتصرفاتها بشيء من التعجب لاسيما عندما كانت الاخيرة هذه تصرخ بعبارة (كرستوفر كولومبوس) عندما افلتت المجداف من يدها، وحين قال لها (لوري) مخاطباً: «هل آذيتك ياصديقي العزيز؟» وذلك عندما عثر بقدمها اثناء انتقاله الى مكانه. ولكن بعد ان ان وضعت الانسة (كيت) نظاراتها لتتفحص هذه الفتاة الغريبة بتأنٍ، ولمرات عديدة، قررت انها كانت «فتاة غريبة الاطوار ولكنها ذكية» ثم ابتسمت لها عن بعد.

كانت (ميج) في القارب الثاني وقد جلست وجهاً لوجه امام الجذافين الذي راقها هذا المنظر فاخذا يحركان المجدافين بفن ومهارة. وكان السيد (برووك) رجلاً وقوراً، صموتاً ذا عينين بنيتي اللون، جميلتين وصوتٍ دافئٍ. وقد اعجبت (ميج) بتصرفاته الهادئة واعتبرته دائرة معارف متنقلة تحتوي على الكثير من المعلومات المفيدة. لم يكلمها السيد (برووك) كثيراً ولكنه كان يطيل النظر اليها وكانت هي على ثقة تامة بانه لايكن لها سوى التقدير والاعجاب. اما (نيد)، الطالب الجامعي، فقد تصرف بطبيعة الحال التصرف الذي يعتبره طلاب الصف الاول

الجامعيين لائقاً وامراً لابد منه ، لم يكن (نيد) حكيماً في تصرفه ولكنه كان دمث الاخلاق وانساناً ممتازاً في مثل هذه المناسبات ، وقد انشغلت (سالي جاردنر) في محاولة الابقاء على نظافة فستانها ما استطاعت والتحدث الى (فريد) الذي كان في كل مكان والذي ارعب (بيث) باستمرار بفعل ما جادت به قريحته من حيل ومكائد .

لم يكن الطريق الى (لونجميدوو) طويلاً . وفي الوقت الذي وصلت فيه هذه المجموعة كانت الخيم قد نصبت كما تمّ تثبيت القوائم الخاصة بلعبة (الكروكي) . وكان (لونجميدوو) حقلاً واسعاً ، اخضر اللون انتصبت في وسطه ثلاثة سنديانات وفيرة الظل واشتمل على مجال ملائم لممارسة لعبة (الكروكي) .

«مرحباً بكم في معسكر (لورنس)» ، قال المضيف الشاب بحركة دلت على مقدار فرحه في اثناء نزول الضيوف من القاربين .

«ان (برووك) هو القائد العام وانا الضابط المسؤول عن امور التموين والاعاشة والآخرين هم ضباط الاركان . اما انتن ، ايتها السيدات المهذبات ، فتشكلن مجموع افراد الجيش . لقد وضعت الخيمة هذه لاستخدامكن وستكون غرفة استراحتكن تحت ظلال تلك السنديانة . وسيكون المطعم تحت السنديانة الثانية وسيحتل المطبخ المجال الذي تظلله السنديانة الثالثة . فدعونا نبدأ لعبة (الكروكي) الآن قبل اشتداد الحر وسنقرر موعد تناول الغداء لاحقاً» .

جلست (بيث) و (إيمي) و (جريس) بصحبة (فرانك) لمشاهدت اللعبة التي اشترك فيها البقية . وقد اختار السيد (برووك) و (ميجٍ) و

(كيت) و (فريد) ليشكل منهم فريقه ، بينما اختار (لوري) كلا من (سالي) و (جو) و (نيد) . لعب الانكليز بصورة جيدة ولكن الامريكيين كانوا افضل منهم وقد حافظوا على كل شبر من ارضهم بعزم وقوة وكأن روح عام (١٧٧٦) قد ألهمتهم . وقد حدثت بين (جو) و (فريد) عدة مناوشات كادت تصل احداها الى السب والشتم : كانت (جو) قد وصلت الوتد الاخير ولكنها اخفقت في تسديد الضربة المناسبة الامر الذي ازعجها الى ابعد حد . وكان (فريد) خلفها ولكنّ دوره قبلها . وعندما ضرب الكرة فانها اصابت الوتد وتوقفت مسافة إنج واحد في الجهة المخالفة . ولم يكن هناك احد قريب من ذلك المكان ولذا فانه قام بتسديد ضربة خفيفة ، مراوغة الى الكرة بقدمه دفعتها مسافة انج داخل الجهة الصحيحة .

«لقد انتهيت ! والآن ياآنسة (جو) سأصفي امري معك وسأنتهي قبلك» ، صاح هذا السيد الشاب وهو يهز مضربه استعداداً لتسديد ضربة اخرى .

«لقد دفعت كرتك بطريقة غير مشروعة . وقد شاهدتك تقوم بذلك . لقد حان دوري لتسديد الضربة الآن» ، صاحت (جو) بحدة .

«أوكد لك اني لم احركها ابداً .. لقد تدحرجت تلقائياً وهو امر مباح . فارجو منك الوقوف جانباً لاتمكن من الاستمرار في اللعب» .

«اننا لانغش في اللعب هنا في امريكا ، ولكن بامكانك القيام بالغش ان اردت ذلك» ، قالت (جو) بعصبية .

«ان الامريكيين اكثر مراوغة وخداعاً من غيرهم ، وهذا امر معروف

عنهم» ، اجاب (فريد) وهو يدفع بكرتها بعيداً .

فتحت (جو) فمها استعداداً للتفوه بشيء فظ ولكنها سيطرت على نفسها في الوقت المناسب . واحمر وجهها وهي تقف لحظة وتضرب الارض بمضربها بكل مااوتيت به من قوة بينما سدد (فريد) ضربته التي ارادها واعلن انتهاءه بكثير من الفرح . وذهبت (جو) لالتقاط كرتها ولكنها لم تعثر عليها بين الاحراش إلا بعد مضي فترة طويلة من الوقت . وعندما عادت كانت قد تمالكت اعصابها وبدت هادئة جداً وهي تنتظر دورها بصبر . ولم تعد الى المركز الذي فقدته إلا بعد قيامها بتسديد العديد من الضربات ، وعندما وصلت الى ذلك المركز كان الفريق الآخر على وشك الفوز بالمباراة لان كرة (كيت) كانت قبل الاخيرة وكانت قرب الموقد .

«لقد انتهت المباراة بحق القديس (جورج) وقد فزنا الوداع يا (كيت) . ان الآنسة (جو) مدينة لي بضربة وبذلك ستسددين انت الضربة النهائية» ، صاح (فريد) بأثارة اثناء تجمع اعضاء الفريقين لمشاهدة النهاية .

«يميل الامريكيون الى استخدام خدعة تكريم اعدائهم» ، قالت (جو) وهي ترمق الصبي بنظرة جعلت وجهه يحمر ، ثم اضافت «لاسيما عندما يفوزون على هؤلاء الاعداء» قالت ذلك وهي تحقق الفوز بحركة ذكية دون ان تمس كرة (كيت) .

قذف (لوري) قبعته في الهواء ، ولكنه تذكر فجأة ان ابتهاجه باندحار ضيوفه يخرج عن حدود اللياقة ولذلك كتم هتافه وهمس في اذن

صديقته قائلا : «احسنت يا (جو) . لقد غش فعلاً وقد رأيته بنفسي . لا يمكننا ان نقول له ذلك ولكني اعدك بانه لن يكرر هذا العمل ثانية» .

وجرت (ميج) اختها جانباً ، بحجة اعادة تثبيت احدى ضفائرها ، لتقول لها باستحسان : «كان تصرفاً استفزازياً للغاية ولكنك تمكنت من السيطرة على اعصابك وهذا ما يسرني للغاية يا (جو)» .

«لاتثني علي يا (ميج) فبامكاني ضربه في اية لحظة . لو لم ابق بين الشجيرات والاحراش فترة من الزمن ، تمكنت فيها من تمالك اعصابي واستعادة هدوئي ، لما تمكنت من تجاوز هذه الازمة . اني لاازال غاضبة فارجو ان يتركني لشأني» ، اجابت (جو) وهي تعض على شفتها وتنظر شزراً الى (فريد) من تحت قبعتها .

«حان وقت الغداء» ، قال السيد (برووك) وهو ينظر الى ساعته . «عليك اشعال النار وتهيئة الماء ، يا ضابط التموين والاعاشة ، بينما نقوم انا والانستين (مارتش) و (سالي) باعداد المائدة . من يستطيع صنع قهوة جيدة؟» .

«(جو) تستطيع ذلك !» ، قالت (ميج) وهي فرحة بتزكية اختها . وبعد ان شعرت (جو) بان تجربتها السابقة في مجال الطبخ ستكون خير عون لها ، تقدمت لاستلام ابريق القهوة بينما قام الاطفال بتجميع شيئ من الحطب واستعد الصبيان لاشعال النار وجلب الماء من الينبوع القريب . اخذت الانسة (كيت) تخطط بينما انشغل (فرانك) في حديث مع (بيث) التي انهمكت في صنع جدائل من الاسل لاستخدامها كصحون للاكل .

وسرعان ما مد القائد العام ومرافقوه السماط ووضعوا عليه تشكيلة شهية من المأكولات والمشروبات بعد ان تم تزيينها بالاوراق النباتية الخضر. وما ان اعلنت (جو) بان القهوة جاهزة حتى جلس الجميع لينضموا الى وجبة لذيذة . فالشبان لايعانون من سوء الهضم إلا نادراً ، كما ان ممارسة التمارين الرياضية تزيد الرغبة في الطعام . وكان غداءً مرحاً للغاية فقد بدا كل شيئ نقياً ، منعشاً ومضحكاً وقد افزعت عواصف الضحك التي كانت تهب بين الفينة والفينة حصاناً جليل المظهر كان يقتات بالقرب منهم . وقد عكست هذه المائدة العامرة نوعاً من عدم المساواة الذي بعث على السرور وادى بدوره الى اضطرار الصحون والفناجين لمواجهة بعض المحن : فقد سقطت بعض البلوطات في الحليب واشتركت مجموعة من النمل الاسود الصغير في تناول المرطبات بلا دعوة مسبقة كما انقض عدد من الأساريع من الشجرة لاكتشاف ما كان يدور هناك من امور ، ومن وراء السياج ، برزت رؤوس بيض لثلاثة اطفال اخذت تنظر الى المجتمعين بفضول ، بينما اعترض على وجودهم كلب ملأ الدنيا بنباحه من موقعه عبر النهر .

«هذا ملح ان كنت تفضلين استعماله» ، قال (لوري) وهو يناول (جو) صحناً من التوت .

«شكراً افضل اكل العناكب» ، اجابت وهي تلتقط عنكبين صغيرين كانا قد القيا بنفسيهما بتهور وسط هذا المزيج المهلك من التوت والقشطة . «كيف تجرؤ على تذكيري بتلك الدعوة سيئة الصيت في الوقت الذي تُحقِقُ فيه دعوتك الكمال من جميع الجوانب» ، اضافت

(جو) وهما يضحكان ويأكلان من نفس الصحن لشحة عدد الصحون الموجودة .

«لقد تمتعت كثيراً في دعوة الغداء تلك التي اقمتها ولاتزال تفاصيلها تدور في مخيلتي . اما هذه الدعوة فانها لم تتم بفضل جهودي او تدبيري اذ لم اقم باي شيئ لتحقيقها . ان الفضل في نجاحها يعود لك ولـ (ميج) و (بروك) وأنا ممتن لكم جداً . ياترى ماذا سنفعل بعد ان نعجز عن تناول المزيد من الطعام؟» تساءل (لوري) وهو يشعر بانه قد لعب ورقته الرابحة الاخيرة بانتهاء الغداء..

«لنمارس بعض الالعاب حتى يصبح الطقس أقل حرارة لقد جلبت معي «المؤلفين» وهي لعبة مسلية جداً ، ولابد ان لدى الآنسة (كيت) بعض الافكار الجيدة في هذا المجال ، ولاتنسَ انها ضيفتك وعليك ان تقضي بعض وقتك بصحبتها» .

«الست ضيفتي كذلك؟ ظننتها تليق بـ (بروك) الا انه يستمر في مسامرة (ميج) و (كيت) تراقبهما من خلال نظارتها التي تثير السخرية . اني ذاهب الآن وعليك التوقف عن المواعظ والارشادات بخصوص التصرف اللائق اذ لايمكنك تطبيق مواعظك يا (جو)» .

كانت الآنسة (كيت) في الواقع تعرف الكثير من الالعاب المسلية . ولرفض الفتيات اكل المزيد ، وعدم تمكن الصبيان من الاستزادة ، جلس الجميع للاشتراك في لعبة «ريجمارول»* .

«يبدأ احدنا براوية قصة – اي كلام فارغ يريد قوله – ويتحدث

* تعني عبارة (ريجمارول) باللغة الانكليزية الاسلوب او الاجزاء المعقد .

بالقدر الذي يريده ولكن عليه التوقف عند نقطة تثير فضول المستمعين وتستأثر باهتمامهم . ثم يقوم شخص آخر بمواصلة الرواية ليفعل بعد ذلك ما فعله الشخص الذي سبقه . ستجدون ان اللعبة في النهاية لاتخلو من مرح وتسلية اذ انها تحوي الكثير من الجوانب المضحكة . والآن ارجو ان تكون انت البادئ يا سيد (بروك)» ، قالت (كيت) بلهجة أمر اذهلت (ميج) التي كانت تكن لهذا المعلم احتراماً بالغاً .

وهكذا قام السيد (بروك) ، الذي كان مستلقياً على العشب عند قدمي فتاتين من المدعوات ، بالابتداء برواية قصة وقد ركز عينيه البنيتين ، الجميلتين على صفحة ماء النهر الساطعة .

«في سالف العصر والاوان انطلق فارس في ارجاء الدنيا طلباً للرزق اذ لم يكن يملك من طعام الدنيا سوى سيفه وترسه . وبعد ان قطع مسافات شاسعة وسار في بقاع الارض فترة قاربت ثمانية وعشرين عاماً قاسى خلالها الامرين وصل بلاط احد الملوك الصالحين الذي كان قد حدد جائزة لمن يتمكن من ترويض وتدريب مهر غير مروض كان مولعاً به للغاية . وقد وافق الفارس على القيام بمحاولة تحقيق هذه المهمة وبدأ العمل بتمهل تشوبه الثقة . وكان المهر هذا مخلوقاً شهماً وسرعان ما تعلم حب سيده الجديد بالرغم من طبيعته الجامحة ونزواته الغريبة . ومن خلال قيامه بتلقين هذا المهر المدلل من قبل الملك درسه اليومي . كان الفارس يركب على ظهره ويدور به في اطراف المدينة . وفي اثناء ذلك كان يجول بانظاره بحثاً عن وجه جميل معين ، كان قد شاهده في احلامه مرات عديدة ، ولكن دون جدوى . وفي احد الايام ، بينما كان راكباً

جواده في شارع هادئ شاهد الوجه الجميل يطل من احدى نوافذ قلعة متهدمة . فتملكه الفرح ، وتساءل عن سكان هذه القلعة فقيل له انها تضم عدداً من الاميرات اللواتي احتجزن هناك بسحر وقضين وقتهن بالغَزْل ليوفرن مبالغ عالية كافية تؤمن لهن الحرية . ولكن الفارس هذا كان معدماً ولم يسعه سوى الذهاب يومياً ليترقب ظهور ذلك الوجه الجميل ورؤيته في ضوء الشمس . واخيراً قرر الدخول الى القلعة لكي يفهم كيف يكون بامكانه مساعدتهن فذهب الى الباب وطرقها فانفتحت ليجد امامه «سيدة في غاية الجمال ما ان شاهدته حتى صاحت صيحة طرب ونشوة : «اخيراً ! اخيراً !» واصلت (كيت) كلامها وكانت قد قرأت روايات فرنسية اعجبت باسلوبها . «انها هي بعينها» ، صاح الكونت (غوستاف) وترامى على قدميها بنشوة فرح . «انهض بالله عليك» ، قالت وهي تمد له يداً كالمرمر .

«لن اقف حتى تخبريني كيف يتسنى لي انقاذك» ، قال الفارس وهو لايزال جاثياً . «واحسرتاه ! لقد شاء حظي العاثر ان ابقى هنا حتى يهلك طاغيتي» . «واين هذا الوغد؟» «في الصالة البنفسجية . فاذهب ايها القلب الشجاع وانقذني من يأسي» . «سمعاً وطاعة وسأعود اما ميتاً او منتصراً» . بهذه العبارات المثيرة انطلق ذاهباً . وما ان فتح باب الصالة البنفسجية بعنف واوشك على الدخول حتى تلقى ضربة صاعقة من معجم اغريقي قذفه به رجل يرتدي قفطاناً أسودَ» ، قال (نيد) . «وسرعان ماتمالك السير (اياً كان اسمه) وقام بدفع الطاغية من الشباك ثم التفت منتصراً لينظم الى الفتيات المهذبات ، وقد اعتلى جبينه ورم . ولكنه وجد

الباب موصداً ، فانتزع الستائر وصنع منها سلماً من الحبال واخذ بالنزول . وما كاد يصل نصف المسافة حتى انقطع به السلم فسقط على رأسه في الخندق الى مسافة ستة اقدام . ولكنه كان يحسن العوم كالبطة. فاخذ يسبح حول القلعة حتى وصل الى باب صغيرة يحرسها رجلان قويان سرعان ما امسك بهما واخذ يصفق رأسيهما الواحد بالآخر حتى انكسرا كما تنكسر البندقة . وما ان انتهى من ذلك حتى عالج الباب بقوته المذهلة فحطمها وصعد درجتين من حجر غطتهما طبقة من التراب بلغ سمكها قدماً وانتشرت فوقها اعداد من ضفادع الطين – بلغ حجم الواحد منها حجم راحة اليد – والعناكب التي تخيفك يا آنسة (مارتش) الى درجة تدفعك من خلالها الى الجنون ، وفي اعلى هاتين الدرجتين شاهد منظراً قطع انفاسه وجمد الدم في عروقه .

«شاهد شكلاً بشرياً بلباس ابيض وقد غطى وجهه بوشاح وحمل في يده مصباحاً» ، واصلت (ميج) الرواية . «وبعد ان اومأ هذا الشكل البشري للفارس ان اتبعني انسل امامه بلا صوت ومشى في رواق معتم وبارد مثل القبر . وقد اصطفت على جانبي الرواق اشكال بشرية مبهمة مدججة بالسلاح ، وخيم على المكان صمت مميت . وكان المصباح يبعث ضياءً ازرقَ . اما الشكل الشبحي هذا فكان يلتفت بين حين وآخر ليرمق الفارس من خلال وشاحه بنظرات من عينين يشع منهما بريق مخيف . وبعد قليل وصلا الى باب عليها ستارة وقد انبعثت من خلفها موسيقى عذبة للغاية . واندفع الفارس الى الامام ليدخل ولكن الشبح جذبه الى الخلف وهو يلوح مهدداً بيدٍ ضمت «علبة سعوط» ، قالت

(جو) بصوت كئيب انتفض لسماعه الحضور . «شكراً ، قال الفارس ثم تناول بعض السعوط واستنشقه فعطس سبع مرات تدحرج بعدها رأسه ساقطاً . ضحك الشبح ملء شدقيه . وبعد ان القى نظرة من خلال فتحة المفتاح ، ورأى الاميرة المسكينة منهمكة في الغَزْل ، حمل الشبح جثة ضحيته ووضعها في صندوق كبير من القصدير ضم جثث احد عشر فارساً حشروا بعضهم جنب البعض الآخر - من غير رؤوس - مثل سمك الساردين . وفجأة نهض هؤلاء الفرسان وبدأوا -» .

«يرقصون الرقصة المزمارية*» ، قاطع (فريد) بعد ان توقفت (جو) للاستراحة» . واثناء رقصهم فان هذه القلعة القديمة ، المتداعية تحولت الى سفينة حربية تسير باقصى سرعتها . ارفعوا الشراع! اثنوا السارية! أديروا الدفة نحو الجانب البعيد عن الريح! ليتهيأ اعداد المدافع» ، صاح قائد السفينة عندما شاهد في الافق سفينة قراصنة برتغالية وقد رفرف فوقها علم اسود اللون كالحبر . وسرعان ما نشبت معركة ضارية بين السفينتين وبطبيعة الحال فاز البريطانيون كعادتهم دائماً» .

«كلا ، انهم لايفوزون دائماً ، صاحت (جو) .

«وبعد ان قام قائد السفينة البريطاني باسر القائد القرصان سار بسفينته فوق سفينة الاعداء التي امتلأ سطحها بجثث القتلى وسالت فوقه الدماء ، صاح برجاله قائلاً : (اشنقوا الوغد هذا على ذراع الرافعة اذا مارفض الاعتراف بذنوبه وطلب الرحمة) . ولكن القرصان البرتغالي لم يبال بهذا التهديد بل مشى ثابت القلب ، مرفوع الرأس وسط هتاف

* الرقصة المزمارية - رقصة انكليزية شعبية مرحة كانت تؤدى في الاصل على انغام المزمار القرني .

البحارة . وفجأة قفز هذا المراوغ الى البحر وغاص تحت السفينة الحربية ثم قام باغراقها بعد ان فتح كوة في قاعها فغرقت وغرق من كان عليها وغاصوا الى اعماق البحر ، البحر ، البحر حيث –» .

«ياالهي ! ماعساي ان اقول» ، صاحت (سالي) بعد ان انتهى (فريد) من روايته المشوشة التي جمع فيها احاديث من هنا وهناك واضاف اليها بعض التعابير البحرية والاحداث التي كان قد قرأها في احد كتبه المفضلة» . وهكذا ذهبوا الى الاعماق حيث رحبت بهم هناك حورية ماء جميلة سرعان ماحزنت عندما اكتشفت الصندوق الحديدي الذي ضم الفرسان الذين فقدوا رؤوسهم . ثم قامت بحفظهم في محلول مالح وهي تأمل تمكنها من اكتشاف سر قضيتهم بسبب الفضول الذي دفعها الى ذلك لانها امرأة . وبعد فترة نزل غواص الى تلك الاعماق فقالت له حورية الماء : سأعطيك صندوق اللؤلؤ هذا اذا تمكنت من رفعه الى سطح البحر . لقد ارادت ان ترد لهؤلاء الفرسان حياتهم ولكنها عجزت عن رفع الصندوق الثقيل . وهكذا رفعه الغواص الى اعلى ، وكم كانت خيبته كبيرة عندما فتحه ولم يجد اللؤلؤ فيه . فتركه في حقل كبير موحش حيث وجدته –» .

«راعية اوز صغيرة كانت ترعى مائة اوزة سمينة في الحقل» ، قالت (ايمي) بعد ان انتهت (سالي) من روايتها» . شعرت الفتاة الصغيرة بالحزن على الفرسان وسألت المرأة العجوز ماعساها ان تعمل لكي تساعدهم . فاجابتها (ستخبرك اوزاتك فهن يعرفن كل شيئ) ، وهكذا استفسرت عن الشيئ الذي توجب عليها استعجاله للحصول على رؤوس جديدة لان

تلك القديمة كانت قد فقدت ، ففتحت الاوزات افواهها المائة وصاحت —» .

«الكرنب!» واصل (لوري) على الفور. (اجل ، هو الشيئ المطلوب) ، قالت الفتاة وركضت لتقطف اثني عشر رأساً من الكرنب من حديقتها . وما ان وضعتها حتى عادت الحياة فوراً للفرسان الذين شكروا الفتاة على صنيعها ومضوا في طريقهم فرحين ، من غير ان يدركوا الفرق فقد كان هناك الكثير من الرؤوس في العالم التي لم يعر لها احد اي اهتمام . اما الفارس الذي يهمني فقد عاد ثانية يبحث عن الوجه الجميل الذي شغل فكره فعلم ان الاميرات قد نلن حريتهن وكن جميعهن على وشك الزواج باستثناء واحدة منهن . وانشغل الفارس عند سماعه هذا الخبر واسرع يركب مهره ، الذي لازمه في السراء والضراء ، وهرع الى القلعة ليعرف من بقيت من الاميرات . وعندما استرق النظر من خلف سياج الشجيرات رأى اميرة احلامه تقطف الزهور في حديقتها .

(هل تعطيني وردة) ، قال «عليك ان تتقدم لتأخذها . لايمكنني القدوم نحوك ، فهو امر غير لائق» ، قالت بلهجة احلى من العسل . وحاول تسلق السياج ولكنه عجز اذ بدا السياج هذا يرتفع الى الاعلى باستمرار ، وعندما حاول اختراقه وجد انه قد اصبح اكثر كثافة فتملكه اليأس . ولكنه بدأ يكسر العساليج بصبر : عسلوجاً بعد آخر حتى تمكن من احداث فجوة طل من خلالها وقال يخاطب الاميرة بتوسل : «دعيني ادخل ، دعيني ادخل» . ولكن الاميرة لم تفهم — على مابدا — قول الفارس اذ انها حملت زهورها ومشت بهدوء وتركته يحاول الدخول

جاهداً . اما اذا كان قد تمكن من الدخول ، او اخفق فيه ، فهذا سيخبركم بتفاصيله (فرانك)» .

«لايمكنني ذلك فلست من المشتركين في هذه اللعبة التي لا العبها ابداً» ، قال (فرانك) الذي ازعجته هذه الورطة العاطفية التي كان عليه ان يجد للحبيبين السخيفين مخرجاً منها . وكانت (بيث) قد اختفت خلف (جو) بينما كانت (غريس) نائمة .

«لقد كتب على هذا الفارس البائس ان يبقى مغروزاً في سياج الشجيرات اذاً اليس كذلك؟» قال السيد (برووك) وهو لايزال يراقب النهر ويداعب الوردة المثبتة في عروة سترته .

«اعتقد بان الاميرة قامت باعطائه وردة ثم فتحت له الباب بعد فترة قصيرة» ، قال (لوري) وهو يبتسم لنفسه ويرمي معلمه بجوزة بلوط .

«لقد شغلنا انفسنا بكلام فارغ . يمكننا بالممارسة التوصل الى شيء اكثر براعة . «هل تعرفون (الصدق)؟» سألت (سالي) بعد ان ضحكوا من قصتهم .

«آمل ان اكون على بينة منه» ، قالت (ميج) بجدية .

«اقصد لعبة (الصدق)» .

«وماهي اللعبة هذه؟» سأل (فريد) .

«تضعون اكفكم الواحدة فوق الاخرى ، وتختارون رقماً معيناً ثم تسحبون الاكف تباعاً ، وعلى الشخص الذي يتوافق دوره في السحب مع الرقم المختار ان يجيب على مايطرحه عليه الجميع من اسئلة بصدق انها لعبة ممتعة ومرحة للغاية» .

«دعنا نحاول لعبها» ، قالت (جو) التي كانت تهوى التجارب الجديدة .

رفض كل من الآنسة (كيت) والسيد (برووك) و (ميج) و (نيد) الاشتراك في هذه اللعبة ، بينما قام (فريد) و (سالي) و (جو) و (لوري) بوضع اكفهم الواحدة فوق الاخرى وبدأوا بالسحب فاصبحت الاجابة من نصيب (لوري) .

«من هم ابطالك المفضلون؟» سألت (جو) .

«جدي ونابليون» .

«من برأيك اجمل الموجودات هنا؟» .

«مارجريت» .

«من هو اكثر شخص تهواه؟» .

«(جو) بطبيعة الحال» .

«ماasخف الاسئلة التي تطرحها!» قالت (جو) وهي تهز كتفيها استهجاناً بينما ضحك الجميع من نبرة صوت (لوري) التي اوحت ان ماقاله كان امراً مسلماً به .

«حاول ثانية . هذه لعبة لابأس بها» ، قال (فريد) .

«بل هي جيدة جداً بالنسبة لك» ، اجابت (جو) بصوت خافت — فقد جاء دورها بعد ذلك .

«ماهو اكبر عيب تعانين منه؟» سأل (فريد) وهو يحاول ان يسخر من الفضيلة التي تتمتع بامتلاكها ويفتقر هو شخصياً اليها .

«المزاج الحاد» .

«ماهو اكثر شيئ تتمنين الحصول عليه؟» سأل (لوري) .

«قيطان لجزمتي» ، اجابت (جو) وهي تحرز هدفه وتحاول افشاله .

«هذا ليس بجواب صادق . لابد ان تقولي الشيئ الذي تتمنيه بالدرجة الاولى» .

«العبقرية . الا تتمنى ان يكون بامكانك تأمين حصولي عليها يا (لوري)؟» قالت (جو) وهي تبتسم ابتسامة خبيثة لوجهه الذي بدت عليه خيبة الامل .

«ماهي اكثر فضائل الرجال اثارة لاعجابك؟» سألت (سالي) .

«الشجاعة والامانة» .

«والآن جاء دوري» ، قال (فريد) بعد ان كان كفه هو الاخير .

«دعنا نواجهه بالحقيقة» ، همس (لوري) لـ (جو) التي هزت رأسها مستجيبة ثم سألت (فريد) على نحو مفاجئ قائلة : «ألم تغش اثناء لعبة الكروكي؟» .

«اجل .. بعض الشيئ» .

«جيد . ألم تستمد قصتك من رواية (اسد البحر)؟» تساءل (لوري) .

«الى حد ما» .

«الا تظن بان الامة الانكليزية تتمتع بالكمال من كافة الجوانب» ، سألت (سالي) .

«سيكون عاراً علي ان ظننت خلاف ذلك» .

«انه (جون بول)* بحق . والآن ياآنسة (سالي) ستتوفر لك الفرصة دون الضرورة لانتظار دورك في السحب . سأغيضك اولاً بسؤالك ما اذا كنت لاتظنين بانك فتاة عابثة؟» سأل (لوري) بينما اومأت (جو) لـ (فريد) ايماءة توحي بان السلام قد اعلن بينهما .

«ايها الصبي الوقح! انني طبعاً لست بفتاة عابثة» ، قالت (سالي) بدهشة ولكن بطريقة اوحت عكس ماقالته بالضبط .

«ماالذي تكرهين اكثر من اي شيئ آخر؟» سأل (فريد) .

«العناكب والفطائر» .

«ماالذي تحبين اكثر من اي شيئ آخر؟» سألت (جو) .

«الرقص والقفازات الفرنسية» .

«اعتقد بان لعبة (الصدق) هذه سخيفة جداً . فدعنا نلعب (المؤلفين) لننعش بها افكارنا» . اقترحت الانسة (جو) .

اشترك في هذه اللعبة (نيد) و (فرانك) والبنات الصغيرات ، بينما اكتفى الاكبر سناً منهم بالتحدث فيما بينهم . وبدأت الآنسة (كيت) ترسم ثانية ، وقد جلست (مارجريت) تراقبها ، بينما استلقى السيد (بروك) على العشب وبيده كتاب لم يكن قد قرأه .

«ماأجمل رسمك! كم اتمنى ان استطيع الرسم مثلك» ، قالت (ميج) بصوت جمع بين الاعجاب والأسف .

«لماذا لاتحاولين ان تتعلمي . فلابد ان يكون لديك الميل والملكة» ، اجابت الآنسة (كيت) بكياسة .

* جون بول - هو الاسم الذي يراد فيه التعبير عن الشخص البريطاني النموذجي او عن الشعب البريطاني .

«لاوقت لدي» .

«تفضل امك مآثر اخرى ، على مااعتقد . وهكذا كانت أمي انا ، إلا انني أثبت لها قابليتي من خلال بضعة دروس خصوصية اشتركت فيها .

وبعد ذلك لم تعارض استمراري في الرسم . الا يمكنك تحقيق النتيجة نفسها بالاتفاق مع مربيتك؟»

«ليس لدي مربية» .

«لقد نسيت ان الصبيات يذهبن الى المدارس في امريكا بنسبة اكبر مما هو عليه الحال في انجلترا . ويقول ابي ان المدارس الامريكية جيدة جداً . اظنك تذهبين الى مدرسة خاصة؟»

«لا اذهب الى المدرسة ابداً فانا اعمل مربية»

«حقاً!» قالت الانسة (كيت) التي كان من الاجدى بها قول لا«ما هذا الكلام يا ألهي!» اذ هذا ما أوحتة نبرة صوتها ، كما ان التعابير التي ظهرت على وجهها جعلت (ميج) تحمر بعض الشيء وتتمنى لو انها لم تكن بمثل هذه الدرجة من الصراحة .

نظر السيد (بروك) الى الاعلى وقال بسرعة «ان الأوانس الامريكيات يهون حريتهن شأنهن بذلك شأن اجدادهن كما انهن محط اعجاب وتقدير لتمكنهن من اعالة انفسهن» .

«اجل انه شيئ جيد جداً ولائق للغاية ، فلدينا الكثير من السيدات المحترمات والاوانس المهذبات اللواتي ينهجن هذا النهج ، وهكذا تجدهن مستخدمات من قبل العوائل الاستقراطية ، اذ بسبب كونهن بنات سادة

مهذبين فانهن يتمتعن بتربية عالية ومواهب متعددة ، قالت الانسة (كيت) بلهجة لطيفة لم تخل من استعلاء الامر الذي جرح كبرياء (ميج) وجعل وظيفتها تبدو لا كريهة وممقوتة فحسب بل اكثر ذلاً وحقارة .

«هل راقت الاغنية الالمانية للآنسة (مارتش)؟» تساءل السيد (برووك) وهو يحاول كسر فترة الصمت المحرجة التي تلت .

«اجل . كانت عذبة للغاية وانا ممتنة جداً للشخص الذي قام بترجمتها لي ،» قالت (ميج) وقد تلامع وجهها المكتئب عندما تكلمت .

«الاتقرأين الالمانية؟» سألت الانسة (كيت) وقد اعتلت وجهها نظرة تعجب .

«لااقرأها بشكل جيد فوالدي الذي كان يشرف على تعليمي غير موجود في الوقت الحاضر ولا يمكنني مواصلة تعليمي بسرعة وانا وحدي لعدم وجود من بامكانه تصليح اخطائي في اللفظ» .

«حاولي الآن . فهذا كتاب (ماري ستيوارت) للشاعر الألماني (شيلر) ولديك هنا معلم يهوى التعلم» . قال السيد (برووك) وهو يلقي بالكتاب في حضنها ويتبسم ابتسامة جذابة .

«ان الالمانية لغة صعبة وانا اخشى المحاولة» . قالت (ميج) وهي ممتنة للغاية ولكنها متهيبة بسبب وجود هذه الانسة المتمكنة بالقرب منها .

«ساقرأ بعض الشيئ لا شجعك» . قالت الانسة (كيت) وبدأت تقرأ اكثر المقاطع جمالاً بطريقة صحيحة جداً ولكنها خالية من كل تعبير .

لم يعلق السيد (برووك) باي شيئ عندما اعادت الانسة (كيت) الكتاب الى (ميج) التي قالت ببراءة :

«ظننت بان العمل هذا شعري» .

«البعض منه شعري . حاولي هذا المقطع» .

«ارتسمت فوق فم السيد(برووك) ابتسامة غريبة عندما فتح الكتاب في الجزء الذي احتوى رثاء (ماري)* البائسة .

ومن خلال المتابعة المتمثلة بحركة ورقة العشب الطويلة التي استخدمها معلمها الجديد للدلالة قرأت (ميج) بهدوء وتهيب ومن دون وعي منها كانت تحول بالترنيمة الخافتة لصوتها الموسيقي الكلمات الصعبة الى شعر . وهكذا اخذ المؤشر الاخضر يهبط تدريجياً من اعلى صفحة الكتاب الى اسفلها . وفجأة بدأت (ميج) تقرأ وكأنها تجلس بمفردها ، بعد ان نسيت وجود رفيقها وسط جمال المشهد الحزين ، وهي تعطي لكلمات الملكة التعيسة مسحة مأساوية .

ولو انها شاهدت في تلك اللحظة العينين البنيتين ، لتوقفت قبل النهاية ، ولكنها لم تنظر الى اعلى ولم يفسد عليها الدرس . .

«جيد جداً بحق !» قال السيد (برووك) — عندما توقفت عن القراءة — متناسياً اخطاءها العديدة وقد بدا كأنه في الواقع كان «يهوى القيام بالتعليم» .

اما الانسة (كيت) فقد وضعت نظارتها على عينيها .

وبعد ان تفحصت المنظر الماثل امامها اغلقت كراسة الرسم العائدة

---

* — ماري ستيوارت — هي حفيدة هنري السابع ملك انجلترا كما انها كانت ملكة سكوتلندا التي حكمتها عام ١٥٦٠ ولمدة سبعة عشر عاماً (عندما كانت اسكوتلندا مستقلة عن انجلترا) وقد اضطرها شعبها الى التنازل عن العرش حيث لجأت الى انجلترا وقد اعدمت من قبل الملكة اليزابيت الاولى عام ١٥٨٧ — المترجم .

لها لتقول بتنازل وتعطف :
«ان لهجتك لطيفة وبمرور الوقت ستصبحين قارئة بارعة ولذلك اشير عليك بضرورة تعلم الالمانية اذ تعتبر هذه اللغة من المآثر القيمة التي يتمتع بها المعلمون والمعلمات . والآن علي ان ارعى (غريس) التي انهمكت في اللعب والمرح» ، قالت الانسة (كيت) ومشت وهي تكلم نفسها وتهز كتفيها استهجاناً ، قائلة : «لم اشترك في هذه النزهة لأرعى مربية اطفال وان كانت شابة وجميلة الشكل . ما اغرب الامريكيين . اخشى انهم سيتسببون في افساد (لوري)» .

نسيت ان الانجليز ينظرون الى المربيات «نظرة دنيا ولا يعاملونهن كما نفعل نحن» ، قالت (ميج) وهي تسدد الى ذلك الشكل البشري المتراجع نظرة غضب

«يؤسفني القول ان المعلمين هناك يعانون من الشيئ ذاته فلا يوجد مكان آخر في الدنيا كأمريكا بالنسبة لنا نحن العمال ، يا آنسة (مارجريت)» قال السيد (برووك) وقد بدا مرتاحاً ومبتهجاً الى درجة شعرت فيها (ميج)بالخجل من ندب حظها العاثر .

«يسرني جداً اني اعيش في امريكا . وبغض النظر عن عدم محبتي لعملي فانه مصدر ارتياح كبير بالنسبة لي ولذلك فاني ارفض التذمر انني اتمنى لو كنت اهوى التدريس كما تهواه انت» .

«اظنك ستحبين التدريس لو كان لديك تلميذ مثل (لوري) . سأتأسف جداً لفقدانه في العام المقبل ،» قال السيد (برووك) وهو منشغل في حفر ثقوب في الارض التي تكسوها الاعشاب .

«سوف يذهب الى الجامعة على ما اعتقد؟» سألت شفتا (ميج) واضافت عيناها ثمة سؤال مفاده «وماذا سيكون مصيرك؟»

«اجل . لقد حان وقت ذهابه ، فهو على استعداد لدخول الحياة الجامعية وحالما يذهب ساتطوع انا في صفوف الجيش حيث توجد حاجة لخدماتي» .

«يسرني ان اسمع هذا» ، قالت (ميج) «اعتقد ان الانخراط في الجيش امنية كل شاب وان كان الامر صعباً على الامهات والاخوات اللواتي يبقين في بيوتهن» اضافت (ميج) بحزن

«ليس لدي ام او اخت كما ليس لدي الكثير من الاصدقاء من يهمهم عيشي او موتي ،» قال السيد(برووك) بنبرة فيها مسحة من المرارة وهو يضع الوردة الميتة في احدى الحفر – دون ان يعي – ثم يغطيها بالتراب كقبر صغير .

«بل يهتم (لوري) و (جده) كثيراً بما يحدث لك ، كما يؤسفنا جداً ان اصابك اي مكروه» قالت (ميج) باخلاص وحماسة .

«شكراً هذا يبدوا لطيفاً للغاية» ، قال السيد (برووك) وقد بدأ يستعيد مرحة ثانية ، ولكن قبل ان يتمكن من الانتهاء من كلامه جاء (نيد) ممتطياً حصاناً وهو يحاول جهده ان يستعرض مهارته في الفروسية امام الاوانس .

«الا تهوين ركوب الخيل؟» سألت (غريس) (ايمي) عندما وقفتا تستريحان بعد ان اشتركتا في سباق قاده (نيد) حول الحقل .

«اني مغرمة به . كانت اختي (ميج) تمارس هذه الهواية عندما كان

ابي غنياً ، اما الآن فليس لدينا اية خيول في البيت باستثناء (ألين ترى)»
اضافت (ايمي) ضاحكة .
«أخبريني عن (ايلين ترى) هل هي حمارة؟ سألت (غريس) بفضول
«ان (جو) تعشق الخيل الى حد الجنون وكذلك انا ولكننا لا نملك سوى سرج جانبي* . ولكن لشجرة التفاح في حديقتنا غصناً واطئ الارتفاع اعتادت (جو) ان تضع السرج عليه وتشد اللجام في نهايته التي تتجه الى الاعلى وهكذا فاننا نثب على (ايلين ترى) متى ما شئنا» .
«ياله من شيئ مضحك» ، قالت (غريس) ضاحكة .
«لدي مهر في البيت وامارس هواية الركوب في المنتزه كل يوم تقريباً بصحبة (فريد) و(كيت) . انها هواية ممتعة يمارسها كل اصدقائي اضافة الى سيدات المجتمع والسادة المهذبين الذين يكتظ بهم (الرواق) .
«ما ألطف ذلك! آمل ان اسافر خارج البلاد في يوم ما ولكنني افضل الذهاب الى روما بدلاً من (الرواق)» . قالت (ايمي) التي لم تكن لديها اية فكرة عن معنى عبارة (الرواق) كما لم تكن لديها اية نية في الاستفسار عن معناها .
وقد سمع (فرانك) – الذي كان يجلس خلف الفتاتين – ما قالته احداهما للاخرى وقد دفع بعكازه بعيداً عنه بحركة نمت عن نفاد صبره وهو يراقب بقية الصبيان الذين كانوا يقومون بشتى انواع النشاطات والحركات المضحكة . اما (بيث) التي انهمكت في جمع الاوراق المتناثرة والخاصة بلعبة (المؤلفين) فانها رفعت راسها وقالت بطريقتها المحتفظة ،

* – سرج جانبي – سرج تستقر عليه المرأة جاعلة كلتا رجليها على جانب واحد من الفرس – المترجم .

الخجوله والودودة في نفس الوقت : «اخشى انك تعب . فهل يمكنني القيام باية خدمة؟»«تجاذبي معي اطراف الحديث من فضلك فان جلوسي بمفردي امر يبعث على السأم» ، أجاب (فرانك) الذي اتضح انه شخص مدلل للغاية .

ولو ان (فرانك) كان قد طلب من (بيث) القاء خطبة باللغة اللاتينية لما بدت مهمة اكثر صعوبة بالنسبة لـ (بيث) الخجولة التي وجدت نفسها في ورطة لا سبيل لها للخلاص منها : فلم يكن امامها مكان تلجأ اليه ولا (جو) التي بامكانها الاحتماء خلفها بينما اخذ الولد البائس ينظر اليها بطريقة عكست مدى رغبته في الاستماع الى ما كان عليها ان تقوله . ولذلك فانها قررت بشجاعة ان تجرب حظها .

«ما الذي تريدنا ان نتحدث عنه؟» تساءلت وهي تحاول تصفيف رزمة الورق التي كانت في يدها بلا انتظام وقد تناثر نصف اوراقها من يدها .

«اود الاستماع الى اخبار لعبة (الكريكيت) والتنزه في القوارب والصيد» ، قال (فرانك) الذي لم يكن قد تعلم الملائمة ما بين تسليته وقوته .

«آه ياقلبي! ما عساي ان افعل؟ اني لا اعرف شيئاً عن هذه الامور» ، فكرت (بيث) في نفسها . ومن خلال اضطرابها نسيت ما كان يعاني هذا الصبي من علة ، فانبرت قائلة وهي تأمل ان تدفعه الى الحديث : «لم يسبق لي الاشتراك في اية حملة للصيد وهو امر اظنك تعرف الكثير عنه»

«اشتركت في مناسبة ولكنني لن اتمكن من الصيد ابداً فقد تعرضت للاصابة في اثناء محاولتي القفز فوق بوابة ولذلك خرجت من عالم الخيول وكلاب الصيد الى الابد» ، قال (فرانك) وهو يذرف حسرة جعلت (بيث) تكره نفسها لهذه الهفوة العفوية .

«ان الغزلان لديكم اجمل بكثير من جاموسنا البشع» قالت وهي تلجأ الى السهول والبرية للخلاص من ورطتها وتشعر بغبطة لانها كانت قد قرأت احدى قصص الاولاد التي كانت (جو) مولعة بها .

وقد ثبت بان موضوع الجاموس كان مرضياً وملطفاً في آن واحد . ومن خلال حرصها الشديد على تسلية شخص آخر فانها نسيت نفسها وبقيت غير واعية لما اصاب اخوتها من مفاجئة وفرحة وهن يجدن اختهن تكلم احد الصبيان المخيفين الذين كانت قبل ذلك قد طلبت الحماية ضدهم .

«بارك الله فيها ! انها تعطف عليه ولذلك تجدها تلاطفه وتجامله» ، قالت (جو) ووجهها يشع ابتسامة رضى وهي تراقب اختها من ساحة (الكروكي) .

«انها ملاك صغير وهذا ما اقوله عنها دائماً .» اضافت (ميج) وكأن الامر لم يعد يقبل الشك مطلقاً .

«لم اسمع (فرانك) يضحك بهذا القدر الكبير لفترة طويلة» ، قالت (غريس) لـ (ايمي) عندما جلستا لتتبادلا اطراف الحديث حول الدمى ولتصنعا من كؤوس جوز البلوط عدداً للشاي .

«ان اختي (بيث) شديدة الحساسية عندما تشاء ذلك» ، قالت

(ايمي) وقد سرها نجاح اختها . الا انها كانت تعني (مرهفة الاحساس) لا (شديدة الحساسية) ولكن (غريس) لم تفهم معنى من أي العبارتين ولذلك كان العبارة (شديدة الحساسية) وقع مؤثر في نفسها

وتوجت نشاطات وفعاليات عصر يوم النزهة هذا بلعبة (كروكي) ودية . وما ان قاربت الشمس على المغيب حتى رفعت الخيمة ووضعت العدد والادوات في السلال ورفعت الاوتاد من الارض وتم تحميل القاربين اللذين تهاديا على سطح الماء وقد حملا ذلك الجمع من الشبان والشابات الذين اخذوا يغنون ملء حناجرهم .

وما ان غلبت العاطفة على (نيد) حتى اخذ يشدو لحناً ذا رجع حزين :

وحيد ، وحيد يا ويلتاه وحيد

وعندما وصل الى المقطع

فكل منا يافع ولكل منا فؤاد

فلماذا نقف منعزلين هكذا ببرود

نظر الى (ميج) وعلى وجهه تعبير واهن الى درجة دفع (ميج) الى الضحك مما افسد عليه اغنيته .

«كيف يمكنك ان تكوني بهذه القهوة» ، همس لها (نيد) منتهزاً فرصة اشتراك الجميع في ترديدة صاخبة . «لقد جلست قرب تلك الفتاة الانكليزية المتصنعة طوال الوقت والان تعمدين الى صدي» .

«لم اقصد ذلك ابداً . ولكنك ظهرت مضحكاً للغاية فلم اتمالك نفسي» ، اجابت (ميج) وقد تجاهلت الجزء الاول من لومه لانها في الواقع قد تعمدت صده بعد ان تذكرت حفلة (آل موفيت) وما سمعته

من لفظ بعد ذلك .

تألم (نيد) فالتفت الى (سالي) يطلب العزاء وهو يقول لها بنكد «ان هذه الفتاة لا تعرف للغزل والعبث طعماً اليس كذلك؟»

«لا تعرف له اي طعم ولكنها فتاة محبوبة» .

اجابت (سالي) وهي تدافع عن صديقتها حتى عند الاعتراف بما لديها من سلبيات .

«ولكنها صبية غير مبتلاة في كل الاحوال» .

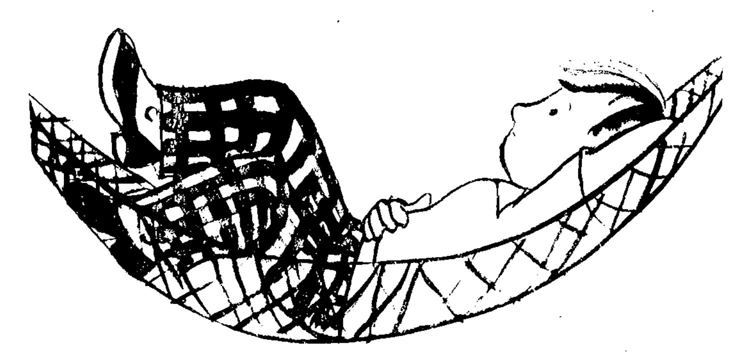
قال (نيد) وهو يحاول ان يكون خفيف الظل .

وعندما وصل الجمع الى حيث تجمعوا قبل هذه النزهة تفرقوا بعد ان تبادلوا عبارات الوداع الودية واهدى بعضهم البعض الآخر اطيب التمنيات فقد كان (آل فون) ذاهبون الى كندا . وبعد ان عادت الفتيات الاربع الى بيتهن من خلال الحديقة القت عليهن الانسة (كيت) نظرة وهي تقول بنبرة خلت من تعاليها المعهود : «على الرغم من عدم تمكنهن من كتم مشاعرهن وكبت عواطفهن فان الفتيات الامريكيات لطيفات وهذا امر يدركه المرء متى ما عرفهن بصورة جيدة» .

«أؤيد ذلك» ، اجاب السيد برووك .



الفصل الثالث عشر



قصور في الهواء

رقد (لوري) بترف وهو يتأرجح غادياً رائحاً في ارجوحته الشبكية في عصر اليوم دافئ من ايام شهر ايلول متسائلاً في نفسه عما كان يشغل جاراته في ذلك اليوم دون ان يكلف نفسه مشقة الذهاب اليهن لمعرفة ما كن يعملنه لقد كان في الواقع اسير احدى نوبات الكآبة التي كانت تعصف به بين الاونة والاخرى ، ذلك لان يومه لم يكن غير مجد فحسب بل غير مرض كذلك وكان يتمنى لو انه استطاع ان يعيشه مرة اخرى . وقد شعر بتراخٍ وكسل بسبب حرارة الجو الامر الذي جعله ينبذ دروسه ، ويستنفد صبر السيد (برووك) الى آخر حد ، ويضايق جده من

خلال ممارسة عزف البيان لفترة تجاوزت نصف عصر ذلك اليوم ، ويرعب الخادمات من خلال تنويهه لهن بان احد كلابه قد اصبح مسعوراً .وبعد ان دخل في جدل عقيم مع السائس حول ما اختلقه من اهمال الاخير هذا في رعاية حصانه قام (لوري) برمي نفسه في الارجوحة ليستشيط غضباً من تفاهة العالم بصورة عامة ، وبقي كذلك حتى عمد هدوء ذلك اليوم الجميل الى ان يسكن روعه بالرغم منه . وبينما انشغل (لوري) في التحديق في تلك العتمة الخضراء لأشجار الكستناء التي كانت تخيم فوقه فقد راودته شتى انواع الاحلام وكان على وشك ان يتخيل نفسه مقدماً على ركوب البحار في رحلة حول العالم ، عندما اعادته الى البر بسرعة فائقة اصوات ناعمة تسربت اليه عبر سياج الشجيرات . ومن خلال خيوط ارجوحته الشبكية استطاع ان يسترق النظر الى بيت جيرانه فوجد البنات خارجات وكأنهن متوجهات لقضاء مهمة معينة .

«ما امر هؤلاء البنات يا ترى؟» فكر (لوري) مع نفسه متسائلاً وهو يفتح عينه جيداً ليتمكن من الحصول على فكرة والهمة فقد وجد ثمة امر غريب في مظهرهن : فقد لبست كل منهن قبعة عريضة تتدلى حاشيتها الى الاسفل كما وضعت على كتفها كيساً بني اللون وحملت بيدها عصا طويلة وبالاضافة الى ذلك فقد حملت (ميج) وسادة وحملت (جو) كتاباً . اما (بيث) فقد حملت سلة بينما حملت (ايمي) حقيبة . وقد مشت البنات جميعهن بهدوء عبر الحديقة وخرجن من خلال بابها الخلفي الصغير ثم بدأن يصعدن التل الذي يقع بين البيت والنهر .

«شيئ جميل!» قال (لوري) في نفسه ، «انهن يخرجن الى نزهة ولايكلفن انفسهن مشقة اعلامي . لايمكنهن الذهاب الى الزورق اذ لم يكن لديهن المفتاح ، ولعلهن قد نسينه . سآخذه اليهن واكتشف مايدور من امر» .

وبالرغم من امتلاكه ما لا يقل عن ست قبعات فقد تأخر في اختيار التي اراد لبسها ، ثم امضى بعض الوقت بحثاً عن المفتاح الذي وجده اخيراً في جيبه وعندما قفز فوق السياج ليلحق بهن كانت الفتيات قد توارين عن الانظار .

وبعد ان اختار اقصر الطرق المؤدية الى بيت الزورق* جلس بانتظارهن ، ولكنهن لم يظهرن .

ثم مشى الى اعلى التل ليتمكن من المراقبة .

لقد غطى عدد من اشجار الصنوبر جزء من المنطقة التي وصلها (لوري) وقد ارتفع من وسط هذه البقعة الخضراء صوت اكثر وضوحاً من تنهد اشجار الصنوبر الناعم الصغير الناعس للصراصر .

«ياله من منظر رائع !» قال (لوري) في نفسه وهو يسترق النظر من خلال الشجيرات وقد بدا طلق المحيا وفي كامل نشاطه وحيويته .

كانت صورة لطيفة جداً تلك التي شاهدها : فقد جلست الاخوات معاً في ذلك الركن المنعزل ، الظليل وقد اخذ الظل واشعة الشمس يتناوبان فوقهن والرياح العطرية ترفع شعرهن لترطب خدودهن الساخنة وقد انهمك سكان الغابة الصغار باعمالهم اليومية وكأن الفتيات لم يكنّ

(*) – هو المرأب المخصص لايواء الزورق – المترجم.

غريبات بل صديقات قديمات . فقد جلست (ميج) فوق وسادتها وراحت اصابعها البيضاء تخيط بخفة واناقة بينما بدت ناضرة وجميلة كالوردة في فستانها الوردي اللون وسط تلك الخضرة وانهمكت (بيث) بتصفيف اكواز الصنوبر التي انتشرت تحت الشواكران* القريبة منها فقد اعتادت صنع اشياء جميلة من هذه الاكواز .
وقد انشغلت (ايمي) برسم مجموعة من السراخس بينما اخذت (جو) تقرأ بصوت عالٍ ويداها منشغلتان بالحياكة . ومرت سحابة من التفكير امام (لوري) وهو يراقب البنات فشعر بوجوب ذهابه وتركهن لوحدهن لانه لم يكن مدعواً للاشتراك معهن . ومع ذلك فانه تلكأ لان البيت بدا موحشاً جداً قياساً بهذه المجموعة الصغيرة التي جلست في الغابة والتي انجذبت اليها روحه المضطربة فوقف بصمت وبدون اية حركة بحيث هبط سنجاب – كان منهمكاً في حصاده – الى اسفل شجرة صنوبر قريبة منه ولكنه سرعان ما ولى ادباره هارباً بعد ان رآه واطلق صيحة رفعت (بيث) على اثرها عينيها الى الاعلى لتجد ذلك الوجه الذي تشوبه اللهفة ينظر اليهن من خلف شجرة البتولا فاومأت له بابتسامة مشجعة .

«هل يمكنني الدخول ام ساكون عبئاً عليكن؟» تساءل وهو يتقدم ببطء .

رفعت (ميج) حاجبيها ولكن (جو) عالجتها بنظرة تحدٍ وقالت على الفور : «يمكنك ذلك بطبيعة الحال . كان علينا ان ندعوك لمشاركتنا ولكننا اعتقدنا بانك قد لا ترغب الاشتراك في مثل هذا النشاط البناتي .»

(*) – الشوكران – اعشاب سامة يستخرج من ثمرها شراب سام – المترجم .

«لقد احببت ألعابكن ونشاطاتكن ومع ذلك فاني مستعد للعودة ان لم توافق (ميج) على وجودي بينكن .»

«لا مانع لدي اذا ما قمت بعمل ما فقوانيننا لا تسمح بالترحيب باحد دون قيامه بعمل معين» ، اجابت (ميج) بجد ولطف .

«اني ممتن جداً . ساقوم باي شيئ ان رضيتن ببقائي معكن فالبيت موحش كالصحراء .

فهل تردن مني ان اقرأ او اخيط او اقوم بجمع الاكواز او الرسم او القيام بكل هذه الاعمال في آن واحد؟ اني تحت امركن وعلى استعداد للقيام باي شيئ» قال (لوري) ذلك وجلس وعلى وجهه نظرة اذعان .

«اكمل هذه القصة ريثما ارتب كعب حذائي»

قالت (جو) وهي تناوله الكتاب .

«اجل ياسيدتي » . هكذا كان الجواب الدمث عندما بدأ ينفذ واجبه وقد حاول جهده ان يثبت للفتيات مدى امتنانه لهذا الفضل الذي اسبغنه عليه ومكنه من دخول (جمعية النحلة الدؤبة) .

لم تكن القصة طويلة . وعندما انتهى من قراءتها غامر بطرح عدة اسئلة كمكافأة على ماقام به من عمل مثمر .

«ارجوك ياسيدتي هل لي ان اسأل عما اذا كانت هذه المؤسسة المفيدة الرائعة هي تشكيل حديث؟» .

«هل توافقن على اخباره؟» سألت (ميج) اخواتها .

«سيضحك اذا اخبرناه» قالت (ايمي) بتحذير .

«نحن لانهتم لذلك» اجابت (جو) «سيقع الامر من نفسه موقعاً

حسناً» اضافت (بيث) .

«هذا صحيح . وأوكد لكن باني لن اضحك من الامر ابداً . هيا يا (جو) اخبريني ولاتخافي» .

«فكرة الخوف منك . فاعلم اذاً باننا كنا نلعب لعبة (رحلة الحاج) وقد دأبنا على ممارسة هذه اللعبة طيلة فصلي الصيف والشتاء .

«اجل ، اني ادرك ذلك» أجاب (لوري) بحكمة.

«من الذي اخبرك؟» سألت (جو) باصرار .

«اخبرتني بعض الارواح» .

«بل اخبرته أنا. فقد اردت ان اجلب المتعة الى نفسه في ليلة خرجتن فيها جميعكن وكان هو مكتئباً وفي حالة يرثى لها . وقد راقت له الحكاية واعجب بها فلا داعي للتوبيخ يا (جو)»

قالت (بيث) بلطف .

«ليس للسر لديك مكان . لاضرر في الامر الان ، لقد وفرت علينا مشقة اخباره بالامر» .

واصلي كلامك من فضلك» قال (لوري) عندما انهمكت (جو) في عملها وقد بدا عليها عدم الرضا .

«الم تخبرك عن خطتنا الجديدة؟ لقد حاولنا الا تنقضي عطلتنا دون قيامنا بشيءٍ مفيد ، ولذلك وضعنا لكل منا مهمة قامت بها بعزم وتصميم . لقد قاربت العطلة على الانتهاء وقد اكملنا ماوضعناه نصب اعيننا من مهام ونحن فرحات جداً لاننا لم نتقاعس» .

«اجل . هكذا يجب ان تسير الامور» قال (لوري) وهو يفكر بندم

على منهجه المتلكئ الكسول .

«ترغب امنا في ذهابنا خارج الدار للتنزه اطول وقت ممكن ، ولذلك فاننا نقوم بجلب اعمالنا هنا لنقوم بها ولقضاء وقت ممتع .

وزيادة في المتعة فاننا نقوم بوضع حاجياتنا في هذه الاكياس ونلبس القبعات القديمة ونستخدم العصي لصعود التل ونمثل دور الحاجات كما نفعل قبل عدة سنوات . اننا نطلق على هذا التل اسم «الجبل المبهج» اذ يمكننا منه النظر بعيداً الى الموقع الذي نأمل التمكن من السكن فيه في وقت ما» .

وأشارت (جو) باصبعها واخذ (لوري) ينظر الى ذلك الاتجاه . فمن خلال ثغرة في الغابة يمكن للمرء ان ينظر عبر النهر الازرق ، العريض ليرى المروج في الجهة الاخرى منه ، البعيدة عن ضواحي المدينة ، وهي تتصل بالتلال الخضراء التي ترتفع لتلتقي بالسماء . وكانت الشمس مائلة وقد توهجت السماء بجلال غروب خريفي ، وتجمعت فوق قمم التلال غيوم ارجوانية وذهبية ، وارتفعت عالياً الى الضياء الاحمر قمم بيضاء فضية تلامعت كالابراج العلوية المدببة لمدينة سماوية.

«ماأجمل هذا المنظر» قال (لوري) برقة لانه كان سريعاً في ملاحظة وتحسس الجمال بانواعه .

«انه كذلك في اغلب الاحيان ونحن نحب النظر اليه . فهو دائم التغيير ودائم الروعة»

قالت (ايمي) التي كانت تتمنى لو انها تمكنت من رسمه .

«تتحدث (جو) عن المنطقة التي نتمنى ان نسكن فيها وقت ما –

فهي تعني الريف الحقيقي . بما فيه من دواجن وخنازير علف .

ياحبذا لو يتحقق حلمنا هذا . كم اتمنى ان يكون الريف الماثل هنالك حقيقياً وكم اتمنى ان نتمكن من الذهاب اليه والعيش فيه» قالت (بيث) وهي تتأمل .

«هناك ريف اجمل كثيراً من هذا وهو ماسنذهب اليه عاجلاً ام آجلاً اذا ماكنا اناساً طيبين وصالحين» اجابت (ميج) بصوتها العذب .

«يبدو الانتظار طويلاً والعمل مضنياً .

اريد ان اطير فوراً كالعصافير وادخل من تلك البوابة الرائعة» .

«ستصلين هناك يا (بيث) عاجلاً ام آجلاً ، فلا تخافي من هذا الجانب» قالت (جو)

«فانا التي كتب عليها الصمود في العمل ، والصعود والانتظار وقد لااصل حيث اريد ابداً» .

«ساكون رفيقتك ان كان هذا يشكل اي عزاء لك . على ان اقطع مسافات شاسعة قبل ان تلوح لي مدينتك السماوية . فاذا ماتأخرت في الوصول فعليك ان تتركيني . اليس كذلك يا (بيث)؟»

كان ثمة شيئ في وجه الفتى اقلق صديقته الصغيرة . ولكنها قالت بمرح ، وعيناه تراقب الغيوم المتغيرة : «اذا ماعزم الناس حقاً على الذهاب واذا ماحاولوا جهدهم فسوف يبلغون غايتهم على مااعتقد . فالابواب خالية من الاقفال ومن الحراس كما اظن . اني اتصورها كما عليه في الصورة حيث يمد الاخيار هناك ايديهم للترحيب بـ (كريستيان) وهو يتقدم الى المدينة من النهر» .

«حبذا لو تحققت لنا قصورنا التي نبنيها في الهواء لكي نتمكن من اشغالها» قالت (جو) بعد توقف وجيز .

«لقد بنيت اعداداً ضخمة منها بحيث يصعب علي اختيار القصر الذي افضل» قال (لوري) وهو يستلقي على ظهره ويصوب عدداً من الاكواز باتجاه السنجاب الذي كان قد وشى به .

«عليك اختيار قصرك المفضل . فما هو؟

سألت (ميج) .

«اذا اخبرتك عن قصري فهل تخبريني عن قصرك؟»

«اجل واذا ما اخبرنك البقية عن قصورهن»

«سنخبره . هيا يا (لوري)» .

«بعد ان اشاهد اكثر أجزاء العالم التي أريد مشاهدتها اود الاستقرار في المانيا كما اريد ممارسة اكبر قدر من الموسيقى . اريد أن اصبح موسيقاراً مشهوراً يهرع العالم كله لسماع موسيقاي . كما لااريد ان اقلق نفسي بقضايا المال والاعمال بل مجرد الخلود الى المتعة والعيش كما اريد .

هذا هو قصري المفضل . فما هو قصرك انت يا (ميج)؟»

وجدت (مارجريت) في اخباره عن قصرها امراً لم يخل من صعوبة . ثم لوحت بخشبة امام وجهها ، كما لو كانت تطرد بعوضاً وهمياً ، بينما قالت بهدوء : «اتمنى ان يكون لي بيت جميل يضم الكثير من امور الترف المختلفة من طعام جيد وملابس جميلة واثاث انيق واصدقاء لطيفين واكداس من المال . كما اتمنى ان اكون المالكة الوحيدة لهذا المال وان اتصرف به كما اشاء .

وان يكون لي العديد من الخدم لكي لا اضطر الى القيام باي عمل بنفسي . كم ساتمتع بمثل هذه الحياة . ولكني لن اكون كسولة بل ساسعى الى عمل الخير لكي اجعل الناس يحبونني حباً جماً» .

«الا تريدين سيداً لقصرك الذي في الهواء»
سأل (لوري) بخبث .

«قلت اصدقاء لطيفين كما تعلم» قالت (ميج) وهي تشد شريط حذائها بتأنٍ ولذلك لم ير وجهها احد من الحضور .

«لماذا لاتقولين انك تتمنين زوجاً رائعاً وحكيماً وعدداً من الاطفال الذين يشبهون الملائكة الصغار؟ فلن يكتمل قصرك من دون هذين الشيئين» قالت (جو) بصراحة وهي التي لم يكن لديها اية تخيلات رقيقة لحد ذلك الوقت بل كانت تسخر من الرومانسية الا اذا وردت في الكتب التي كانت تقرأها .

«اما انت فلن يكون لك سوى الخيل والمحابر والقصص الروائية»
اجابت (ميج) بانفعال .

«هذا ماسيحويه قصري بحق . اود ان يكون لي اسطبل مملوء بالجياد العربية المطهمة وغرف فيها اكداس كبيرة من الكتب وسيأتي مدادي من محبرة سحرية لتكون كتبي مشهورة كموسيقى (لوري) .

كما اريد ان اعمل شيئاً عظيماً قبل ذهابي الى قصري – شيئاً بطولياً رائعاً لن ينساه العالم بعد وفاتي . لا ادري ماهو هذا الشيءُ ولكنني اترقبه واريد أن افاجئكم جميعاً به في يوم ما .

اظنني ساقوم بتأليف الكتب وساصبح غنية ومشهورة وهذا مايليق

بي وهو حلمي المفضل» .

«اما حلمي المفضل فهو البقاء آمنة في البيت قرب امي وابي امد يد المساعدة للعائلة واعني بها» قالت (بيث) بقناعة .

«الاتتمنين شيئاً آخر؟» سأل (لوري)

«منذ ان امتلكت بياني الصغير اصبحت راضية تماماً . كل ماتمنى هو ان نبق في صحة جيدة ولانفترق عن بعضنا . لا اتمنى اي شيئ آخر» .

«لدي الكثير من الامنيات ولكن اغلاها عندي .

هي ان اصبح فنانة واذهب الى روما وارسم صوراً جميلة واكون افضل رسامة في العالم» . وكانت هذه هي امنية (ايمي) المتواضعة .

«اننا مجموعة طموحة ، السنا كذلك؟ فقد طلبنا جميعاً ، باستثناء (بيث) ، الغنى والشهرة كما اردنا البهجة من كل جوانبها . ياترى هل سيتحقق لنا ماتمنيناه؟» قال (لوري) وهو يمضغ الحشائش مثل عجل متأمل .

«لدي مفتاح قصري المعلق في الهواء .

اما مدى تمكني من فتح بابه فهو امر ثانٍ»

علقت (جو) بغموض .

«اما انا فلدي مفتاح قصري ايضاً ولكن محاولة فتح بابه غير مسموح بها لي . فليلعن الله الجامعة» تمتم (لوري) بحسرة نمت عن ضيق صدر .

«هاهو ذا مفتاحي» قالت (ايمي) وهي تلوح بقلمها.

«ليس لدي مفتاح» قالت (ميج) بشبه يأسَ .

«اجل لديك» قال (لوري) .

«اين هو؟»

«انه في وجهك» .

«كلام فارغ . انه عديم الفائدة هناك» .

«انتظري وستجدين انه سيجلب لك شيئاً مجدياً جداً ، اجاب الصبي وهو يضحك لفكرة سر صغير ، ظن بانه عالم به .

توردت وجنتا (ميج) ولكنها لم توجه اي سؤال بل نظرت عبر النهر بنفس ذلك التعبير المترقب الذي كان قد اعتلى وجه السيد (بروك) عندما كان يروي تفاصيل قصة للفارس .

«اذا ماكتب لنا العيش عشر سنوات من هذا التأريخ فدعونا نجتمع ثانية لنجد من منا قد حقق امنيته ، اوكم قد تقربنا من تحقيق امانينا» قالت (جو) التي لم تخل من خطة .

«لتباركني السماء! كم سابلغ من العمر في ذلك الوقت – سأكون في السابعة والعشرين» تساءلت (ميج) التي شعرت بانها قد بلغت سن الرشد وهي التي اكملت لتوها السابعة عشرة من العمر .

«سنكون انا وانت في السادسة والعشرين من العمر يا (تيدي) وستكون (بيث) في الرابعة والعشرين و (ايمي) في الثانية والعشرين يالها من نخبة جليلة» قالت (جو) .

«آمل اني اكون قد حققت شيئاً يجعلني فخورة عندما يحين ذلك الوقت . ولكنني مخلوق كسلان للغاية . اخشى باني سأتلكأ يا (جو)» .

«انك بحاجة الى دافع هكذا تقول امنا . ومتى ما وجدت الدافع هذا فسيكون كل شيء على مايرام بالتأكيد» .

«هل هي متأكدة من ذلك؟ سافعل متى ماسنحت لي الفرصة» صاح (لوري) ثم انتصب حالاً بطاقة مفاجئة . «علي ان اكون راضياً لاريح جدي .

اني احاول ذلك ولكنني اخفق في تحقيق النتيجة المطلوبة .

انه يريد مني ان اصبح تاجراً مثله وانا افضل ان اعدم بدلاً من ذلك ، فانا اكره الشاي والحرير والتوابل وبقية البضائع التافهة التي تنقلها سفنه . ولايهمني ابداً ان غرقت هذه السفن وسكنت قاع البحار عندما ستؤول ملكيتها لي . يجب ان يرضى جدي بمجرد ذهابي الى الجامعة اذ عليه ان يطلق سراحي من مسؤولية زجي في الاعمال التجارية لقاء قيامي بهبته اربع سنوات من عمري . ولكنه عازم على تنفيذ مايريد وعلي ان ارضخ لمشيئته اللهم الا اذا قررت التخلي عن كل شيء وارضاء نفسي كما فعل ابي .

فلو كان هناك من يبقى مع الرجل العجوز ويرعاه لفعلت ما أريد غداً.

تكلم (لوري) بانفعال وبدا كأنه على اتم استعداد لتنفيذ وعيده اذا ماواجه اي استفزاز . كان ينمو بسرعة وبالرغم من تصرفاته الغريبة وكسله فقد امتلك كره الرجل اليافع للاستعباد كما ملك لهفة الشباب وتوقهم الى اختبار الدنيا بانفسهم .

«انصحك بركوب البحر على ظهر احدى سفنكم الى غير عودة حتى تكون قد حاولت ماتريد واستنفذت كل مالديك من رغبات» قالت (جو) التي الهمتها مثل هذه المأثرة الشجاعة والتي وجدت نفسها تتعاطف

كلياً مع ماسمته ب (جور لوري)» .

«ليس هذا امراً صحيحاً يا (جو) . عليك الكف عن هذا الكلام وعلى (لوري) ان لاينساق وراء مشورتك هذه . عليك الامتثال لمشيئة جدك ياعزيزي» قالت (ميج) بلهجة الام الحنون .

«حاول ان تحقق افضل ماتتمكن من نتائج في الجامعة ، ومتى مالدرك انك تحاول ارضاءه بجد واخلاص فانه لن يكون قاسياً او ظالماً معك . وكما قلت فلا يوجد هناك من يبقى معه ويرعاه سواك ، وسوف لن تغفر لنفسك اذا ماتركته دون موافقته . لاتكتئب ولا تتذمر بل عليك ان تقوم بواجبك وستحصل على ماتستحق من مكافأة كما هو الحال بالنسبة للسيد (برووك) الذي قد حظى بحب واحترام الجميع»

«ماذا تعرفين عنه» سأل (لوري) الذي شعر بامتنان لهذه النصيحة القيمة – وان لم يستسغ ماانطوت عليه من نصح وارشاد وفرح جداً لتحول الحديث عنه لاسيا بعد ان كان قد استرسل بالكلام بطريقة غير اعتيادية .

«لانعرف عنه اكثر مما حدثنا به جدك:

كيف انه رعى والدته حتى مماتها ورفض السفر بصفة معلم لتلميذ نجيب بسببها ولانه لم يشأ تركها لوحدها وكيف انه يقوم الآن برعاية سيدة عجوز معدمة لانها كانت قد قامت برعاية امه دون ان يخبر احداً بالامر . انه لايقل صبراً وكرماً عن افضل الناس واكرمهم»

«انه لكذلك – هذا الانسان العزيز» قال (لوري) بصدق بعد ان توقفت (ميج) عن كلامها وقد توهجت بشرتها حمرة وبدت صادقة في

كل مابدر منها من كلام . «هكذا شأن جدي فها انت تجدينه قد حصل على المعلومات كافة عن (برووك) دون شعور الاخير بذلك ، كما تجدينه يقوم باخبار الجميع عن صفاته الحميدة وعاداته الطيبة لكي يكسبه حب الناس واحترامهم . ولذلك لم يفهم (برووك) سبباً للمعاملة اللطيفة التي يلقاها من امك التي تدعوه الى زيارة بيتكن معي وتجامله بطريقتها الودودة ، اللطيفة . فهو واثق من انها سيدة كاملة من كل النواحي وقد تحدث عن هذا الموضوع اياماً وراح يكيل لكم المديح بكل جوارحه وباسلوب لطيف للغاية .

فلو تحققت امنيتي فسترين ما سأحققه له» .

«عليك ان تبدأ الآن وتكف عن مضايقته واحراجه» قالت (ميج) بجدة .

«وكيف عرفت اني افعل ذلك ياآنسة؟»

«يمكنني دائماً معرفة ذلك من وجهه عندما ينصرف . فاذا ماكان تصرفك حسناً ولائقاً فانه يبدو راضياً ويسير بخفة ورشاقة . اما عندما تعمد الى مضايقته فتراه متجهماً يسير ببطء كمن يريد العودة ثانية ليقوم بمهمته بشكل افضل» .

«ياله من كلام . انك اذاً تقدرين تصرفاتي الجيدة والرديئة من خلال ماتقرأينه على وجه السيد (برووك) . تراه ينحني مبتسماً عند مروره امام شباككم ، لقد فاتتني ان بينكما جهازاً لبث واستلام البرقيات!

«لايوجد بيننا اي شيء من هذا القبيل فلاتغضب ولاتخبره باني قد قلت اي شيء .

لقد قلت ماقلت لمجرد ان تفهم باني مهتمة بك وبتقدمك وارجو ان تكون اميناً على مادار في مجلسنا هذا من كلام» صاحت (ميج) وقد شعرت بالخوف مما قد ينتج من كلامها الذي تفوهت به دون احتراس .

«اني لاانقل الكلام» اجاب (لوري) باسلوب «المتعالي» على حد تعبير (جو) التي كانت تطلق هذه العبارة لتصف بها التعبير الذي يرتسم على وجهه احياناً . «ولكن لابد لي من القول باني يجب ان اؤمّن وجود اجواء لطيفة وجيدة لكي ينقلها وجه (برووك) بصفته مقياساً للضغط الجوي» .

«لاتنزعج ارجوك . لم اقصد ان القي عليك محاضرة في الاخلاق او المبالغة في القول او التصرف بحماقة . لقد ظننت بان (جو) كانت تشجعك على القيام بما قد تندم عليه مستقبلاً . لقد اغرقتنا بكرمك ولذلك فان لك منزلة الاخ بيننا الامر الذي يفسر انطلاقنا بالحديث معك بكل حرية وصدق . ارجو ان تغفر ما بدر مني فاني لم اقصد اي سوء» ، قالت (ميج) ذلك ثم مدت له يدها بحركة ودودة ومتهيبة .

شعر (لوري) بخجل من جراء غضبه الطارئ ، فمد يده وضغط على اليد الصغيرة ، الكريمة التي امتدت لمصافحته وقال بصراحة : «انا الذي يجب ان يطلب الغفران اذ لم يكن تصرفي طبيعياً طوال اليوم . فانا اريد منكن ان تبينَ لي اخطائي وتحددن سلبياتي وتتصرفن معي تصرف اخواتي فلا تبالين اذا ما كنت متذمراً او غاضباً . فانا ممتنٌ لَكُنَ في كل الاحوال» .

ولكي يثبت بانه لم يكن غاضباً او متأثراً فقد حاول جهده ان يكون لطيفاً وطيباً ولذا قام بلف الخيوط لـ (ميج) وقراءة الشعر لـ (جو) وجلب

الاكواز لـ (بيث) ومساعدة (ايمي) في الرسم . وهكذا اثبت (لوري) لرفيقاته بانه شخص لائق للانتماء الى (جمعية النحلة الدؤوبة) . ووسط مناقشة محتدة حول عادات السلاحف (بعد ان شاهدت احدى هذه الحيوانات الودودة قادمة من الشاطئ) سمعوا صوت جرس نبههم الى ان (حنة) قد انتهت من اعداد الشاي وبأن الوقت قد حان لعودتهم الى المنزل لتناول وجبة العشاء .

«هل يمكنني مشاركتكن هذه الجلسة في مناسبة اخرى؟» سأل (لوري) .

«اذا كنت صبياً جيداً تحب كتابك كما يقال للاولاد في الصفوف الاولى» ، قالت (ميج) وهي تبتسم .

«ساحاول جهدي» .

«اذاً يمكنك مشاركتنا وسأعلمك الحياكة على الطريقة الاسكوتلندية ، فهناك طلب ملح على الجوارب في الوقت الحاضر» ، اضافت (جو) وهي تلوح بزوج كانت تمسك به في يدها عندما افترقن عن (لوري) عند بوابة الحديقة .

وفي تلك الامسية ، عندما اخذت (بيث) تعزف للسيد (لورنس) في الغسق ، كان لوري ينصت للمعزوفة وهو يقف في ظل الستارة فلطالما جلب اللحن هذا الهدوء الى نفسه . وقد راقب (لوري) جده الذي جلس وقد اسند رأسه الرمادي على يده وهو يستذكر حفيدته الراحلة التي احبها كثيراً . وبعد ان استذكر هو مادار عصر ذلك اليوم من حديث قال (لوري) لنفسه ، وقد عزم على تنفيذ التضحية بكل رضى ومرح :

«سانبذ قصري الذي بنيته في الهواء وسأبقى الى جانب هذا الرجل العجوز ، الحبيب طالما هو بحاجة إلي ، فأنا كل ما لديه في هذه الدنيا» .

الفصل الرابع عشر



اسرار

كانت (جو) مشغولة جداً في الغرفة العلوية . فقد بدأت ايام شهر تشرين الاول تشتد برداً والعصريات تقصر . وقد نفذت اشعة الشمس من خلال النافذة العالية تنشر الدفء في الغرفة لساعتين او ثلاث وتُظهر (جو) التي جلست على الاريكة منهمكة في الكتابة وقد نشرت اوراقها فوق صندوق امتعة كبير امامها بينما راح (سكرابل) – فأرها المدلل – يستعرض امامها ذهاباً واياباً وامام حزم الضياء العالية بصحبة صديقه الذي بدا على ما اتضح فخوراً جداً بشاربه . ومن خلال انهماكها بعملها هذا تمكنت (جو) من الكتابة حتى اتت على آخر صفحة وعند ذاك

تنفست الصعداء ودونت اسمها في نهاية الصفحة يغمرها شعور بالنشوة ثم رمت قلمها وعلقت قائلة :

«ها قد حاولت جهدي . فاذا ما اخفق عملي هذا في الوصول الى المستوى المطلوب فعلي ان انتظر حتى اتمكن من تحقيق انتاج افضل» .

وبعد ان استلقت على الاريكة قرأت المخطوطة من اولها الى آخرها بتأن وهي تضع الاشارات هنا وهناك وعلامات التعجب التي بدت مثل مناطيد صغيرة . وما ان انتهت من ذلك حتى عمدت الى ربط اوراق المخطوطة بشريط أحمر أنيق ثم نظرت اليه برهة وقد ظهر على وجهها تعبير جاد ومتأمل عكس مقدار جدية عملها ورزانته . اما منضدتها في هذه الغرفة فكانت عبارة عن خزانة مطبخ من قصدير علقت على الحائط . وقد وضعت فيها بعض اوراقها وعدداً يسيراً من الكتب التي حفظتها جميعاً من تجاوزات (سكرابل) الذي كانت له هو الآخر ميول ادبية دفعته الى التهام صفحات من الكتب التي كانت تجد طريقها امامه بصورة عرضية . ومن هذه الخزانة المعدنية اخرجت (جو) مخطوطة اخرى . وبعد ان وضعت كلتا المخطوطتين في جيبها انسلت بهدوء الى الطابق الارضي تاركة صديقيها يقضمان اقلامها ويتذوقان حبرها .

وضعت (جو) قبعتها على رأسها ، ولبست معطفها ، باقل جلبة ممكنة . ثم ذهبت الى الشباك الخلفي وخرجت الى سطح احدى الشرف الواطئة حيث تدلت منها لتهبط الى الحديقة ولتسلك بعد ذلك طريقاً ملتوياً الى الشارع . وما ان وصلت الشارع حتى هدأ روعها . ثم اوقفت حافلة مارة ، واستقلتها الى مركز المدينة ، وهي تبدو مرحة وغامضة في آن

واحد .

ولو قدر لاحد ان يراقب حركاتها لظن انها غريبة للغاية . وما ان هبطت من الحافلة حتى اسرعت في مشيها الى ان وصلت الى رقم معين لموقع في شارع مزدحم معين . وبعد ان تمكنت من العثور على المحل بمشقة نفذت الى المدخل والقت نظرة على السلم الذي تراكمت فوقه الاوساخ . ثم تريثت لحظة وقفلت عائدة الى الشارع وابتعدت باقصى ما اوتيت من سرعة . لقد كررت هذه المناورة عدة مرات الامر الذي كان مصدر تسلية لشاب اسود العينين كان يطل من شباك العمارة المقابلة . وعند عودتها للمرة الثالثة هزت (جو) نفسها ودفعت بقبعتها فوق عينيها ثم صعدت السلم وقد بدت كمن كان على وشك ان تُقلَعَ اسنانه جميعاً مرة واحدة .

فمن جملة اللافتات التي اعتلت واجهة البناية كانت هناك لافتة لطبيب اسنان . وبعد ان حدق لحظة في الفك الاصطناعي الذي كان ينفتح وينغلق ببطء لجلب انتباه المارة الى مجموعة متكاملة من الاسنان الصحية ، الجميلة ، لبس ذلك الشاب معطفه ووضع قبعته على رأسه ونزل ليقف مقابل المدخل وهو يقول بابتسامة ورجفة :

«ان مجيئها بمفردها هو مايتوقع من (جو) القيام به ولكنها ستحتاج حتماً الى المساعدة للوصول الى البيت اذا ماخرجت وهي تشكو من ألم» .

وبعد مضي عشر دقائق هبطت (جو) السلم مسرعة وكان وجهها محمراً وبدت عليها آثار من قد مر بتجربة قاسية من نوع ما . وعندما رأت

الشاب لم يبد عليها الارتياح ابداً وحين مرت به اكتفت بايماءة من رأسها . ولكنه تعقبها وهو يسأل بتعاطف :

«هل قاسيت كثيراً؟» .

«كلا» .

«لقد انتهيت بسرعة» .

«اجل والحمد لله» .

«لماذا ذهبت لوحدك؟» .

«لم اشأ ان يعرف احد» .

«انت اغرب صديق عرفته . كم سناً قلعت؟» .

«نظرت (جو) الى صديقها وكأنها لم تفهمه ثم انفجرت ضاحكة وكأن شيئاً قد دفعها الى الضحك .

«هناك سنان اردتِ اقتلاعهما ولكن علي الانتظار اسبوعاً» .

«ماالذي يضحكك؟ لااظنك قد ارتكبت حماقة ما يا (جو)؟» قال (لوري) وهو يبدو حائراً .

«وكذلك انت . هل لك ان تخبرني ، ياسيدي ، ماذا كنت تفعل هناك في ذلك المحل الخاص بلعب البليارد؟» .

«استميحك عذراً يا سيدتي ، فالمكان لم يكن محلاً لممارسة لعبة البليارد بل قاعة للألعاب الرياضية حيث كنت اتلقى درساً في لعبة الشيش» .

«يسرني سماع ذلك» .

«لماذا؟» .

«باستطاعتك ان تعلمني هذه اللعبة وعندما نقوم بتمثيل مسرحية هامليت تمثل انت دور (لايرتيسن) وسيكون مشهد المبارزة رائعاً للغاية .

انفجر (لوري) بضحكة صبيانية صميمة دفعت عدداً من المارة الى الابتسام رغماً عنهم .

«ساعلمك اللعب بالشيش سواء قمنا بتمثيل مسرحية (هاملت) ام لم نقم . انها لمتعة رائعة وسوف تعود عليك بالفائدة ولكنني لااظنها السبب الذي دفعك الى قول «يسرني سماع ذلك» بنبرة قاطعة ، اليس كذلك؟» .

«كلا فقد سرني انك لم تكن في المشرب لاني آمل ان لاتتردد على مثل هذه الاماكن اليس كذلك؟» .

«لااتردد عليها كثيراً» .

«ليتك لاتفعل ذلك ابداً» .

«لاضرر في ذلك يا (جو) . فلدي طاولة بليارد في البيت ولكن ما جدوى ذلك من دون لاعبين ماهرين . ولما كنت مولعاً بهذه اللعبة فاني آتي الى هذا المحل للاشتراك في لعبة مع (فيد موفيت) او غيره من الاصدقاء والمعارف .

«يا للهول! يؤسفني سماع ذلك ، إذ أنك لاشك ستزداد حباً لهذه الممارسة وستضيع الوقت والمال وتصبح مثل هؤلاء الاولاد المقرفين . آمل ان تبقى شخصاً محترماً وتكون قدوة حسنة لاصدقائك» ، قالت (جو) وهي تهز رأسها .

«الا يمكن للانسان الانهماك في متعة بريئة بين الاونة والاخرى دون

ان يفقد مكانته المحترمة؟» سأل (لوري) وقد بدا متضايقاً .

«يعتمد ذلك على كيفية ممارسته لهذه المتعة وعلى محل ممارسته لها . فاني لااحب (نيد) ورفقته وليتك تمتنع عن الاختلاط بهم . فأمنا ترفض قيامنا باستقبال (نيد) في بيتنا على الرغم من رغبته في المجئ واذا ما اصبحت مثله فلن تكون راضية على معاشرتنا لك كما هو الحال الآن» .

«لن تكون راضية اذاً؟» سأل (لوري) بلهفة .

«كلا لانها لاتهوى الشباب المائعين الذين لاتستهويهم سوى الازياء السائدة والتوافه وهي تفضل ان تحبسنا في العلب الخاصة لحفظ القبعات بدلاً من معاشرة هذا النوع من الشباب» .

«لاداعي لتهيئة هذه العلب الآن فلست من الذين يسعون وراء الازياء ولن تكون لي اية رغبة في ذلك ولكني اهوى الانغماس في المتع البريئة بين حين وآخر . الاتحبين ذلك انت شخصياً» .

«لاضرر في ذلك ابداً فتمتع ماشئت ولكن عليك ان لاتسرف فيها والا انتهت صداقتنا واوقاتنا الجميلة» .

«ساكون قديساً تقياً وورعاً جداً» .

«لا احب القديسين . ماعليك سوى ان تبقى شاباً بسيطاً ، اميناً ومحترماً ولن نتخلى عنك ابداً . لا ادري ماعساي ان افعل لو انك تصرفت تصرف ابن السيد (كنج) الذي كان لديه الكثير من المال ولكنه لم يعرف كيف يحسن استخدامه ولذلك فانه لجأ الى معاقرة الخمور وممارسة القمار وفر من اهله ناسياً اسم عائلته فكان بتصرفه هذا منفراً على ما اعتقد» .

«هل تظنين ان بامكاني القيام بنفس العمل؟ شكراً على كل حال».

«كلا لااظن ذلك ، ارجو ان تصدقني .

ولكنني سمعت الناس يتكلمون كثيراً عن المال وكيف انه يمكن ان يكون مصدر اغراء لدفع البعض الى القيام بالاعمال المنكرة . وكم تمنيت احياناً ان تكون معدماً اذ ينتهي قلقي بعد ذلك»

«وهل تقلقين بشأني يا(جو)؟»

«بعض الشيء عندما تبدو متقلب المزاج او متذمراً كما هو شأنك في بعض الاحيان . ولاتنس ان لك ارادة قوية فمتى ماخطوت خطوة خاطئة فمن الصعب ايقافك على مااعتقد».

مشى (لوري) بصمت لبضع لحظات . وكانت (جو) تراقبه وتتمنى لو انها بقيت صامتة فقد ظهر الغضب في عينيه وان بقيت شفتاه مبتسمتين وكأنهما تستجيبان للتحذير

«هل تصرين على نصحي وارشادي الى حين وصولنا الى البيت؟»

«لانك اذا اصررت فسوف استقل حافلة الى البيت واذا توقفت عن ذلك سرني السير معك واخبارك امراً مثيراً للاهتمام» .

«لن اعظك بعد الآن واود سماع مالديك من اخبار»

«حسن اذاً . هيا بنا . انه سر . فاذا مااطلعتك على سري يجب ان تطلعيني على سرك» ايضاً.

«ليس لدي اية اسرار» بدأت (جو) ولكنها توقفت فجأة بعد ان تذكرت ان لديها سراً .

«انك تدركين جيداً ان لديك سراً . لايمكنك اخفاءه . هيا اعترفي

والا رفضت اخبارك».

صاح (لوري)

«هل سرك شيئ جميل؟»

«انه حقاً لكذلك! انه يتعلق باناس تعرفينهم . ياله من متعة للسامع . لابد لك من سماعه . كنت اتوق الى اخبارك . هيا ابدأي انت اولاً»

«لن تخبر احداً في البيت عن سري اليس كذلك؟»

«لن انبس بحرف واحد»

«ولن تضايقني عندما نكون بمفردنا؟»

«اني لا اضايق احداً اعتيادياً» .

«بل انك تفعل ذلك . فانت تحصل على ماتريد من الناس ولا ادري كيف تتمكن من ذلك . انك انسان متملق بالفطرة» .

«شكراً . هيا اخبريني» .

«حسن . لقد سلمت احد الصحفيين قصتين وقد وعدني النظر في امكانية نشرهما واعطائي الجواب النهائي بهذا الصدد في الاسبوع المقبل» همست (جو) في اذنه المؤتمنة على الاسرار .

«تعيش الانسة (مارتش) الكاتبة الامريكية المشهورة» صاح (لوري) وهو يقذف بقبعة الى اعلى ثم يمسكها . فكان عمله هذا مصدر متعة كبيرة لبطتين واربع قطط وخمس دجاجات وستة صبيان ايرلنديين . لقد وصل (لوري) و (جو) الى منطقة تقع خارج حدود المدينة .

«صه! فقد لاتنجح محاولتي هذه ولكنني اضطررت الى المحاولة لكي اريح ضميري ، ولم اخبر احداً لانني لم اشأ ان يصاب احد بخيبة امل» .

«انها ستنجح بالتأكيد . ان قصصك ، يا (جو) هي من طراز الاعمال الشكسبيرية اذا ماقورنت بما ينشر من تفاهات كل يوم . ياله من امر ممتع عندما يتم نشر اعمالك . سوف نشعر بالفخر بكاتبتنا» .

تلامعت عينا (جو) لان الايمان بالمرء هو امر يبعث على الغبطة والسرور . كما ان المديح الصادر من صديق هو افضل بكثير مما تقوله الصحف من عبارات اطراء فارغة .

«اين سرك؟ عليك ان تكون منصفاً ، يا (تيدي) والا لن اصدقك ابداً» قالت (جو) وهي تحاول اطفاء جذوة الامال التي بدأت تتوهج نتيجة ماسمعته من تشجيع .

«قد يعرضني البوح بسري الى المشاكل ولكنني لم اعد احداً بعدم البوح به ولذلك فسوف اخبرك ولن يرتاح لي بال حتى احيطك بكل مالدي من اخبار . اني اعرف مكان قفاز (ميج) » .

«اهذا سرك؟» سألت (جو) وقد بدت عليها خيبة الامل بينما راح (لوري) يومئ ويبتسم بوجه مليء بفطنة غامضة .

«يجب ان تكتفي بهذا القدر منه الآن اذ ستؤيديني عندما اخبرك اين هو بالضبط» .

«اخبرني اذاً» .

انحنى (لوري) وهمس ثلاث كلمات فقط في اذن (جو) احدثت تغييراً مضحكاً: وقفت (جو) وحدقت فيه ، وقد بدت عليها الدهشة وآثار الاستياء . ثم واصلت سيرها وهي تقول بحدة: «كيف عرفت؟»

«لقد شاهدته»

«أين؟»

«في الجيب»

«طيلة هذا الوقت؟»

«اجل . اليس ذلك امراً عاطفياً للغاية؟»

«كلا انه شيئ مقرف»

«الا يعجبك الامر؟»

«كلا لايعجبني .. انه سخيف ومثير للسخرية وسوف لايليق اي قبول . يالصبري ! ماذا ستقول (ميج) ياترى؟»

«عليك عدم اخبار اي انسان بهذا الامر ولابد من التزامك بهذا الوعد» .

«لم اعد بذلك» .

«كان امراً مفهوماً وقد وثقت بك»

«لن اخبر احداً في الوقت الحاضر على كل حال ولكن الامر يقرفني . ليتك احجمت عن اخباري»

«ظننت ان الامر يسرك» .

«وهل تسرني فكرة قيام اي شخص بأخذ اختي بعيداً عنا؟ شكراً فالامر لايسرني ابداً»

«سوف يكون لديك شعور افضل عندما يتقدم شخص ليأخذك بعيداً» .

«ليته يحاول» قالت (جو) بعنف .

«اود ان اشهد مثل المحاولة» قال (لوري) وهو يضحك ضحكة

خافتة لهذه الفكرة .

«لاأظن ان الاسرار تناسبني . اني اشعر باضطراب وعدم راحة منذ ان اخبرتني الخبر هذا» قالت (جو) بلهجة نمت عن بعض الجحود .

«لنتسابق الى اسفل هذا التل وستشعرين بانك قد اصبحت في حال افضل» قال (لوري) مقترحاً .

لم يكن ثمة احد موجوداً وقد انحدر الطريق امامها على نحو مغرٍ . وبعد ان وجدت ان الدعوة كانت مغرية ولايمكن مقاومتها انطلقت (جو) راكضة وهي تنثر دبابيس شعرها اثناء ذلك وقد تركت قبعتها ومشطها خلفها . ولكن (لوري) وصل الهدف قبلها وقد بدا راضياً عن نجاح هذا العلاج .

وسرعان ماجاءت رفيقته لاهثة وقد تطاير شعرها وتلامعت عيناها واحمرت خدودها وذهب عنها كل اثر للانزعاج .

«ليتني كنت حصاناً لاتمكن من العدو اميالاً في هذا الهواء الطلق دون ان اشعر بالتعب .

هيا اذهب والتقط حاجياتي التي سقطت مني» .

قالت (جو) وهي تجلس تحت شجرة القبقب التي غطت الشاطئ باوراقها القرمزية اللون .

انطلق (لوري) لاستعادة الاشياء التي سقطت بينما راحت (جو) تعيد تصفيف شعرها متمنية ان لايمر احد قبل ان تكون قد استعادت مظهرها اللائق . ولكن شخصاً مامر ولم يكن سوى (ميج) التي بدت في كامل اناقتها فهي ترتدي افضل مالديها من فساتين . لقد كانت تقوم ببعض

الزيارات .

«ماذا تفعلين هنا؟» سألت (ميج) اختها التي بدت في مظهر غير مرتب . وقد طرحت (ميج) سؤالها بلهجة نمت عن دهشة فتاة تحسن التصرف .

«اني اجمع بعض الاوراق» اجابت (جو) بخنوع وهي تصفف الحفنة الحمراء التي التقطتها .

«ودبابيس الشعر» اضاف (لوري) وهو يقذف بعدد من الدبابيس الى حضن (جو) . «انها تنبت على جوانب الطرقات يا (ميج) وكذلك الامشاط والقبعات البنية المصنوعة من القش» .

«كنت تركضين يا (جو)! كيف يمكنك القيام بذلك؟ ومتى ستتوقفين عن القيام بهذه الالاعيب والمغامرات الصبيانية» قالت (ميج) وهي تزجر اختها وترتب طرف كمي ثوبها وتعدل شعرها الذي عبث به الهواء بحرية مطلقة .

«لن اتوقف عن ذلك حتى اصبح عجوزاً متيبسة لااستطيع الحركة الا بواسطة العكازات .

لاتحاولي ان تجعليني اسبق عمري يا (ميج) .

انه لمن الصعب علينا ان نواكب تغيرك المفاجئ فاتركيني كي اكون فتاة صغيرة لاطول فترة ممكنة»

واثناء حديثها انحنت (جو) فوق الاوراق التي جمعتها لتخفي الرجفة التي اعترت شفتيها فقد شعرت مؤخراً بأن (مارجريت) قد اخذت تنضج بسرعة لتصبح امرأة كما ان سر (لوري) جعلها تتهيب من الفراق الذي

لابد من تحقيقه في يوم ما وقد بدا وشيكاً جداً في تلك اللحظة .

وقد رأى (لوري) المشكلة تنعكس على وجهها ولذلك عمد الى صرف انتباه (ميج) عنها من خلال سؤال طرحه بسرعة قائلاً : «من كنت تزورين وانت على هذه الهيئة الرائعة؟» .

«ذهبت لزيارة عائلة (جاردنر) وقد اخبرتني (سالي) تفاصيل حفلة زواج (بيل موفيت) . لقد كانت حفلة رائعة وقد ذهب العريسان لقضاء فصل الشتاء في باريس . فيمكنك ان تتصور بهجة ان يتمكن الانسان من قضاء فصل باكمله في باريس» .

«الا تحسدينها يا (ميج)؟» سأل (لوري) .

«اخشى ان احسدها حقاً» .

يسعدني سماع ذلك» ، تمتمت (جو) وهي تربط شريط قبعتها برعشة .

«لماذا؟» تساءلت (ميج) وقد بدت عليها الدهشة .

«لان اهتمامك بالثراء يعني انك لن تتزوجي من شخص معدم» ، قالت (جو) وهي تنظر الى (لوري) بوجه متجهم بينما راح هو يحذرها ان تراعي ماتقول بعمق .

«لن اذهب واتزوج كائناً من كان» ، قالت (ميج) وهي تمشي بحشمة امامها وهما يضحكان ويتهامسان ويثبان فوق الحصى و «يتصرفان مثل الاطفال» على حد تعبير (ميج) التي راحت تكلم نفسها ، ويحتمل انها كانت تريد الاشتراك معهما فيما كانا يفعلان لو لم تكن قد لبست افضل فستان لديها .

لمدة اسبوع او اثنين نهجت (جو) نهجاً غريباً حير اخواتها وادهشهن . فكانت تهرع الى الباب الرئيس كلما طرقه ساعي البريد وكانت فظة في معاملتها مع السيد (برووك) كلما التقيا ، وكانت تصر على النظر الى (ميج) بوجه كئيب وتنتفض احياناً لتذهب الى اختها وتهزها ثم تقبلها بطريقة غامضة جداً . وكانت تتبادل الاشارات مع (لوري) دوماً كما كانا يتحدثان عن ممارسات (الانتشار) بحيث اضطرت الاخوات الى القول بانهما – اي (لوري) و (جو) – لربما قد فقدا عقليهما . وفي السبت الثاني الذي تلا خروج بيث من الشباك اصطدمت (ميج) – التي جلست تخيط قرب الشباك – بمنظر (لوري) وهو يطارد (جو) في الحديقة ويتمكن اخيراً من القبض عليها في تعريشة (ايمي) . اما ماذا حصل في التعريشة فلم تتمكن (ميج) من مشاهدته ولكنها سمعت اصوات ضحك عالية تلتها اصوات همس ثم صوت رفرفة عظيمة لعدد من الصحف .

«ما عسانا نفعل بهذه الفتاة؟ إنها لن تتصرف مثل الاوانس المهذبات» ، قالت (ميج) وهي تتنهد وتراقب السباق الجاري امامها بوجه غاضب بدت عليه امارات الاستهجان .

«اتمنى ان لاتكبر وتتصرف تصرف الاوانس المهذبات . فهي مسلية ومحبوبة جداً كما هي عليه الآن» ، قالت (بيث) التي لم تخبر احداً بالمرة بانها متألمة بعض الشيء لان (جو) قد اخذت تتبادل الاسرار مع شخص آخر غيرها» .

«انه لأمر مرهق للغاية ولكننا مع ذلك قد عجزنا عن تقويمها» ، اضافت (ايمي) التي جلست تضيف شريطاً من الدانتيلا الى ثوبها وقد

عقصت شعرها بطريقة لائقة جداً .

وبعد لحظات وثبت (جو) الى داخل الغرفة واستلقت على الاريكة وتظاهرت بالقراءة .

«هل لديك اي شيئ مثير للاهتمام» ، قالت (ميج) بلهجة تعطف .

«انها مجرد قصة لااهمية لها على ماأظن» ، اجابت (جو) وهي تتعمد اخفاء اسم الصحيفة التي كانت تتظاهر بمطالعتها .

«من الافضل ان تقومي بالقراءة بصوت جهوري لكي نتمتع بسماع ماتقرأين ومن اجل ان تبقي بعيدة عن المشاكل ايضاً» ، قالت (ايمي) بلهجة فتاة راشدة .

«ماعنوان الموضوع؟» سألت (بيث) وهي تحاول ان تفهم سبب قيام (جو) باخفاء وجهها وراء الصحيفة .

«الرسامون المتنافسون» .

«يبدو شيقاً . ابدأي بالقراءة» ، قالت (ميج) .

بعد ان تنحنحت بصوت عالٍ وتنفست بعمق بدأت (جو) تطالع بسرعة . وقد انصتت لها البنات باهتمام لان القصة كانت عاطفية مشوبة بمسحة حزن بسبب موت معظم ابطالها في النهاية .

«يعجبني ماكتب عن الصورة الجميلة» ، قالت (ايمي) باستحسان بعد ان توقفت (جو) لحظة .

«افضل الجزء المتعلق بالحبيبين فـ (فايولا) و (انجيلو) هما من الاسماء المفضلة عندنا . اليس هذا غريباً» ، قالت (ميج) وهي تجفف عينيها لان هذا الجزء من القصة كان مأساوياً .

«من كتب القصة؟» سألت (بيث) التي كانت قد لمحت وجه (جو) وراء الصحيفة .

وفجأة جلست القارئة ودفعت بالصحيفة وهي تظهر وجهاً اصطبغ بحمرة قانية وظهرت عليه امارات التأثر المشوبة بالجدية وقالت «اختكن» .

«انت؟» صاحت (ميج) بعد ان تركت عملها .

«انه عمل رائع» ، قالت (ايمي) بلهجة ناقدة . لقد ادركت ذلك! اجل ادركته . آه يا (جو) كم انا فخورة بك» ، قالت (بيث) ثم راحت تعانق اختها وهي تطير فرحاً لهذا النجاح الرائع .

تعجز العبارات عن وصف فرحة الاخوات : كيف ان (ميج) رفضت أن تصدق ماقالته (جو) إلاّ بعد ان شاهدت بعينيها عبارة بقلم الانسة (جوزفين مارتش) ، وكيف قامت (ايمي) بنقد الاجزاء الفنية من القصة بلطف ورقة واقترحت بعض التعديلات على سياق معين إلا ان ما اقترحته لم يكن عملياً في ضوء وفاة البطل والبطلة في آن واحد ، وكيف بلغ التأثر بـ (بيث) الى درجة انها قامت تقفز وتغني فرحاً ، وكيف جاءت (حنة) لترى ما حدث ولتقول «حفظكن الله ، اكاد لااصدق» وقد اخذتها الدهشة لانجاز (جو) ، وكيف شعرت السيدة (مارتش) بالفخر عندما علمت بتفاصيل ماحدث ، وكيف ضحكت (جو) وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهي تعلن انها تستحق ان تصبح طاووساً لكي تنفش ريشها وتمشي بخيلاء وكيف استحق هذا البيت قيام النسر بنشر جناحيه عليه ابتهاجاً بالنصر . اجل! لقد حدث كل ذلك والصحيفة تنتقل من

يد الى اخرى .

«اخبرينا بالتفاصيل . كيف تم كل ذلك؟ وكم تقاضيت لقاء هذه القصة؟ ماذا سيقول ابونا ياترى؟ كم سيفرح (لوري) عندما يدرك ماحدث؟» هذا ما رددته العائلة من اسئلة اثناء ابتهاجها بما حققته (جو) ، فكل فرحة ، صغيرة ام كبيرة ، لها صدى واسع في مجتمع الاخوات (مارتش) الساذجات ، الودودات .

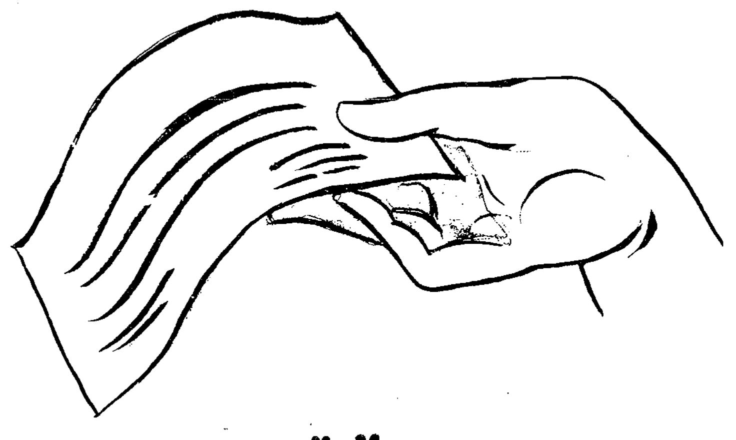
«كفاكن ثرثرة ، ايتها الفتيات ، وسأخبركن بالتفاصيل» ، قالت (جو) وهي تتساءل ما اذا كانت الآنسة (بورني)* – عندما كتبت روايتها (إيفلينا) – قد انتابها شعور بالفخر والعظمة يوازي ما انتابها هي بالذات بعد ان حققت قصة «الرسامون المتنافسون» هذا النجاح . وبعد ان قصت على اخواتها كيف تمكنت من تسليم قصتيها الى الجهة الناشرة واصلت (جو) كلامها قائلة : «وعندما ذهبت لاعرف النتيجة اخبرني الشخص المعني بانه قد احب القصتين ولكن جريدته لاتدفع اية مكافأة او اتعاب للمبتدئين بل تكتفي بنشر الاعمال الجيدة فقط . ثم قال بعد ذلك بان مثل هذا العمل يشكل ممارسة جيدة وجديرة بالتقدير وعندما يحقق المبتدئون تحسناً في نوعية اعمالهم سيجدون الكثير ممن يدفعون لهم اجوراً لقاء اعمالهم . ولذلك قررت اعطاءه القصتين واستلمت هذه النسخة من الصحيفة اليوم وقد لاحظ ذلك (لوري) الذي اصر على الاطلاع عليها الامر الذي اضطرني للاستجابة لمطلبه . حين اعجبه العمل

* الآنسة (بورني) – هي فرانسيس بورني (١٧٥٢ – ١٨٢٤) الكاتبة الروائية الانكليزية التي كتبت عدة اعمال كان اشهرها رواية (إيفلينا) التي رفعتها الى مصاف كبار الادباء والاديبات . المترجم

وهذا ماقاله وعليه فقد قررت كتابة المزيد من القصص وسيؤمن لي ذلك استلام اجور القصة التالية . اني مسرورة جداً اذ بعد مضي بعض الوقت سأتمكن من دعم نفسي ومساعدة البنات» .

وهنا توقفت (جو) عن الكلام بعد انقطاع نَفَسِها . وبعد ان غطت رأسها بالصحيفة فانها بللت قصتها الصغيرة ببضع دمعات حقيقية فقد كان تحقيق الاستقلال وكسب ثناء من تحبهم من اغلى الأمنيات واقربها الى نفسها وكانت هذه المناسبة بالذات هي الخطوة الاولى باتجاه ذلك الهدف السعيد .

الفصل الخامس عشر



برقية

«ان شهر تشرين الثاني هو ابغض شهر في السنة» ، قالت (مارجريت) وهي تقف امام النافذة في احدى أعصر هذا الشهر الكئيبة وتنظر الى الحديقة التي غطاها الصقيع .

«وهذا يفسر سبب ولادتي في هذا الشهر» ، علقت (جو) بحزن وكآبة وهي لا تدري بوجود لطخة حبر على انفها .

«لو حدث شيءٌ مفرح لقلنا انه شهر بهيج» ، قالت (بيث) التي كانت تنظر الى الامور بتفاؤل حتى في شهر تشرين الثاني .

«هذا صحيح . ولكن لايحدث اي شيءٌ مفرح لهذه العائلة» ، قالت

(ميج) التي كانت تشعر بضيق . «اننا نكدح من يوم الى آخر دون اي تغيير في حياتنا او مناسبة ممتعة ، فحياتنا عبارة عن روتين مضجر .

«يالصبري! السنا في هاوية الاحزان!» صاحت (جو)» . اني لااستغرب لشعورك هذا ، ياعزيزتي البائسة ، وانت تشاهدين بقية الفتيات ينعمن باوقات سعيدة بينما تضطرين انت للعمل المضني على مرور السنين . اتمنى لو اتمكن من مساعدتك كما افعل مع بطلات قصصي . فانت فتاة طيبة وجميلة ولو كنت احدى بطلاتي لعمدت الى دفع احد اقاربك الموسورين الى ترك ثروته لك بصورة مفاجئة لتنطلقي في ارجاء الدنيا وانت وارثة عظيمة تزورين كل من استهان بك ثم تسافرين خارج البلاد وتعودين وانت (الليدي فلانة) وسط مظاهر الترف والغنى» .

«لايحصل الناس على الثروات بهذه الطريقة في ايامنا هذه : فالرجال مجبرون على الخروج للعمل والنساء يجدن انفسهن مضطرات للزواج من رجال اغنياء . انه عالم غير منصف» ، قالت (ميج) بمرارة .

«سنعمل انا و (جو) لكي نكون ثروات لكما ولبقية افراد العائلة فما عليكما سوى الانتظار فترة عشر سنوات لكي يتبين لكما صدق ما نقول» ، قالت (ايمي) التي جلست في زاوية منهمكةً في عمل فطائر طينية وهذا ما كانت (حنة) تطلقه على التماثيل الصغيرة للطيور والورود والوجوه التي كانت تصنعها (ايمي) من الطين .

«لايسعني الانتظار لانني اخشى فانا لاأؤمن بالحبر ولابالطين بغض النظر عما اكنه لكما من امتنان لشعوركما الطيب» .

تنهدت (ميج) ثم التفتت مرة اخرى لتنظر الى الحديقة التي غطاها الصقيع . وتنهدت (جو) وهي تضع مرفقيها على المائدة بشكل كئيب . اما (ايمي) فقد واصلت عملها دون ان تنبس بحرف واحد بينما قالت (بيث) التي جلست امام الشباك الآخر وهي تبتسم :

«هناك شيئان لطيفان سيتحققان اولهما مجيءُ (مامي) التي اراها تمشي في الشارع متجهة نحو البيت وثانيهما ان (لوري) قادم الينا ولديه على مايبدو خبر سار» .

«ودخل الاثنان في وقت واحد . وما ان دخلت السيدة (مارتش) حتى طرحت سؤالها الاعتيادي «هل هناك ثمة رسالة من أبيكن؟» اما (لوري) فقد قال بطريقته المقنعة : «هل ترغب ايٌّ منكن في الذهاب في نزهة بالعربة . لقد انهمكت في حل المسائل الرياضية حتى انفجر رأسي من شدة الالم ولذلك قررت التوقف لفترة قصيرة انشد فيها الراحة من خلال جولة قصيرة . انه يوم كئيب ولكن الهواء عليل . وسوف اذهب لاحظار (بroوك) وبذلك سيكون الجو داخل البيت ممتعاً . هيا يا (جو) فانت و (بيث) ترغبان في هذه النزهة اليس كذلك؟» .

«اننا نرغب بذلك بالتأكيد» .

«اني ممتنة لهذه الدعوة ولكنني مشغولة» ، قالت (ميج) واخرجت سلة الخياطة لانها قد اتفقت مع امها بان الشيءَ الأفضل – بالنسبة لها على الاقل – هو عدم اكثارها من الخروج الى التنزه مع الشبان .

«نحن الثلاث سنكون جاهزات بعد لحظة» ، صاحت (ايمي) وهي تسرع لغسل يديها .

«هل من خدمة اسديها لك ياسيدتي الوالدة؟» سأل (لوري) وهو ينحني فوق كرسي السيدة (مارتش) وينظر اليها نظرة حنان ومودة بعد ان كلمها بذلك الاسلوب المؤدب الذي اعتادته منه .

«كلا . شكراً جزيلاً باستثناء قيامك بالذهاب الى دائرة البريد لان اليوم موعد استلامنا رسالة من السيد (مارتش) وقد تأخر ساعي البريد في القدوم . ان السيد (مارتش) لايقل انتظاماً فيما يقوم به من اعمال عن ظهور وغياب الشمس . ولربما هناك تأخير من نوع ما في الطريق» .

قطعت سياق حديث السيدة (مارتش) رنة جرس حادة وماهي لحظة حتى دخلت (حنة) وهي تحمل رسالة وتقول :

«انها من نوع الرسائل المقرفة التي تسمى بالبرقيات» ، قالت (حنة) وسلمت البرقية كأنها تخشى من احتمال انفجارها واحداث بعض الاضرار .

وبمجرد سماعها عبارة (برقية) قامت السيدة (مارتش) بانتزاع البرقية من يد (حنة) . وما ان انتهت من قراءة السطرين اللذين احتوتهما حتى تهاوت وشحب لونها وكأن (البرقية) اطلاقة نارية وجدت طريقها الى قلبها . هرع (لوري) لجلب شيء من الماء بينما امسكت بها كل من (ميج) و (حنة) اما (جو) فراحت تقرأ بصوت عالٍ نم عن الخوف :

الى السيدة مارتش

زوجك مريض جداً . احضري فوراً .

اس . هيل

مستشفى بلانك/واشنطن

خيم على الغرفة صمت مطبق عندما انصت الجميع وقد حبسوا انفاسهم ، واصبح النهار قاتماً بشكل غريب خارج البيت ، وتغير العالم بصورة فجائية فيما التفت الفتيات حول امهن وهن يشعرن كأن سندهن وسعادتهن على وشك ان يسلبا منهن . وسرعان ما استعادت السيدة (مارتش) رباطة جأشها ثم قرأت البرقية ثانية ومدت ذراعيها الى بناتها وقالت بنبرة لم ينسينها ابداً : «سأذهب فوراً وقد يكون ذهابي بعد فوات الاوان فساعدنني يا بناتي على تحمل هذه المصيبة» .

ولدقائق مرت لم يكن هناك سوى صوت النحيب تتخلله عبارات التعزية والتأكيدات الرقيقة على المساعدة والهمسات المتفائلة التي ماتت بفعل الدموع . وقد استطاعت (حنة) ان تتمالك نفسها قبل الجميع . وبحكمة غير مقصودة صارت قدوة حسنة لان العمل ، بالنسبة لها ، كان خير مرهم للجروح .

«ليحفظ الله رب الدار ويبقيه . لن نضيع الوقت بالبكاء والنحيب . هيا ياسيدتي تهيأي للسفر على الفور» ، قالت بلهجة حادة وهي تمسح دموعها بمئزرها وتهز يد سيدتها بدفء ولطف ثم انصرفت لتعمل بقوة ثلاث نساء .

«صدقت (حنة) فلا وقت لدينا للدموع الآن . هيا تمالكن انفسكن ايتها الفتيات واسمحن لي بالتفكير» .

حاولت الفتيات البائسات الالتزام بالهدوء اثناء قيام امهن بالاعتدال في جلستها وهي تبدو شاحبة لكنها متمالكة لنفسها . ثم وضعت احزانها جانباً لتفكر وتخطط من اجلهن .

وبعد ان جمعت شتات افكارها قالت متسائلة : «اين (لوري)؟» لقد حددت الواجبات الاولى التي يجب تنفيذها .

«ارجوك يا سيدتي دعيني اقوم بخدمة ما» ، قال (لوري) الذي هرع عائداً من الغرفة الاخرى التي كان قد انسحب اليها وهو يشعر بان احزانهن كانت اكثر قدسية من ان تقع عليها حتى عيناه الودودتان .

«ارسل برقية تخبر من خلالها اني قادمة على الفور . سيكون موعد سفر القطار التالي في الصباح الباكر وساستقل هذا القطار» .

«وماذا بعد ذلك؟ ان الخيل جاهزة . استطيع الذهاب الى اي مكان وتنفيذ اي مهمة توكل لي» ، قال وقد بدا مستعداً للانطلاق الى اطراف العالم .

«اترك رسالة في بيت العمة (مارتش) . ناوليني ذلك القلم وتلك الورقة يا (جو)» .

وبعد ان قصت ورقة من دفترها قامت (جو) بدفع الطاولة امام والدتها وهي تدرك جيداً ضرورة استقراض مبلغ السفر المطلوب لهذه الرحلة الطويلة ، الحزينة وتشعر في نفس الوقت كما لو انها كانت تستطيع القيام بشيئ من اجل اضافة مبلغ متواضع للمبلغ الذي سيعد لسفر امها .

«والآن اذهب ياعزيزي ولكن عليك ان تتجنب السياقة بسرعة إذ لاداعي لها ابداً» .

ولكن وصية السيدة (مارتش) قد اهملت كما بدا اذ انطلق (لوري) بعد خمس دقائق من امام الشباك راكباً حصانه الذي اخذ يعدو بسرعة

البرق وكأن راكبه يحاول النجاة بحياته من خطر ما .

«اذهبي يا (جو) واخبري السيدة (كنج) اني لن استطيع القدوم ، وعند عودتك ارجو ان تجلبي هذه الاشياء التي سادونها لك اذ ساكون بحاجة لها لاني يجب ان اتهيأ لاعمال التمريض . ثم ان مذاخر المستشفيات لاتحتوي دائماً على كل ما يحتاجه المرضى . (بيث) اذهبي الى السيد (لورنس) واطلبي منه زجاجتين من النبيذ المعتق فعلي ان انسى عزة النفس في سبيل ابيكن : لابد ان نعطيه افضل الاشياء . (ايمي) اطلبي من (حنة) تهيئة صندوق الملابس الاسود اللون . اما انت يا (ميج) فتعالي معي لتساعديني على اخذ ما احتاج من حاجيات لاني مرتبكة وحائرة» .

قد يربك التفكير والتوجيه والكتابة في آن واحد هذه السيدة المسكينة ولذلك طلبت (ميج) من امها الجلوس بهدوء في الغرفة بعض الوقت وترك البنات يقمن بما طلبته منهن من واجبات .

وهكذا تشتت الجميع تشتت الاوراق في مهب الريح وانقلب ذلك البيت السعيد ، الهادئ فجأة وكأن البرقية قد جاءت بتعويذة شريرة .

حضر السيد (لورنس) مسرعاً بصحبة (بيث) وقد جلب معه كل ما استطاع من اسباب الراحة التي تؤمن للمريض ما يريد ، كما اعطى الوعود لحماية الفتيات اثناء غياب امهن الامر الذي اراح السيدة (مارتش) كثيراً . ولم يُبقِ السيد العجوز امراً لم يعده ابتداءاً من سترته وانتهاءً بشخصه فقد تبرع بمرافقة السيدة (مارتش) الى واشنطن . ولكن السيدة (مارتش) لم تكن على استعداد لقبول تضحيته في القيام بهذه الرحلة الطويلة . ومع ذلك فقد ظهرت على وجه السيدة امارات

الارتياح عندما تقدم اليها بعرضه هذا . وقد لاحظ هذه النظرة فعقد حاجبيه الكثيفين وفرك يديه ومشى مبتعداً وهو يعد بالعودة . ولم تجد ايٌّ منهن متسعاً من الوقت لتذكر السيد (لورنس) ثانية حتى وجدت (ميج) نفسها فجأة امام السيد (برووك) وذلك عندما كانت تهرع الى امها وهي تحمل نعلاً بيد وفنجاناً من الشاي باليد الاخرى .

«يؤسفني سماع هذه الاخبار يا آنسة (مارتش)» ، قال بصوت هادئ حنون وقع من نفسها المضطربة موقعاً حسناً . «لقد قدمت لاعرض على والدتك استعدادي لمصاحبتها . لقد كلفني السيد (لورنس) القيام ببعض الاعمال في واشنطن وسأكون سعيداً جداً لو تمكنت من القيام بخدمة والدتك اثناء وجودها هناك» .

سقط النعل من يدها وكاد يلحق به فنجان الشاي عندما مدت (ميج) يدها وظهرت على وجهها امارات الشكر والامتنان بشكل كان كفيلاً ان يُشعِر السيد (برووك) بانه قد استلم في الواقع تعويضاً كاملاً عن تضحية اكبر بكثير من تضحيته بالوقت والراحة التي كان على وشك ان يقوم بها .

«ما اكرمكم جميعاً . ستقبل امي هذا العرض بالتأكيد . وانه لمن دواعي ارتياحنا ان ندرك ان هناك من يقوم برعايتها ويسهر على خدمتها . فشكراً جزيلاً .

تكلمت (ميج) بصدق ونسيت نفسها ولكن ثمة شيئ في العيون البنية التي كانت تطل عليها جعلها تتذكر الشاي الذي اخذ يفقد حرارته تدريجياً . بعد ذلك قادت (ميج) الضيف الى غرفة الجلوس واخبرته بانها

ستنادي امها .

كان كل شيءً قد اعد في الوقت الذي عاد فيه (لوري) برسالة من العمة (مارتش) تضم في طيها المبلغ المطلوب . وقد احتوت الرسالة بضعة اسطر قامت من خلالها باعادة ما سبق لها ترديده من قبل : اي انها كانت تقول دائماً ان تطوع الاب في صفوف الجيش لم يكن اجراءاً حكيماً وانها كانت قد توقعت اسوأ النتائج من جراء ذلك وعليه فهي تأمل ان تقوم العائلة بالعمل بنصائحها مستقبلاً . وبعد ان انتهت السيدة (مارتش) من قراءة هذه المذكرة رمتها في النار ووضعت النقود في محفظتها وواصلت استعداداتها للسفر وقد زمت شفتيها بطريقة تفهمها (جو) لو كانت معها في تلك اللحظة .

انقضى عصر ذلك اليوم وانجزت الاعمال المطلوبة كافة ، فجلست (ميج) وامها وهما منهمكتان ببعض اعمال الخياطة الضرورية بينما قامت (بيث) و (ايمي) باعداد الشاي وانتهت حنة من كيّ الملابس . اما (جو) فلم تكن قد عادت بعد الى البيت . فاخذ القلق يساور الجميع وذهب (لوري) يفتش عنها . ولم يدر بخلد احد ما الامر الغريب الذي كان قد دفع بـ (جو) الى الخروج عن البيت . ولكن (لوري) لم يعثر عليها . وبعد فترة قصيرة عادت لتدخل الدار وعلى وجهها تعبير غريب جداً كان مزيجاً من المتعة والخوف ومن الرضى والندم — مزيجاً حيّر الجميع مثلما حيرتهم رزمة النقود التي وضعتها امام امها وهي تقول بغصةٍ في صوتها :

«هذه مساهماتي من اجل راحة والدي وعودته الى البيت سالماً ، متعافياً» .

«ولكن من اين حصلت على هذا المبلغ ياعزيزتي؟ خمسة وعشرون دولاراً؟ آمل انك لم تقومي بعمل طائش يا (جو؟)» .

«كلا انها نقودي وقد حصلت عليها بامانة . لم استجدها او استقرضها او اسرقها من احد لقد كسبتها . ولااظنكم ستلومونني على ما فعلت لاني بعت شيئاً يعود لي» .

واثناء تكلمها رفعت (جو) قبعتها من رأسها فارتفعت صرخة جماعية : لقد بات شعرها الكثيف قصيراً بعد القص .

«شعرك! شعرك الجميل» . «آه يا (جو) كيف سولت لك نفسك ذلك؟ انه اجمل شيئ فيك!» .

«لم تكن ثمة حاجة لهذا العمل يا ابنتي العزيزة» .

«انها لاتبدو مثل (جو) التي اعرفها بعد الآن ، ولكني احبها حباً جماً لما فعلت!» .

وبعد ان ابدت الفتيات وامهن تعجبهن ، وضمت (بيث) الرأس ذا الشعر القصير الى صدرها ، تظاهرت (جو) بعدم الاكتراث الا ان تصرفها هذا لم ينطل على احد . وبعد ان اخذت تجعد شعرها القصير ، البني اللون محاولة التظاهر بان الامر هذا يعجبها للغاية ، قالت : «لا تأثير لفعلي هذا على مصير الامة فلا داعي للعويل يا (بيث) . سيعود الامر هذا بالخير على غروري فقد كنت قد بدأت بالشعور بالكبرياء والفخر بشعري . كما ان رفع الفروة من رأسي سيعود بالفائدة على دماغي . واشعر كذلك بان رأسي خفيف ورطب للغاية وقد اخبرني الحلاق اني سأكون من ذوات الشعر المجعد بعد فترة قصيرة اذ سيكون لي شعر

ولادي ، لائق وسهل الترتيب ، اني راضية . فارجوك خذي النقود ولنتناول عشاءنا .

«اخبريني تفاصيل الموضوع . اني لست راضية على ما حصل ولكنني لااستطيع ان الومك لاني ادرك جيداً بانك قد رضيت ان تضحي بغرورك من اجل حبك . ولكن هذه التضحية ، ياعزيزتي ، لم تكن ضرورية واخشى ان تندمي على فعلك هذا في يوم ما» ، قالت السيدة (مارتش) .

«كلا لن اندم» ، اجابت (جو) بثبات واصرار وهي تشعر براحة لان عملها هذا لم يلق شجباً كاملاً .

«ما الذي دفعك الى هذا العمل؟» سألت (ايمي) التي كان قطع رأسها اقرب اليها من قص شعرها .

«كنت اريد ان افعل شيئاً غير اعتيادي من اجل ابي» ، اجابت (جو) في اثناء اجتماع العائلة حول مائدة الطعام اذ يستطيع الاشخاص الموفورو الصحة الاكل حتى وقت الشدائد .

«اني اكره استعراض المال كما تفعل امنا ، وقد ادركت جيداً أن العمة (مارتش) ستكثر من التذمر كعادتها حتى لو طلبت منها قروشاً معدودات . ولقد اعطت (ميج) كل راتبها ربع السنوي لدفع بدل الايجار بينما اشتريت بعض الملابس بجزء المال الذي بحوزتي الامر الذي اشعرني بالخجل فعزمت على الحصول على شيءٍ من النقود حتى لو اضطررت الى بيع انفي» .

«لا داعي للشعور بالخجل يابنيتي ، فلقد افتقرت الى ملابس شتائية

وقد قمت بشراء ابسطها بما جنيتيه بعرق جبينك من نقود» ، قالت السيدة (مارتش) بنظرة اثلجت صدر (جو) .

«لم تكن لدي اية فكرة حول بيع شعري في البداية ولكن اثناء ذهابي انشغلت بالتفكير وشعرت برغبتي في دخول المحلات الكبيرة والحصول على ماأريد من بضائع وحاجيات .

وفي واجهة العرض لصالون الحلاقة شاهدت عرضاً لانواع من الشعر وقد ثبتت الاسعار على كل نوع منها ، وقد رأيت شعراً اسود باربعين دولاراً إلاّ انه لم يكن بكثافة وجمال شعري ، وفي تلك اللحظة داهمتني فكرة هي ان لدي مصدراً للحصول على النقود ، ودون ان اقف لاعيد النظر في موقفي دخلت الى المحل وسألتهم ما اذا كانوا يشترون الشعر وكم يدفعون لقاء شعري» .

«لااستطيع ان اتصور كيف تمكنت من الدخول وكيف تجرأت على ذلك؟» سألت (بيث) بلهجة نمت عن خوف وهلع .

«كان رجلاً صغير البنية بدا كأنه يعيش فقط ليضع زيتاً في شعره ، في بادئ الامر اطال النظر اليّ كأنه لم يكن قد تعود ان يرى فتيات يثبن الى محله ويسألنه عن امكانية شراء ما يمكن لهن بيعه من شعرهن . قال بانه لم يكن مهتماً بشعري لانه لم يكن باللون المطلوب كما انه لايدفع لقاءه ثمناً غالياً في كل الاحوال لان قصه يتطلب جهداً كبيراً وما الى ذلك من الاعذار . وكان الوقت يمضي بسرعة وقد خشيت من ترددي فاذا امتنعت عن قص شعري في تلك اللحظة فقد لا اجد قصه مجدياً في وقت لاحق . وانتن ادرى بعادتي عندما اقرر القيام بعمل ما فاني اكره تركه .

ولذلك توسلت اليه وطلبت منه شراء شعري وشرحت له السبب الذي دفعني الى ذلك ولماذا كنت على عجل من امري . ولابد لي من الاعتراف الآن بان ماقلته كان سخيفاً للغاية وإن تسبب في تغيير رأيه ، فمن شدة تأثري رويت بتفصيل السبب الذي دفعني الى هذا العمل بطريقة مرتبكة جداً وعندما سمعت زوجته ما كنت اقوله خاطبت زوجها بلطف قائلة :

«تكرم على هذه الانسة الشابة وخذ ما تريد بيعه من شعرها فاني مستعدة للقيام بنفس الشيء من اجل (جيمي) لو كان لدي شعر جديد بالبيع» .

«ومن هو (جيمي) هذا؟» قالت (ايمي) التي كانت تحب فهم التفاصيل في حينها .

«انه ابنها الذي يخدم في الجيش حالياً . غريب كيف ان مثل هذه الامور تجعل الاغراب يشعرون بالود بعضهم تجاه الآخر اليس كذلك؟ لقد تكلمت الزوجة طوال الوقت الذي انشغل زوجها فيه بقصّ شعري وبذلك صرفت بالي عن الموضوع» .

«هل كان شعورك سيئاً عندما بدأ بقص اول خصلة من شعرك؟» سألت (ميج) برجفة .

«نظرت الى شعري نظرة اخيرة اثناء انشغال الرجل بتهيئة عدته وانتهى الامر . اني لااحزن على مثل هذه الامور التافهة ولكني اعترف بان ثمة شعور غريب ساورني عندما رأيت شعري العزيز موضوعاً على الطاولة وتحسست النهايات القصيرة ، الخشنة في رأسي فقد بدا لي كأني قد فقدت ذراعاً او رجلاً . وعندما رأتني زوجة الحلاق انظر الى شعري

التقطت خصلة منه وسمحت لي بالاحتفاظ بها . ساعطيك اياها يا (مامي) لمجرد الذكرى - ذكرى مجد شعري - لان الشعر القصير مريح جداً ولذلك لا اظنني ساقوم بجعله يطول مرة اخرى .

طوت السيدة (مارتش) خصلة الشعر الكستنائي المتموج وادخرته مع خصلة شعر اخرى كانت قصيرة ورمادية اللون . ولم تقل الام اكثر من «شكراً يا عزيزتي» ولكن ثمة شيء في وجهها دفع الفتيات الى تغيير الموضوع والتحدث بقدر وفير من المرح عن لطف السيد (برووك) وتوقعاتهن عن غد مشمس وجميل والاوقات السعيدة التي سينعمن بها عندما يعود ابوهن الى البيت للراحة والاستجمام .

لم تشأ ايٌّ منهن الذهاب الى فراشها عندما قامت السيدة (مارتش) في الساعة العاشرة بوضع آخر عمل منجز جانباً وحثت بناتها على الذهاب الى الفراش قائلة : «هيا يا حبيباتي ، لقد حان الوقت» . فقد هرعت (بيث) الى البيان لتعزف الترتيلة التي يفضلها ابوهن . وبدأن جميعاً بالغناء ولكن سرعان ما توقفن الواحدة بعد الاخرى حتى بقيت (بيث) بمفردها وقد راحت تغني بكل جوارحها لان الموسيقى بالنسبة لها كانت دائماً العزاء الافضل .

«اذهبن الى الفراش ولا تتكلمن فامامنا يوم طويل سيبدأ في وقت مبكر جداً ولذلك فاننا بحاجة الى ما نستطيع الحصول عليه من النوم! تصبحون على خير ياعزيزاتي» ، قالت السيدة (مارتش) بعد ان انتهت الترتيلة سيما ان الرغبة في انشاد ترتيلة اخرى لم تكن متوفرة .

قامت الفتيات بتقبيل امهن وذهبن الى الفراش بهدوء وصمت وكأن

اباهن المريض راقدٌ في الغرفة المجاورة . وسرعان ماغطت كل من (بيث) و (ايمي) في سبات عميق بغض النظر عن المشكلة القائمة . اما (ميج) فقد بقيت مستيقظة وهي تفكر باسوأ النتائج بعد ان عصفت بها الافكار والظنون ، واضطجعت (جو) بلا حركة مما دفع اختها الى الظن بانها كانت نائمة ولكن شهقة مكبوتة جعلت (ميج) تتساءل بعد ان تحسست خداً رطباً بللته الدموع : «ما الامر ياعزيزتي (جو)؟ هل تبكين ابي؟» .

«كلا ، ليس الآن!» .

«ما السبب اذاً؟» .

«انه — انه شعري» . وانفجرت (جو) المسكينة باكية وهي تحاول السيطرة على عواطفها من خلال دفن وجهها في الوسادة ولكن دون جدوى .

لم يبد الامر مضحكاً لـ (ميج) ابداً . فقد قامت بتقبيل اختها واحتضانها وهي تحاول التخفيف عن هذه البطلة بأرق المشاعر .

«اني لست نادمة» ، قالت (جو) وهي تغص بالبكاء .

«اني لن اتوانى عن تكرار هذا العمل غداً لو تمكنت من ذلك . ان مايدفعني الى البكاء بهذه الطريقة السخيفة هو غروري وذلك الجزء الاناني عن نفسي ، ارجو ان لاتخبري احداً بما دار الآن فقد انتهى الموضوع . ظننتك نائمة ولذلك قررت ان ابكي على الشيء الجميل الوحيد الذي كان ملكي ، لماذا لاتزالين مستيقظة؟» .

«لااستطيع النوم لفرط قلقي» ، اجابت (ميج) «فكري بشيءٍ مفرح وستنامين بسرعة» .

«حاولت ذلك فلم يجديني بل زاد من يقظتي» .

«ما الذي دار في رأسك؟» .

«وجوه جميلة ، لاسيما العيون ، اجابت (ميج) وهي تبتسم لنفسها في الظلمة .

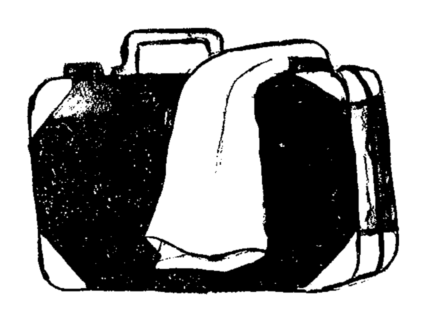
«ماهو لونك المفضل؟» .

«اللون البني — احياناً واللون الازرق جميل ايضاً» .

ضحكت (جو) فامرتها (ميج) بالسكوت بلهجة حادة . ثم وعدتها بتجعيد شعرها . ثم استسلمت لنوم هادئ ، عميق وهي تحلم بالعيش في قصرها في الهواء .

كانت الساعات تقرع معلنة منتصف الليل وكانت الغرفة تسبح في هدوء وسكينة عندما راح شكل بشري يمشي ببطء وهدوء ويتفقد كل فراش وهو يعيد وضع غطاء هنا ويعدل وسادة هناك ويلقي على النائمات نظرات حنان طويلة ثم يقبل كل واحدة منهن بشفاه كانت تبتهل بصمت وتردد الصلوات التي لاتخرج الا من افواه الامهات . وعندما رفعت الستارة لتلقي نظرة على الليل الموحش برز القمر فجأة من خلف الغيوم وارسل ضياءه باتجاهها وقد بدا مثل وجه مضيئ ، رحيم جاء ليهمس لها وسط ذلك السكون قائلاً : «لابأس ايتها الروح الغالية ، لابأس عليك . اخلدي الى الراحة فوراء الغيوم هناك ابداً ضياء» .

الفصل السادس عشر



رسائل

اضاءت الاخوات مصباحهن في ذلك الفجر الرمادي ، البارد وقرأن فصلاً من الكتاب المقدس بحرارة وايمان لم يشعرا بمثلها من قبل . لقد خيم عليهن الآن ظل المشاكل الحقيقية فوجدن في الكتاب المقدس خير عون وسلوى . وعندما نهضن لتغيير ملابسهن اتفقن على وداع امهن بمرح وتفاؤل لكي تذهب في رحلتها الطويلة ، المقلقة من غير ان ترى دموعهن او تشعر بتذمرهن اللذين يكونان مصدر تعاسة لها دون ادنى شك . وقد بدا كل شيء غريباً وغير اعتيادي عندما هبطن الى الطابق السفلي : فقد خيم الظلام والسكون في الخارج بينما توهج داخل البيت

وامتلأ صخباً وحركة . وقد بدا الفطور في تلك الساعة المبكرة امراً شاذاً . حتى وجه (حنة) المألوف قد بدا غريباً وغير طبيعي وهي تروح وتجيءُ في مطبخها وقد وضعت قلنسوة النوم على رأسها . اما في غرفة الجلوس فقد جثم صندوق الملابس الكبير جاهزاً بينما احتلت عباءة السيدة (مارتش) وقبعتها الأريكة . وجلست الام تحاول ان تتناول طعام الفطور وقد بدت شاحبة مرهقة لما اصابها من ارق وقلق ولذلك وجدت الفتيات صعوبة في الوفاء فيما وعدن القيام به ازاء امهن : فقد اخذت عينا (ميج) تغرورق رغماً عنها بينما راحت (جو) تضم رأسها في اكثر من مناسبة . اما الاختان الصغيرتان فقد ظهر على وجهيهما تعبيرٌ جادٌ وكأن الحزن كان تجربة جديدة بالنسبة لهما .

لم تتكلم ايٌّ منهن كثيراً ولكن باقتراب موعد الرحيل ، بانتظار قدوم العربة ، قالت السيدة (مارتش) لبناتها اللواتي تجمعن حولها وانشغلن بالقيام باعمال صغيرة — واحدة تطوي شالها والاخرى تحاول تعديل شريط القبعة بينما انشغلت الثالثة في وضع حذاء امها الواقي فوق حذائها الذي كانت قد لبسته اما الرابعة فكانت تغلق حقيبة يدها — قالت :

«اتركنن يا طفلاتي برعاية (حنة) وحماية السيد (لورنس) . ان (حنة) هي الاخلاص بعينه وسيحرسكن جارنا الطيب كما لو كنتن فلذات كبده . وبذلك لاتساورني المخاوف بشأنكن ابداً ولكنني اريد منكن مواجهة هذه المشكلة بصورة صحيحة . فلا تحزن ولاتتذمرن في غيابي ولاتحاولن التصور بانكن قادرات على مواساة انفسكن من خلال جنوحكن الى الكسل ومحاولة النسيان . فعليكن مواصلة اعمالكن كالمعتاد

فالعمل هو افضل عزاء واحسن سلوى . واثناء تشبثكن بالامل عليكن مواصلة العمل . ولابد ان تتذكرن بانكن لستن يتيمات الأب مهما حدث .

«اجل يا اماه!» .

«عليك يا (ميج) الالتزام بالعقل والحكمة . راقبي اخواتك وتشاوري مع (حنة) في كل الامور . واذا ما وجدت نفسك تواجهين امراً محيراً فعليك التوجه الى السيد (لورنس) . وعليك يا (جو) ان تلزمي الصبر ولا تستسلمي لليأس والقنوط او تقومي باعمال متهورة . اكتبي لي دوماً وكوني فتاة شجاعة وعلى استعداد تام لابداء المساعدة لنا جميعاً . اما انت يا (بيث) فعليك ان تجدي الراحة والسلوى من خلال موسيقاك كما عليك الالتزام التام باعمالك المنزلية . وعليك يا (ايمي) ان تمدي يد المساعدة حيث تتمكنين وان تكوني فتاة مطيعة وتبقي سعيدة وآمنة في البيت» .

«سنفعل ما تقولين يا اماه! سنفعل ماتقولين» . بهتت النساء الصغيرات وامهن وبدأن بالانصات عندما سمعن صوت عربة تقترب . كانت لحظة عصيبة ولكن الفتيات اجتزن التجربة بنجاح . فلم تبك واحدةٌ منهن ولم يظهر عليهن الحزن والالم وان كانت قلوبهن دامية وهن يرسلن الى ابيهن تمنياتهن بشفائه العاجل فقد خطر على بالهن احتمال ان تكون تمنياتهن هذه قد اتت متأخرة بعض الشيء . ثم قامت كل منهن بضم امها برقة وحنان الى صدرها ، وقبلتها . وحاولن التلويح بأيديهن بخفة ومرح مودعات عندما تحركت العربة .

وقد جاء (لوري) وجده لوداع السيدة . وقد بدا السيد (برووك)

شجاعاً ، وحكيماً وطيباً الى درجة دفعت الفتيات الى تلقيبه على الفور بـ «القلب العظيم» .

«الى اللقاء يا حبيباتي . ليباركنا الله ويحفظنا جميعاً ، همست السيدة «مارتش» اثناء تقبيلها كل خد غالٍ على التوالي ، ثم هرعت الى المركبة .

وما ان مشت العربة حتى اشرقت الشمس . وعندما حانت من السيدة (مارتش) نظرة الى الوراء وجدت ان الشمس قد غطت بضيائها ذلك الجمع الذي وقف قرب بوابة البيت فكان ذلك بمثابة الفأل الحسن . ولقد شاهد الجمع بدوره الشيء ذاته فابتسموا ولوحوا بايديهم . وكان آخر ماشاهدته السيدة (مارتش) – قبل ان تختفي العربة وراء منعطف الطريق – اربعة وجوه مشعة وقف وراءها كالحارس الامين ، الخاص السيد (لورنس) و (حنة) المخلصة و (لوري) المتفاني .

«ما اكرم الجميع وما ألطفهم» ، قالت السيدة (مارتش) وهي تلتفت لتجد امامها برهاناً جديداً على ما قالته ، وقد جاء هذا البرهان من خلال التعاطف المؤدب الذي بدا على وجه الشاب .

«لا ادري كيف يعجز الناس عن التصرف بكرم ولطف معكن» ، اجاب السيد (برووك) وهو يضحك بطريقة جذابة لم تستطع السيدة (مارتش) ازاءها سوى ان تبتسم . وهكذا بدأت الرحلة الطويلة بنذير الخير الذي تمثل باشعة الشمس وبالابتسامات والعبارات الجميلة ، المشجعة .

«اشعر كأن هزة ارضية قد حدثت» ، قالت (جو) بعد ان ذهب جارهما وحفيده لتناول فطورهما تاركين الفتيات ليأخذن قسطهن من

الراحة .

«يبدو كأن نصف البيت قد اختفى» ، قالت (ميج) بنبرة كئيبة .

فتحت (بيث) فاها لتقول شيئاً ولكنها لم تستطع سوى الاشارة الى الملابس الداخلية التي قامت امهن برتقها بمهارة ووضعها على الطاولة وبذلك فانها قد اثبتت لبناتها بانها قد فكرت في امورهن وعملت من اجلهن حتى في اللحظات الحرجة التي كانت فيها على عجل من امرها . لم يكن الامر هذا سوى عمل صغير الا انه وجد طريقه الى قلوبهن الدافئة وبالرغم من العهد الذي قطعنه على انفسهن فانهن انفجرن باكيات بكاءاً مراً .

تصرفت (حنة) بحكمة ودراية عندما سمحت لهن بالتخفيف عن انفسهن . وعندما ادركت ان هطول الدموع قد قارب على النهاية سارعت الى النجدة متسلحة بابريق من القهوة .

«والآن يا آنساتي العزيزات عليكن ان تتذكرن وصية امكن والتوقف عن البكاء او الشعور بالحزن : فهيا لنتناول شيئاً من القهوة وبعد ذلك دعونا ننصرف الى القيام بما علينا من اعمال لنكون موضع فخر العائلة» .

كانت القهوة لذيذة للغاية وقد اظهرت (حنة) بانها انسان بارعة ولبقة عندما عمدت الى صنع القهوة في صباح ذلك اليوم . ولم تتمكن الفتيات من مقاومة مناورات (حنة) ولا الصمود امام الاغراء الذي انبعث من فوهة ابريق القهوة . وسرعان ما تقدمن نحو المائدة واستبدلن مناديلهن بفوط المائدة وبعد مرور عشر دقائق عدن الى وضعهن الطبيعي .

«تشبثنَ بالأمل وواصلْنَ العمل» ، هذا شعارنا فلنرَ من منا ستتذكره بصورة افضل منَ البقية . سوف اذهب لعملي لدى العمة (مارتش) وسأسمع ما ستجود به قريحتها من مواعظ !» قالت (جو) وهي ترشف القهوة بعد ان عادت الى موضعها الطبيعي .

«وسأذهب انا الى عملي لدى عائلة (كنج) وان كنت افضل البقاء هنا للقيام بالأعمال المطلوبة» ، قال (ميج) وهي تتمنى لو انها تفادت احمرار عينيها .

«لاداعي لبقائك فانا و (بيث) قادرتان على ادارة البيت والقيام بواجباته بالشكل الامثل» ، قالت (ايمي) بتعاظم .

«ستقوم (حنة) بتوجيهنا وسيكون كل شيءٌ على مايرام عند عودتكما الى البيت» ، قالت (بيث) وهي تقوم باخراج عدة التنظيف دون تأخير .

«القلق هو امر مثير للاهتمام على ماأظن» ، قالت (ايمي) معلقة بتأمل وهي تأكل بعض السكر .

لم تستطع الفتيات مقاومة الضحك الامر الذي جعلهن يشعرن بحال افضل وان قامت (ميج) بهز رأسها للفتاة التي يمكنها ان تجد السلوان في صحن السكر .

وكان منظر الملابس المطوية التي تركتها امهن قد جعل (جو) تعي مرة اخرى الواقع المر ، وعندما خرجت الاختان في طريقهما الى العمل القت نظرة حزينة على الشباك الذي اعتادتا ان تريا من خلاله وجه امهما الحنون . لقد ذهب ذلك الوجه . ولكن (بيث) تذكرت هذا التقليد

اليومي فهرعت الى الشباك واومأت لها مودعة وقد بدت كـ (مندرين)* وردية الوجه .

«هذا ما هو متوقع من (بيث) الحبيبة» ، قالت (جو) وهي تلوح بقبعتها وقد ارتسمت على وجهها نظرة الرضى والامتنان» . وداعاً يا (ميج) . آمل ان لاترهقك عائلة (كنج) اليوم . لاتحزني بشأن ابينا ياعزيزتي» ، اضافت (جو) عندما افترقت الاختان .

«وآمل انا بدوري ان لاتلجأ العمة مارتش الى النقيق والتذمر . شعرك مضفف بطريقة لائقة ويبدو صبيانياً وجميلاً» ، قالت (ميج) وهي تحاول ان لاتبتسم عند النظر الى الرأس المجعد الذي بدا صغيراً بشكل مضحك وهو يجلس على كتفي اختها الطويلة القامة .

«هذا هو عزائي الوحيد» ، قالت (جو) وهي تلمس قبعتها امتناناً على طريقة (لوري) وتنطلق في طريقها كنعجة جز صوفها في يوم من ايام الشتاء .

ارتاحت الفتيات لتواتر الاخبار عن ابيهن فبالرغم من شدة مرضه فان تمتعه بوجود افضل وارق ممرضة ووقوفها الى جانبه قد عادا عليه بالفائدة . وكان السيد (بروك) يرسل نشرة يومية عن احوال المريض . وبصفتها اكبر افراد العائلة ، كانت (ميج) تصر على قراءتها وكانت هذه النشرات تزداد تفاؤلاً يوماً بعد يوم على مضي الاسبوع . وفي بادئ الامر كانت الفتيات يلجأن الى الكتابة وبذلك شهد صندوق البريد ظروفاً مكتنزة كانت تضعها فيه احدى الاخوات وكان ينتابهن شعور باهمية هذه

* المندرين: احد كبار الموظفين في البلاط الامبراطوري الصيني سابقاً.

المراسلات المتبادلة مع واشنطن العاصمة . وبما ان الظروف هذه قد احتوت على رسائل مميزة فلنستمح القارئ الكريم عذراً عندما نتخيل قيامنا بسرقة احداها وقراءة ما احتوته :

امي العزيزة – لا يمكنك تصور سعادتنا لما جاء في رسالتك الاخيرة ، ونتيجة لما قرأنا فيها من اخبار سعيدة لم نتمالك انفسنا من الضحك والبكاء لما احتوته . ما اكرم السيد (برووك) وما اسعد حظنا نتيجة اضطراره البقاء في واشنطن بسبب عدم انتهاء اعمال السيد (لورنس) . فهو خير معين لك ولوالدنا . الفتيات جميعاً بخير ، وهن يقمن بواجباتهن على أفضل ما يكون فـ (جو) تساعدني في اعمال الخياطة وتصر على القيام بكل الاعمال الصعبة ، واخشى انها ربما تبالغ في اداء واجبها مما قد يعطي مردوداً عكسياً . اما (بيث) فتقوم بواجباتها بانتظام كالساعة ولاتنسى وصيتك . انها تتألم لما اصاب ابينا وتبدو حزينة طوال الوقت اللهم إلا عندما تبدأ عزفها على البيان . وتقوم (ايمي) بالسهر على راحتي واقوم بدوري برعايتها . انها تصفف شعرها بنفسها وانا اعلمها كيف تصنع فتحات للازرار وتصلح جواربها . انها تحاول التعلم بكل مااوتيت من قوة وطاقة وستكونين مسرورة لما تحققه من تطور مستمر . ويقوم السيد (لورنس) برعايتنا ومراقبة اوضاعنا كالدجاجة الام على حد تعبير (جو) . اما (لوري) فهو كريم ويقوم بواجبات الجيرة كافة كعهده دائماً . فهو ، بالاشتراك مع (جو) ، لايعدم وسيلة في سبيل الترفيه عنا لاننا في بعض الاحيان نجد انفسنا فريسة للاحزان ونشعر كاليتيمات نتيجة ابتعادك عنا . ان (حنة) ملاك رحمة بحق فهي لاتزجرني ابداً بل تناديني بـ (الانسة

مارجريت) وهو امر ينم عن اللياقة والاحترام كما تعلمين. اننا جميعاً بصحة جيدة ولدينا الكثير من الاعمال التي تلهينا عن مصابنا وتخفف من احزاننا ومع ذلك فاننا نشتاق اليك كثيراً ونتوق لعودتك ليلاً ونهاراً. ارجو ان تبلغي ابانا حبي واحترامي.

المخلصة (ميج)

هناك تفاوت كبير بين رسالة (ميج) التي كتبت على ورق معطر وبين الرسالة التالية التي سطرت كلماتها على ورق اجنبي رقيق وزينت بشتى انواع البقع والتزويق والاحرف ذات النهايات المتكورة.

مامي الغالية – ارسل ثلاثة هتافات لابي العزيز. كان (بروك) رائعاً عندما ابرق لنا على الفور واخبرنا عن تحسن صحة ابي. وعندما استلمنا الاخبار هرعت الى غرفتي العلوية لاشكر الله على رحمته وكرمه ولكنني لم اتمكن من ذلك بسبب البكاء الذي لم يمكنني من قول اي شيء باستثناء «اني فرحة! اني فرحة!» اخشى ان يكون هذا الكلام بعيداً كل البعد عن الصلوات. ولكنني صليت في قلبي. اننا نقضي اوقاتاً ممتعة مع بعضنا. وانا اتمتع بهذه الايام لان الجميع يسلكن سلوكاً مثالياً، فالعيش في بيتنا يشبه العيش في عش حمام بري. لابد ان تجدي تصرف (ميج) مضحكاً وهي تجلس على رأس مائدة الطعام وتحاول ان تتصرف تصرف الام الحنون. انها تزداد جمالاً يوماً بعد يوم وانا اعشقها احياناً. اما الطفلتان فملاكان بكل معنى الكلمة اما انا – (جو) ولن اكون شخصية اخرى. ولابد لي ان اخبرك باني كدت اتشاجر مع (لوري). فقد ارحت

نفسي باخباره امراً تافهاً ولكنه شعر بانني قد جرحت شعوره . كنت على حق فيما قلته ولكنني لم اقله بالاسلوب الصحيح . ولذلك ذهب الى بيته غاضباً وقال انه لن يزورنا إلا بعد ان استميحه عذراً . ولكنني اصررت على عدم القيام بذلك وشعرت بالغضب .

واستمر هذا النفور يوماً كاملاً ، ولقد شعرت بالحزن والاكتئاب واردت وجودك الى جانبي فانا و (لوري) نعتز بنفسينا جداً بحيث يصعب على كل منا التقدم بطلب المغفرة من الآخر . ولكنني ظننت بانه سيدرك الموضوع لاني على صواب . ولكنه لم يأت . وفي الليل تذكرت ما كنت قد قلته لي عندما سقطت (ايمي) في النهر فعمدت الى قراءة كتابي المقدس وشعرت بحال افضل ثم قررت ان لاادع الشمس تغرب وفي نفسي شيئ من الغضب . ولذلك هرعت الى (لوري) لاقول له اني آسفة . ضحكنا واعتذر احدنا من الآخر وهكذا شعرت براحة كبيرة .

كتبت قصيدة يوم امس عندما كنت اساعد (حنة) في غسل الصحون . ولما كان ابي يحب حماقاتي الصغيرة فاني ارفق هذه القصيدة طي رسالتي لكي تؤمن له شيئاً من المتعة . ارجو ان تضميه عني الى صدرك بحرارة وحنان ، وتقبلي نفسك عني اثنتي عشرة مرة .

المخلصة (جو) المرتبكة

اغنية رغوة الصابون

ملكة طستي اغني بمرح
بينما ترتفع الرغوة البيضاء الى اعلى
اغسل الملابس بقوة واشطفها واعصرها
ثم اثبتها لتنشف
فتتأرجح بحرية في الهواء الطلق
تحت السماء المشرقة
ليتنا نستطيع غسل ادران الاسبوع
من قلوبنا ومن نفوسنا
وندع الماء والهواء يجعلانا
بمفعولها السحري انقياء نقاءهما
وسيكون على الارض حقاً
يوم غسيل مجيد
وعلى طريق حياة مثمرة
ستتحقق راحة القلب
ولن يجد العقل المفكر وقتاً
للانشغال بالاحزان والقلق والوجوم
وقد تنزاح الافكار القلقة
عندما نستخدم المكنسة بشجاعة

انني فرحة بما انيط بي من عمل
يشغلني يوماً بعد يوم
لانه يؤمن لي الصحة والقوة والامل
واني اتعلم ان اقول بمرح
فكر ايها الرأس واشعر ايها القلب
ولكن عليك العمل دوماً ايتها اليد

عزيزتي امي — لم يبق لي غير مجال محدود جداً ارسل لك فيه حبي وبعض الزهرات المكبوسة من جذر احتفظت به في البيت ليراه ابي . اني اطالع كل صباح واحاول ان اكون فتاة صالحة واغني لنفسي عند النوم حتى اغفو على نغمة أبي . لايمكنني في الوقت الحاضر ترتيل اغنية (ارض الاوفياء) لانها تدفعني الى البكاء . يغمرنا الجميع بعطفهم وألطافهم وبذلك فاننا على اعظم ما يمكن ان نكون عليه من السعادة بعيداً عنكما . لابد لي من انهاء رسالتي لان (ايمي) تريد ماتبقى من هذه الصفحة ، اني لاانسى ملء الساعة ومراقبتها وتهوية الغرف . ارجو ان تطبعي قبلة على الخد الذي يسميه ابي خدي الخاص . ارجوك عودي لنا بسرعة .

المحبة (بيث)

عزيزتي مامي – نحن جميعاً في صحة جيدة وانا اقوم بتحضير دروسي جيداً ولا اتعاون مع اخواتي ابداً – تقول (ميج) انا لااعارض اخواتي ولذلك اريدك ان تكوني انت الحكم لتحكمي بيننا وتحددي من هي المخطئة . تسهر (ميج) على راحتي ، فهي سلوتي الوحيدة ، وتسمح لي باكل (الجيلي) كل مساء عند جلوسنا لتناول الشاي . وتقول (جو) ان (الجيلي) مفيد لانه يجعل مزاجي رائقاً . لم يعد (لوري) يتصرف باحترام كعهده سابقاً وكما ينبغي عليه ان يتصرف . فانا كدت ابلغ مرحلة المراهقة ومع ذلك تجدينه يخاطبني بعبارة (كتكوتة) ويكلمني الفرنسية بسرعة بحيث لايمكنني فهم مايقول لاسيما حين اخاطبه بعبارات الشكر او التمني كما تفعل صديقتي (هاتي كنج) . لقد استبدلت (ميج) كمي فستاني الازرق المتهريين بكمين جديدين إلا ان لونهما قد اختلف بعض الشيء فاذا بهما اشد زرقة من الفستان . تأسفت لذلك ولكنني لم اتذمر لاني تعودت على تحمل مشاكلي واحزاني . اتمنى لو تقوم (حنة) بتنشية مئزر المدرسة بصورة افضل وباعطائنا الحنطة السوداء في كل وجبة فطور . الاتستطيع ذلك؟ هل طرحت هذا السؤال بصورة لائقة وهل وضعت العلامة في مكانها الصحيح؟ تقول (ميج) اني ضعيفة جداً في التنقيط وكذلك في الاملاء . ان هذا الامر يحزنني ولكن ما عساي ان اعمل؟ لديّ الكثير من الواجبات . وداعاً . ارسل الكثير من القبل الى (بابا) .

ابنتك المحبة

ايمي كورتس مارتش

عزيزتي السيدة مارتش – اردت ان اكتب لك لاعلامك ان الامور تسير سيراً حسناً . فالفتيات مجدات ومطيعات للغاية فالآنسة (ميج) ستكون ربة بيت من الطراز الاول سيا وان العمل يستهويها ولها قابلية كبيرة على التعلم بسرعة وان كانت تميل في بعض الاحيان الى الاسراع في اداء الاعمال مما يفسد النتائج . فقد قامت بغسل طست كامل من الملابس يوم الاثنين ولكنها قامت بتنشيتها قبل عصرها كما تسببت بتغيير لون فستان وردي بحيث اكتسب لوناً ازرق وكدت اموت ضحكاً لذلك . ان افضلهن هي (بيث) وهي عون عظيم لي لما تمتاز به من دماثة الخلق وحب للطاعة ، كما يمكن الاعتماد عليها في كثير من الامور . انها تحاول ان تتعلم كل شيئ وتذهب الى السوق لشراء الحاجيات بالرغم من حداثة سنها كما انها تساعدني في مراقبة المصروفات واعداد الحسابات بصورة مرضية . اننا نعتمد الاقتصاد في النفقات وقد سارت الامور بصورة مرضية لحد الآن . انني لا اقدم للفتيات القهوة إلا مرة واحدة في الاسبوع تطبيقاً لتوجيهاتك ولكنني اقدم لهن مايكفي من الاطعمة المفيدة .

ان (ايمي) قليلة التذمر وهي تلبس باستمرار افضل مالديها من ملابس وتصر على اكل الحلويات . اما (لوري) فهو مليئ بالنشاط كعادته ويقوم بقلب البيت رأسا على عقب في اغلب الاحيان ولكنه يسلي الفتيات ويشد من عزمهن ولذلك فاني اترك له مطلق الحرية . اما السيد العجوز فيقوم بارسال الكثير من الاشياء الى حد المبالغة ولكنه يقوم بذلك بنية طيبة وفي كل الاحوال فليس من حقي التدخل في مثل

هذه الامور . ابعث تحياتي الى السيد (مارتش) وارجو ان يكون قد تعافى من مرض التهاب القصبات الهوائية الذي امل ان لا يصاب به مستقبلا.

المخلصة حنة ميوليت.

الى رئيسة الممرضات في الجناح رقم (٢) – كل شيئ على مايرام . القطعات في احسن حال والامور المعاشية تسير بانتظام . تقوم القطعات المكلفة بحراسة الجبهة الداخلية بقيادة العقيد (تيدي) بواجباتها خير قيام وهي بحالة تأهب مستمر . ويقوم ضابط الاعاشة (ميوليث) بمراقبة الضبط داخل المعسكر بصورة مرضية جدا ويقوم الرائد (لايدن) بواجبات الخفارات الليلية . تم اطلاق احدى وعشرين اطلاقة مدفع تحية للاخبار المفرحة التي استلمناها من واشنطون كما اعد استعراض للقطعات في المقر العام بهذه المناسبة . القائد العام يرسل تحياته وتمنياته الطيبة التي يشاركه فيها الموقع ادناه المخلص

العقيد (تيدي)

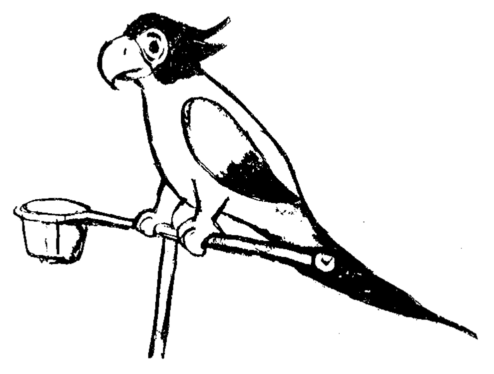
سيدتي – ان الفتيات على احسن حال والامور على مايرام . تصلني تقارير دقيقة ويومية من قبل (بيث) وحفيدي . ان (حنة) خادمة مثالية وهي تحرس (ميج) مثل التنين . اني مسرور لاستمرار هذا الطقس الجميل . ارجو ان يكون السيد عونا لك وارجو ان لايتوانى في الرجوع الي في حالة وجود اية حاجة لمصروفات لم تكن قد اخذت بعين الاعتبار . وارجو ان تعملي على تلبية طلبات زوجك كافة دون قيد او شرط . نتوجه الى الله بالشكر على تماثله الى الشفاء .

صديقك وخادمك المخلص

جيمس لورنس



الفصل السابع عشر



الامينة الصغيرة

ان مقدار الفضيلة الذي توفر في ذلك البيت القديم كان يكفي لتموين المحلة باكملها فترة اسبوع كامل . كان امرا يبعث حقا على العجب فقد كان تصرف الجميع مثاليا وكان نكران الذات هو النمط السائد . وبعد ان زالت مخاوفهن بخصوص حالة والدهن الصحية فان الفتيات عمدن الى تخفيف جهودهن الجديرة بالثناء وعدن الى ما كن قد اعتدن عليه من نهج . وبالرغم من انهن لم ينسين شعارهن الا انهن خففن ذلك الاندفاع نحو انجاز الاعمال وقد شعرن بان من حقهن التمتع بعطلة بعد الجهود المضنية التي بذلنها الا انهن اسرفن في هذا المجال .

ومن خلال اهمالها في تغطية رأسها فانها اصيبت ببرد الامر الذي اضطرها الى البقاء في البيت الى حين تحسن حالها اذ لم تشأ العمة (مارتش) ان تقرأ عليها القصص من قبل شخص مصاب بالبرد . ولقد راق الامر هذا لـ (جو) . وبعد ان قامت بعملية بحث نشيطة بدأت بقبو الدار وانتهت بالغرفة العلوية فانها استقرت اخيرا على اريكة لتعالج بردها بالعقاقير والكتب . واكتشفت (ايمي) ان الفن والعمل المنزلي لا ينسجمان ولذلك عادت ثانية الى اعمال الطين . وكانت (ميج) تذهب الى تلاميذها يوميا وعند عودتها الى البيت تجلس للخياطة – ان هذا مااعتقدت انها كانت تقوم به – ولكنها في الواقع كانت تقضي وقتا طويلا في كتابة رسائل طويلة الى امها أو في قراءة بريد واشنطن مرارا وتكرارا . اما (بيث) فقد واصلت القيام باعمالها وواجباتها باستثناء بعض الفترات التي كانت ترتد فيها الى الكسل والحزن .

كان القيام بالواجبات الصغيرة يتم يوميا من قبل (بيث) وكانت بالاضافة الى ذلك تقوم ببعض الاعمال الموكولة الى اخواتها اللواتي كن سريعات النسيان ... كان البيت يسير مثل ساعة فقدت رقاصها . وعندما كانت تشعر بشوق كبير لامها ، او عندما تعصف بها الهواجس بخصوص ابيها ، فانها تلجأ الى خزانة معينة حيث كانت تدفن وجهها في طيات احد الفساتين القديمة ، الحبيبة لتبكي او لتبتهل الى الله . ولم يعلم احد ما الذي كان يريحها بعد هذه النوبات التي كانت تصيبها الا انهن ادركن مدى رقتها وحبها للمساعدة وكن يلجأن اليها للعزاء والمشورة في قضاياهن الصغيرة .

لم تدرك الفتيات ان التجربة التي مررن بها كانت اختبارا لشخصياتهن . وعندما هدأت الاثارة الاولى شعرن بانهن قد قمن بواجباتهن على اتم مايكون فكان جديرا بهن الثناء لقد قمن حقا بواجباتهن خير قيام . ولكن خطأهن يكمن في اخفاقهن في مواصلة القيام بواجباتهن بالصورة المرضية ولم يدركن ذلك الا من خلال القلق والندم .

«(ميج) ليتك ذهبت لتفقد افراد عائلة (هوميل) فقد اوصلتنا امنا بعدم اهمالهم ،» قالت بيث بعد عشرة ايام من سفر امهن .

«اني متعبة جدا بحيث لايمكنني الذهاب ،» قالت (ميج) وهي تهتز براحة اثناء الخياطة .

«الا يمكنك الذهاب يا (جو) !»

«ان الطقس عاصف في الخارج ولا يمكنني الخروج وانا لاازال اعاني من البرد الذي اصابني» .

«ظننت بانه كاد ينتهي» .

«لقد انتهى بقدر تعلق الامر بخروجي مع (لوري) ولكنه لم ينته بحيث اتمكن من زيارة عائلة (هوميل) ،» قالت (جو) وهي تضحك وان شعرت ببعض الاحراج لهذا التناقض .

«لماذا لا تذهبين انت ؟» سألت (ميج) «اني اذهب يوميا . ولكن الطفل الرضيع مريض ولا اعرف كيف اعالج الموضع . تقوم (لوتشين) برعايته اثناء ذهاب السيدة (هومي) للعمل . ولكن مرضه يزداد شدة ولذلك اعتقد بوجوب ذهابك انت او ذهاب (حنة) ،»

تكلمت (بيث) بصدق واخلاص وقد وعدت (ميج) بالذهاب في

اليوم التالي .

«اطلبي من (حنة) ان تعطيك قليلا من الحساء لتأخذيه اليهم يا (بيث) . فالسير في الهواء الطلق سيعود عليك بالفائدة ،» قالت (جو) باعتذار . «اني اود الذهاب لولا اضطراري الى الانتهاء من الكتابة» .

«اشكو من صداع وارهاق ولذلك فقد ظننت ان هناك من يذهب منكن غيري» .

«ستأتي (ايمي بعد قليل وستذهب نيابة عنا» ، قالت (ميج) مقترحة .

«سارتاح لفترة وانتظرها» .

وهكذا استلقت (بيث) على الاريكة وعادت اختاها الى عملها ونسي امر عائلة (هوميل) . ومرت ساعة ولم تأت (ايني) . ذهبت (ميج) الى غرفتها لتحاول قياس فستانها الجديد ، وانهمكت (جو) بقراءة قصتها ، بينما غطت (حنة) في سبات عميق امام نار الموقد في المطبخ . وفي اثناء ذلك لبست (بيث) قلنسوتها بهدوء وملأت سلتها بما استطاعت من اشياء لكي تقدمها للاطفال ثم خرجت الى الهواء البارد برأس ثقيل وقد عكست عيناها الصبورتان نظرة حزينة . وكان الوقت متأخرا عندما عادت الى البيت ولم ترها اي من اخواتها وهي تنسل صاعدة لتخلد بمفردها الى غرفة امها . وبعد مضي نصف ساعة ذهبت (جو) لتبحث عن شيئ ارادته في خزانة امها وهناك رأت (بيث) تجلس على صندوق الدواء وقد بدت قلقة جدا . كانت عيناها محمرتين وقد امسكت بيدها زجاجة الكافور .

«كرستوفر كولمبوس ! ما الامر» ، صاحت (جو) عندما مدت (بيث) يدها كأنها تحذرها وسألت بسرعة .

«لقد سبق لك الاصابة بالحمى القرمزية اليس كذلك» ،

«قبل عدة سنوات ، عندما اصيبت بها (ميج) . لماذا» ،

«ساخبرك اذن . آه يا (جو) لقد مات الطفل» !

«اي طفل هذا» ؟

«ابن السيدة (هوميل) . لقد توفي في احضاني قبل وصول امه» ، صاحت (بيث) باكية .

«عزيزتي المسكينة ما اصعب هذا الامر عليك . كان يجب علي الذهاب» ، قالت (جو) وهي تضم اختها الى صدرها بعد ان جلست على كرسي امها وقد ظهرت على وجهها نظرة نمت عن شعور بالندم .

«لم يكن الامر فظيعا ، يا «(جو) ، بل مجرد امر محزن . لقد ادركت من اللحظة الاولى ان الطفل كان اشد مرضا ولكن (لوتشين) اخبرتني ان امها قد ذهبت لاستدعاء الطبيب ولذلك اخذت الطفل في احضاني لادع (لوتشين) تستريح بعض الشيء . بدا نائما في اول الامر ثم انطلق بصرخة صغيرة فجأة ارتعش بعدها ثم خمد بلا حركة . حاولت تدفئة رجليه واعطته (لوتي) شيئا من الحليب ولكنه لم يتحرك ابدا فادركت انه قد مات» .

«لا تبكي ياعزيزتي ! ماذا فعلت» ؟

«واصلت جلوسي وانا اضمه الى صدري برقة لحين عودة السيدة (هوميل) بصحبة الطبيب الذي قال ان الطفل قد مات . ثم قام بفحص

(هاينريش) و (مينا) اللذين كانا يعانيان من التهاب الحلق . قال الطبيب يخاطب الام بغضب : «انها الحمى القرمزية ، اخبرته السيدة (هوميل) انها معدمة وانها حاولت معالجة الطفل الرضيع بنفسها ولكن الوقت قد فات على ذلك ، وان كل ما ترجوه منه هو معالجة طفليها الآخرين وليكن ثوابه عند الله . ابتسم عند ذاك واصبح اكثر رقة اشتركت مع العائلة في البكاء حتى التفت الي الطبيب فجأة وامرني بالذهاب الى البيت وتناول الدواء على الفور والا اصبت بالحمى» .

كلا لن تصابي بها» ، صاحت (جو) وهي تضمها بشدة وقد ارتسمت على وجهها نظرة خائفة .

«لو مرضت يا (بيث) فلن اغفر لنفسي ! فما عسانا ان نعمل ؟»

«لاتخافي . لا اظنني ساصاب بها بشدة طالعت في كتاب الوالدة فوجدت ان المرض يبدأ بصداع والتهاب الحلق وشعور غريب كالذي اشعر به حاليا ولذلك عمدت الى تناول قليل من (البيلادونا) وانا اشعر بتحسن الآن ،» قالت (بيث) وهي تضع يديها الباردتين على جبينها الملتهب وتحاول ان تبدو بصحة جيدة .

«ليت الوالدة كانت معنا ،» قالت (جو) وهي تمسك بالكتاب وتشعر بان واشنطون كانت بعيدة جدا . ثم قرأت صفحة من الكتاب ونظرت الى (بيث) ، وتحسست يدها ، و اطالت النظر في حلقها ثم قالت بلهجة جادة : «لقد قمت بزيارة عائلة (هوميل) ورعاية رضيعها لاكثر من اسبوع فمن التي ستمرض سواك يا (بيث) ؟ سانادي على (حنة) فهي تعرف كل شيئ عن الامراض» .

«لا تدعي (ايمي) تأتي الى هذه الغرفة ، فهي لم تصب بهذه الحمى ولا اريدها ان تصاب بها . هل بامكانك انت و (ميج) ان تصابا بها مجددا ؟» سألت بقلق .

«لا اظننا سنصاب بها . وفي كل الاحوال لا يهمني ذلك فانا استحق مثل هذا العقاب لانني كنت انسانا انانية اذ تركتك تذهبين انت بينما جلست انا اكتب امورا تافهة ،» تمتمت (جو) وهي تذهب لاستشارة (حنة) .

وسرعان مااستفاقت هذه الخادمة الصالحة لتؤكد لـ (جو) ألا موجب للقلق فالناس كثيرا ما يصابون بالحمى القرمزية انهم لايموتون واذا ما تم علاجهم بصورة صحيحة . وقد امنت (جو) بهذا الكلام ووجدت فيه راحة كبيرة اثناء ذهابهما لاستدعاء (ميج) من غرفتها .

«ساخبرك بما علينا القيام به ،» قالت (حنة) بعد ان انتهت من فحص (بيث) واستجوابها . «سنستدعي الدكتور (بانجس) ليلقي عليك نظرة ، ياعزيزتي ، وليرشدنا الى الطريق الصحيح منذ البداية . ثم نقوم بارسال (ايمي) للبقاء مع العمة (مارتش) لفترة من الزمن لنأمن خلاصها من الاصابة . ثم تبقى احداكما مع (بيث) لترعاها وتسليتها ليوم او يومين» .

«سابقى انا بطبيعة الحال لاني الاخت الكبرى» قالت (ميج) وهي تبدو قلقة ونادمة .

«بل سابقى انا لان اصابتها كانت نتيجة خطأي . فقد وعدت امي بالقيام بكل المهام ولكنني لم افعل ذلك ،» قالت (جو) بلهجة اكيدة .

«ايهما تفضلين يا بيث) ؟ فلا داعي لبقائهما سويا ،» قالت (حنة) .
«اريد (جو) ،» قالت (بيث) وهي تسند رأسها الى اختها وتنظر اليها نظرة الرضى . وبهذه الطريقة الحاسمة تم تسوية الموضوع . «سأذهب لانادي (ايمي) ،» قالت (ميج) التي شعرت بشيئ من المرارة ومع ذلك كانت مرتاحة للغاية لانها لم تكن تهوى التمريض على العكس من (جو) .

تمردت (ايمي) على الفور واعلنت بانفعال انها تفضل ان تصاب بالحمى القرمزية بدلا من الذهاب الى بيت العمة (مارتش) . استخدمت (ميج) المنطلق ثم توسلت لتنتهي اخيرا بالامر ولكن دون جدوى اعترضت (ايمي) بشدة ورفضت الذهاب . وهكذا تركتها (ميج) يائسة وذهبت للتشاور مع (حنة) حول مايجب القيام به من اجراء . وقبل عودتها دخل (لوري) الى غرفة الجلوس ليجد (ايمي) تبكي بكاءً مرا وقد دفنت رأسها بين وسائد الاريكة . وقد اخبرت لوري تفاصيل الموضوع وهي تتوقع منه المواساة . ولكن (لوري) وضع يديه في جيبي سرواله واخذ يمشي في انحاء الغرفة وهو يصفر برقة بعد ان عقد حاجبيه واخذ يفكر بعمق . وبعد فترة جلس الى جانبها وقال لها بلهجة مقنعة : «كوني فتاة متعقلة ونفذي ما يطلب منك لاتبكي بل اسمعي تفاصيل خطتي الرائعة . اذهبي الى بيت العمة (مارتش) واعدك باني ساتي كل يوم لاصطحبك معي في نزهة اما بالعربة او مشيا على الاقدام وسنقضي اوقاتا سعيدة سويا . اليس هذا افضل من الجلوس والبكاء هنا ؟»

«لا احب ان ارسل هنا وهناك كأنني حجر عثرة امام الجميع ،» قالت (ايمي) بنبرة نمت عن شعور مجروح.

«ليباركك الله ايتها العزيزة. ان هذا الاجراء هولحمايتك من الاصابة فانت لاتريدين ان تمرضي اليس كذلك؟»

«كلا لااريد ذلك بالتأكيد ولكنني ساصاب في كل الاحوال لاني كنت مع (بيث) طوال الوقت».

«لهذا السبب بالذات يجب ان تسرعي بالابتعاد عن هذا البيت لكي لاتصابي لان تغيير المناخ والرعاية سيجعلانك في صحة جيدة واذا ما اخفقنا في درء المرض عنك كلياً فلن تكون اصابتك شديدة ولذلك ارى ان تسرعي بالذهاب في اقرب وقت ممكن لان الحمى القرمزية ليست بامر هين ياآنستي».

« ولكن البقاء مع العمة (مارتش) هو امر يبعث على السأم كما انها حادة الطبع »، قالت (ايمي) وهي تبدو خائفة بعض الشيء.

«لن تسأمي المكوث هناك لاني سازورك كل يوم لاجلب اخبار (بيث) واصطحبك للتنزه. ولا تنسي ان السيدة العجوز تحبني كما اني ساتملقها واجاملها لكي لاتعارض مانقوم به من نشاطات مهما كانت».

«هل تعدني باصطحابي في نزهة بالعربة السريعة مع (بوك)؟»

«اقسم لك بشرفي بصفتي سيداً مهذبا باني سالبي طلبك هذا».

«وتأتي لزيارتي كل يوم؟»

«سترين انني ملتزم جداً».

«وهل تعد باعادتي حال شفاء (بيث)؟»

«في اللحظة ذاتها».

«في هذه الحالة اظنني ذاهبة»، قالت (ايمي) ببطء.

«يالك من فتاة عاقلة. هيا نادي على (ميج) واخبريها انك قد وافقت»، قال (لوري) وهو يربت على ظهرها ربتة الرضا الامر الذي ضايقها اكثر من الموافقة.

هرعت (ميج) و (جو) الى الطابق السفلي لتشهدا هذه المعجزة التي تحققت، وقد وعدت (ايمي) بالذهاب الى بيت العمة (مارتش) اذا قرر الطبيب ان (بيث) مريضة.

«كيف حال طفلتنا العزيزة» سأل (لوري) لأن بيث كانت فتاته المدللة وقد اقلقه وضعها اكثر مما اراذ ان يظهر.

«انها مستلقية على فراش الوالدة وتشعر بتحسن صحتها. لقد اثر بها موت الطفل ولا اعتقد بانها مصابة باكثر من برد. وهذا ما تعتقده (حنة) أيضاً، بيد أن القلق يبدو عليها وهذا ما يضايقني»، اجابت (ميج)

«ياله من عالم مرهق»»، قالت (جو) وهي تجعد شعرها بنكد». ما ان نخرج من محنة حتى نمر باتعس منها. لايوجد ما يمكننا اللجوء اليه والتمسك به عند غياب الوالدة على مايبدو اشعر باني تائهة».

«لاداعي لان تجعلي من نفسك قنفذاً. صفقي شعرك واخبريني ان كان علي اعلام والدتك برقياً او القيام باجراء ما؟» قال (لوري) الذي لم يكن راضياً ابداً على ما فعلته رفيقته باجمل شيء لديها.

«هذا مايقلقني»، قالت (ميج). «اعتقد باننا يجب ان نخبرها إن تبين لنا ان (بيث) مريضة حقاً. ولكن (حنه) ترى عدم قيامنا باخبارها اذ لايمكنها ان تفارق أبانا وان اخبارها يعني اقلاقها من غير جدوى. سوف لا يطول مرض (بيث) وان (حنة) تدرك جيداً ماعليها اجراؤه. ولقد

اوصتنا أمنا بطاعة (حنة) والاستماع الى مشورتها وهذا ما يجب علينا ان نقوم به. ومع ذلك اشعر بان الامور ليست على مايرام».

«لايمكنني ان اقول شيئاً. لماذا لاتطلبي المشورة من جدي بعد زيارة الطبيب».

«اخشى انك مشغول ،»

«كلا فقد انهيت دروسي لهذا اليوم».

«هل تدرس في اوقات العطل؟» سألت (جو).

«انني اقتدي بما يقوم به جيراني من عمل طيب» ، اجاب (لوري) وهو يهز نفسه خارجا من الغرفة.

«املي كبير في ولدي هذا ،» قالت (جو) معلقة وهي تراقب (لوري) اثناء قفزه فوق سياج الحديقة قد ارتسمت على وجهها ابتسامة رضى.

«انه يعمل على احسن مايرام قياسا بسنه» ، كان هذا جواب (ميج) الذي افتقر الى الكياسة والرقة لان الموضوع لم يثر اهتمامها.

وجاء الدكتور (بانجس) وقال ان الاعراض تشير الى ان (بيث) قد اصيبت بالحمى ، وعلى الرغم من ظنه بان اصابتها كانت خفيفة الا انه بدا جادا بخصوص تفاصيل قصة عائلة (هوميل) . وقد اوعز لـ (ايمي) بمبارحة البيت على الفور بعد ان اعطيت علاجا بكفل لها درء عدوى المرض . وقد رحلت بابهة برافقها (لوري) و (جو)

وقد استقبلتهم العمة (مارتش) بضيافتها المعهودة

«ماذا تريدون الآن؟» قالت متساءلة وهي تنظر بحدة من فوق نظاراتها بينما صاحت الببغاء التي جلست خلف مقعدها :

«اذهب من هنا . لا يسمح بدخول الصبيان» . انسحب (لوري) الى الشباك بينما راحت (جو) تقص على عمتها تفاصيل ماحدث .

«لم يكن امرا غير محتمل جدا ،لابل هو ماتوقعته وهذا مايحدث عندما يسمح لكن التدخل في شؤون الناس المعدمين . بامكان (ايمي) البقاء هنا والقيام بما يجعل منها عنصرا مفيدا ان لم تكن مصابة بالمرض ولكنها ستصاب دون ادنى شك كما يبدو عليها الحال الآن : لاتبكي يابنيتي فان صوت النشيج يقلقني .

وكانت (ايمي) على وشك البكاء بشدة اكثر ولكن (لوري) جذب ذيل الببغاء بخبث قامت على اثرها باطلاق صرخة غريبة اعقبتها بصيحة «لتبارك جزمتي» . وقد كانت الصيحة هذه مضحكة الى درجة دفعت (ايمي) الى الضحك بدلا من البكاء .

«ما الاخبار من والدتك ؟» سألت السيدة العجوز بخشونة .

«ان صحة ابي احسن بكثير ،» اجابت (جو) . «انه يحاول ان يبقى واعيا» .

«حقا ؟ لن يكتب لهذه المحاولة الديمومة على ماأظن . لم يكن لـ (مارتش) اية قدرة على الاحتمال ،» وكان هذا جواب العمة المرح .

«ها ! ها ! لاتقل مت ! خذتنشيقة سعوط ، الى اللقاء ، الى اللقاء !» صاحت الببغاء (بولي) وهي ترقص فوق مجثمها وهي تخمش بمخالبها قلنسوة السيدة العجوز عندما قام (لوري) بقرصها من الخلف .

«اخرسي ايتها الطير الوقحة ! هيا يا (جو) اذهبي على الفور فليس من

اللائق ان تتأخري في العودة الى بيتك وانت بصحبة صبي طائش مثل ....»

«اخرسي ايتها الطير الوقحة» ، صاحت (بولي) وهي تسقط من الكرسي ثم تهرع لتنقر «الصبي الطائش» الذي كان يهتز ضاحكا بعد سماعه العبارة الاخيرة .

«لا يمكنني تحمل البقاء هنا ولكنني ساحاول» ، فكرت (ايمي) في نفسها بعد ان تركت لوحدها عند العمة (مارتش) .

«انسجمي ايتها الفتاة المقرفة !» صاحت (بولي) . وبعد هذه العبارة الوقحة لم تتمكن (ايمي) عن السيطرة على نفسها فانفجرت باكية .



الفصل الثامن عشر



ايام قاتمة

كانت (بيث) في الواقع قد اصيبت بالحمى وان مرضها كان اشد بكثير مما توقع الجميع باستثناء (حنة) والطبيب . ولم يكن للفتاتين اي المام بالامراض كما لم يسمح للسيد (لورنس) العجوز بزيارة المريضة ورؤيتها وبذلك كانت لدى (حنة) حرية عمل مطلقة .

وقد بذل الدكتور (بانجس) وسعه ومع ذلك فقد ترك الكثير لهذه الممرضة الممتازة . ولم تترك (ميج) البيت بل لازمته خوفاً من انتقال العدوى الى الاطفال عائلة (كنج) .

وكان ينتابها شعور بالقلق والذنب عندما كانت تكتب الرسائل من غير اي ذكر لمرض (بيث) . ولم تستطع ان تتصور ان خداع امها كان عملاً صحيحاً ولكنها اضطرت الى الانصياع لمشورة (حنة) التي رفضت «اقلاق» السيد (مارتش) «بامر تافه مثل هذا» على حد تفسيرها وقد كرست (جو) نفسها لخدمة (بيث) ليلاً ونهاراً . ولم تكن مهمتها هذه شاقة لان (بيث) كانت صبورة جداً وقد تحملت عبء مرضها من غير تذمر طالما امتلكت القدرة في السيطرة على نفسها . ولكن في اثناء تعرضها لنوبات الحمى ، كانت هناك حالات بدأت (بيث) فيها التكلم بصوت اجش ، متقطع اخذت تحرك اصابعها فوق غطاء الفراش كأنها تعزف على بيانها الصغير ، الحبيب وتحاول الغناء بدون جدوى بسبب ما اصاب حلقها من ورم . وكانت تعجز احياناً عن التعرف على الوجوه المألوفة التي كانت حولها وتناديهم باسماء غير اسمائهم ولكنها كانت تطلب رؤية امها . اثر ذلك بدأ الخوف يتملك (جو) وتوسلت (ميج) لكي يسمح لها بكتابة الحقيقة . حتى ان (حنة) اقتنعت بامر اخبار السيدة (مارتش) على الرغم من اعتقادها ان الحالة لم تبلغ بعد مرحلة الخطر . وقد ازداد حجم المشكلة عندما استلمت الفتيات رسالة من واشنطون تفيد ان والدهن قد اصيب بنكسة وان عودته الى البيت لم تكن ممكنة لفترة طويلة

كم هي قاتمة بدت الايام الآن ، وكم هو محزن وموحش البيت وكم هي ثقيلة كانت قلوب الفتيات وهن يعملن ويترقبن بينما اخذ شبح الموت يحوم حول هذا البيت الذي كان في وقت مضى سعيداً . وفي تلك الفترة

بالذات – وفي اثناء جلوسها بمفردها ودموعها تنهمر لتبلل في اغلب الاحيان ما كانت تمسكه بيدها من عمل – شعرت (مارجريت) انها كانت غنية جداً بما امتلكته من اشياء اثمن بكثير من كل اسباب الترف والنعم التي يمكن الحصول عليها بالمال :

كانت غنية بالحب والحماية والهدوء والصحة ، وهذه جميعاً هي البركات التي تمنحها الحياة . وفي تلك الفترة ايضاً – عندما لازمت (جو) الغرفة المعتمة التي ترقد فيها اختها الصغيرة ، المعذبة ، الماثلة امامها وصوتها المأساوي يرن في اذنها – فانها بدأت تعي مدى رقة طبيعة اختها (بيث) وروعتها ومدى عمق ودقة الموقع الذي كانت تحتله في قلوبهن . كما بدأت تفهم بوضوح قيمة الطموحات اللا انانية لـ (بيث) – طموحاتها للعيش من اجل اسعاد غيرها ومن اجل جعل بيتها سعيداً من خلال ممارستها هذه الفضائل التي يمكن للجميع امتلاكها والتي يجب ان يحبها ويثمنها الجميع اكثر من المواهب والغنى والجمال . ومن منفاها البعيد كانت (ايمي) تتوق العودة الى البيت لكي تقوم على خدمة (بيث) بعد ان اخذت تدرك بان الخدمة لا يمكن ان تكون صعبة ومزعجة مهما بلغت ، وتستذكر بحزن وندم المهام التي اهملتها والتي انجزتها يدا (بيث) عن طيبة خاطر . وكان (لوري) يتردد على البيت مثل شبح مضطرب بينما عمد السيد (لورنس) العجوز الى اقفال البيان الكبير لانه لم يستطيع تحمل ما يذكره بجارته الصغيرة التي كانت تجعل ساعات الغسق اوقاتاً بهيجة من خلال عزفها الجميل . لقد افتقدها الجميع . فاللبان والخباز والعطار والقصاب كانوا جميعاً يتفقدونها ويسألون عن صحتها . وقد جاءت

السيدة (هوميل) تعتذر عن اخفاقها في مراعاة هذا الجانب من الامر .
وقد قام الجيران كلهم بارسال تمنياتهم الطيبة وتقديم مواساتهم . حتى الذين كانوا يعرفون (بيث) معرفة جيدة فانهم دهشوا كثيراً عندما ادركوا عدد الأصدقاء الذين استطاعت تلك الفتاة الصغيرة ، الخجول ان تكسبهم .
وفي الحين ذاته رقدت (بيث) في فراشها تشاركها فيه (جوانا) ، فهي لم تنس دميتها البائسة حتى في ظرفها الحرج هذا . وكانت تتوق الى مشاهدة هريراتها ومع ذلك فقد رفضت جلبهن الى جانبها خوفاً من احتمال انتقال العدوى اليهن . اما خلال الساعات التي كانت تجد فيها الراحة والسكينة فانها كانت تقلق على (جو) . وكانت ترسل ارق التحايا الى (ايمي) وتترجى اختيها ان يخبرا امها انها ستكتب لها رسالة قريباً جداً ثم تعود فتتوسل اليهما لكي يعطياها قلماً من اجل قيامها بمحاولة ارسال رسالة قصيرة الى ابيها لكي لا يظن بانها قد اهملته . وسرعان ما انتهت فترات الوعي هذه لتستلقي (بيث) على فراشها وتتقلب وهي تطلق من فمها عبارات مبهمة او تغرق في سبات عميق كان يعيد اليها بعض النشاط . وكان الدكتور (بانجس) يزورها مرتين في اليوم بينما تلازم غرفتها طوال الليل (حنة) المخلصة .
وقد وضعت (ميج) صيغة برقية جاهزة في منضدتها لكي ترسلها اذا ما اقتضى الأمر ذلك . اما (جو) فلم تترك الغرفة ولم تتحرك من جانب اختها .
كان يوم الأول من كانون الأول يوم شتاء بحق :

فقد عصفت الرياح الباردة ونزل الثلج بكثافة وبدت السنة على اهبة الاستعداد لفراق حياتها .

وعندما جاء الدكتور (بانجس) صباح ذلك اليوم اطال النظر في (بيث) وحمل يدها الملتهبة بين يديه ثم اعادها برقة ووضعها على الفراش وهو يقول بصوت واطئ مخاطباً (حنة) : «اذا استطاعت السيدة (مارتش) ترك زوجها فمن الافضل ان يرسل في طلبها» .

اومأت (حنة) برأسها من غير أن تتكلم لان شفتيها ارتعشتا بعصبية ، وتهاوت (ميج) جالسة على الكرسي بعد ان فارقت القوة اوصالها على ما بدا اثر سماعها هذه الكلمات . وبعد ان وقفت (جو) لحظة وقد امتقع لونها وشحب وجهها فانها هرعت الى غرفة الجلوس وانتزعت البرقية من المنضدة ، ولبست معطفها وخرجت الى البرد والعاصفة . ثم عادت بعد فترة قصيرة . وفيما تقوم بخلع معطفها دخل (لوري) حاملاً رسالة بيده ليعلن بان حالة السيد (مارتش) في تحسن مرة اخرى .

وقرأت (جو) البرقية بامتنان ولكن قلبها بقي مثقلاً بالهموم ولازمت الكآبة وجهها بحيث وجد (لوري) نفسه مجبراً على السؤال بسرعة : «ما الخبر؟ هل ساءت حالة (بيث)؟»

«لقد ارسلت في طلب امي» ، قالت (جو) وهي تشير على جزمتها المطاطية بتعبير مأساوي

«احسنت يا (جو) . هل فعلت ذلك من خلال مبادرتك الشخصية؟» سأل (لوري) وهو يجلسها على الكرسي ويسحب الجزمة العنيدة وقد لاحظ ارتعاش يديها .

«كلا بل اخبرنا الطبيب ذلك» .

«ليس الامر بهذا السوء» ، صاح (لوري) بوجه بدا عليه الجفول .

«بل انه سيئ جداً – فهي لا تعرفنا وقد توقفت حتى عن ذكر قطعان الحمام الأخضر كما كانت تسمي اوراق العنب المرسومة على الحائط . انها لم تعد تبدو مثل (بيث) التي اعرفها ولا يوجد من يمكنه التخفيف عنا وجعلنا نتمكن من حمل مصابنا . لقد ابتعد عنا ابونا وامنا والخلاص يبدو بعيداً بحيث يتعذر عليّ ايجاده» .

وفي اثناء هطول الدموع من عينيها بسرعة وانحدارها على خديها مدت يدها بطريقة بائسة كأنها تتحسس طريقها في الظلمة . وتناول (لوري) اليد الممدودة وهمس برقة وبصوت مختنق .

«انا هنا ، فامسكي بيدي يا عزيزتي (جو)»

لم تتمكن من الكلام ولكنها «أمسكت بيده» وقد اراحت قبضة هذه اليد الودودة الدافئة قلبها المبتلى وبدت كأنها تقودها الى موقع اقرب من اليد الالهية التي كان بامكانها فقط ان تنجدها في محنتها هذه .

كان (لوري) يتوق الى قول شيئ رقيق ومريح ولكنه اخفق في استحضار الكلمات المناسبة فاختار السكوت .

وهو يربت بلطف على اليد كما كانت تفعل امها . وكان هذا افضل ما كان بامكانه ان يعمله لانه ارق من اكثر العبارات بلاغة فقد شعرت (جو) بهذا التعاطف الصامت ومن خلال الصمت ادركت كيف يداوي العزاء الرقيق الاحزان . وبعد قليل جففت الدموع التي اراحتها ونظرت اليه بوجه عبر عن الامتنان . «شكراً يا (تيدي) . اني بخيرالآن . لا اشعر

باني وحيدة ، كئيبة وساحاول تحمل احزاني» .

«واصلي تفاؤلك وستجدين فيه خير عون يا (جو) . ستصل امك قريباً وستعود المياه الى مجراها» .

«اني مسرورة جداً لتحسن صحة ابي .

ولن تشعر امي بالقلق والحزن عند تركه . يا الهي ! لقد جاءت المشاكل دفعة واحدة على ما يبدو وانا احمل على كتفي الجزء الاكثر ثقلاً» ، تنهدت (جو) وهي تمد منديلها المبتل فوق ركبتيها لتجففه

« الا تساعد (ميج) بالقدر الكافي؟» سأل (لوري) وقد بدا عليه الامتعاض

«اجل . انها تحاول ولكن لا يمكنها ان تحب (بيثي) كما احبها انا ، وسوف لا نفتقدها بقدر افتقادي انا لها . (بيث) هي ضميري ولا يمكنني التخلي عنها ابداً .

لا يمكنني! لا يمكنني!»

ودفنت (جو) مرة اخرى وجهها في منديلها المبتل وبكت بحرقة . كانت حتى ذلك الوقت قد تمسكت بالقوة والشجاعة ولم تذرف دمعة واحدة .

وسحب (لوري) يده ووضعها فوق عينه ولكنه لم يتمكن من الكلام قبل نجاحه في كبت شعور البكاء الذي داهمه وفي السيطرة على رجفة شفتيه . وبعد ان هدأ بكاء (جو) قال بنبرة متفائلة : «لا اظنها ستموت انها انسان طيبة جداً واننا نحبها جميعاً ولذلك لا اعتقد بان الله عز وجل سياخذها منا» .

«الطيبون والاعزاء هم الذين يموتون دائماً» ، أنّت (جو) ولكنها توقفت عن البكاء لان كلمات رفيقها قد اراحتها على الرغم من ظنونها ومخاوفها .

«يالك من مسكينة . انك مرهقة . ليس لمثلك ان يشعر انه منبوذ تمهلي لحظة . سارفه عنك بعد ثانية» .

صعد (لوري) السلم وهو يقفز درجتين درجتين في آن واحد بينما وضعت (جو) رأسها فوق قلنسوة (بيث) البنية التي لم يفكر احد برفعها من المائدة حيث كانت قد وضعتها صاحبتها . ولابد ان القلنسوة هذه قد امتلكت نوعاً من السحر لان الروح المطيعة لصاحبتها قد توغلت في (جو) كما بدا . وعندما عاد (لوري) مسرعاً وهو يحمل قدحاً من النبيذ اخذته منه (جو) بابتسامة وقالت بشجاعة : «اشرب نخب صحة حبيبتي (بيث) . انت طيب جداً يا (تيدي) وصديق صدوق . كيف يمكنني ان ارد لك جميلك؟» قالت (جو) . لقد انشطت هذه الكلمات اللطيفة فكرها المشوش .

«سارسل لك قائمة الحساب بعد فترة قصيرة .
اما الليلة فساعطيك شيئاً يجلب الدفئ الى قلبك بشكل افضل مما يفعل النبيذ» ، قال (لوري) وقد اعتلت وجهه ابتسامة ارتياح مكبوت من اجل امرها .

«وما هو هذا الشيئ؟» صاحت (جو) وقد نسيت في اثناء تساؤلها ما كانت تشكوه من احزان لفترة .

«لقد ابرقت لامك يوم امس ، وقد اجابني (بروك) انها ستقدم فوراً

وستكون هنا هذه الليلة ، وسيصبح كل شيئ على ما يرام . الست فرحة لما قمت به؟»

تكلم (لوري) بسرعة وقد اصطبغ وجهه بحمرة قانية من اثر الانفعال لانه كان قد ابقى مؤامرته هذه سراً لكي لا يسبب للفتاتين خيبة امل ولـ (بيث) الاذى . وامتقع لون (جو) التي هبت فجأة من كرسيها . وما ان انتهى (لوري) من كلامه حتى اذهلته عندما طوقت عنقه بذراعيها وصاحت وهي تبكي بكاء الفرح : آه يا (لوري)! آه يا إماه! كم انا سعيدة» . ولم تبك مجدداً بل اخذت تضحك على نحو هستيري وهي ترجف وتمسك بصديقها وكأن الاخبار المفاجئة قد اذهلتها .

وعلى الرغم من دهشته فقد تصرف (لوري) بفطنة فربت على ظهرها مهدئاً ، وبعد ان شعر انها بدأت تعود الى حالها الطبيعي قبلها قبلة خجولة او قبلتين سرعان ما أثابت «جو» – اثرهما – الى صوابها على الفور . وبعد ان امسكت بعمود الدرابزين دفعته بعيداً عنها وهي تقول لاهثة : «لا تفعل هذا . لم اقصد اي شيئ . كان امراً فظيعاً هذا الذي قمت به انا وقد دفعني اليه عملك الطيب الذي قمت به بالرغم عن (حنة) ولذلك لم استطيع منع نفسي من مداهمتك بهذه الطريقة . والآن اخبرني كل التفاصيل ولا تسقني النبيذ مرة اخرى لانه يدفعني الى التصرف بغباء» .

«لا يهمني ذلك» ، قال (لوري) ضاحكاً وهو يعيد ترتيب رباطه . «لقد بدأنا انا وجدي نقلق كثيراً وظننا بان (حنة) قد اخذت تبالغ في ممارسة صلاحياتها وبان اخبار امك كان امراً تفرضه ضرورة الموقف لانها

لن تغفر لنا لو ان (بيث) .... اقصد ان حدث اي شيئ لـ (بيث) .
وهكذا اقنعت جدي بوجوب قيامنا باجراء ما . ثم هرعت الى دائرة البريد يوم امس بعد ان بدا الدكتور (بانجس) جاداً وكادت تغتالني (حنة) عندما اقترحت ارسال البرقية ، فانا اكره التسلط وهو الذي جعلني اقرر بصورة نهائية وقاطعة فقمت بما قمت به .
ستاتي امك بالتاكيد فانا ادرك ذلك جيداً .
وسيصل القطار في الساعة الثانية بعد منتصف الليل .
حيث سأكون في استقبالها في المحطة ولا اطلب منك سوى كبت فرحتك وابقاء (بيث) هادئة لحين وصول هذه السيدة المباركة الى البيت» .
«انك ملاك يا (لوري) ! كيف ساتمكن من شكرك؟»
«تعالي وضميني الى صدرك ثانية فان الامر يستهويني» ، قال (لوري) وقد بدا عليه الخبث وهو امر لم يلجأ اليه لفترة اسبوعين .
«كلا لن افعل ذلك . شكراً لك . سافعله بطريقة التفويض عندما ياتي جدك . لا تضايقني بل اذهب الى البيت وخذ قسطك من الراحة لانك ستضطر الى الخروج بعد منتصف الليل وستبقى مستيقظاً طوال النصف الثاني منه . باركك الله يا (تيدي) ! باركك الله !»
انسحبت (جو) الى زاوية وما أن انتهت من كلامها حتى هرعت مختفية داخل المطبخ حيث جلست على خزانة للاطباق واخبرت القطط التي تجمعت هنا انها كانت «سعيدة جداً» .
اما (لوري) فقد بارح وهو يشعر انه قام بعمل طيب .
«انه اكبر انسان متطفل عرفته . ومع ذلك فاني اغفر له وآمل ان

تكون السيدة (مارتش) فعلاً قادمة هذه الليلة» ، قالت (حنة) وهي تشعر بارتياح عندما اخبرتها (جو) بالامر.

تملكت (ميج) فرحة عظيمة ، ثم عادت بكآبة لتواصل كتابة رسالتها . اما (جو) فقد انشغلت بترتيب الغرفة . وقامت (حنة) بصنع فطيرتين تحسباً لقدوم زائر غير متوقع . وقد هبت على البيت كما بدا نفحة عليلة من الهواء تنورت الغرف الهادئة بشئ افضل من نور الشمس . وقد بدا كل شئ يتحسس التغيير المتفائل . فقد بدأ طير (بيث) يغرد ثانية واكتشف الجميع وردة متفتحة كانت (ايمي) قد زرعتها في اصيص قرب النافذة . حتى انار الموقد أخذت تشعر بمرح غير معتاد .

وكلما التقت الاختان كان وجهاهما الشاحبان يلتقيان بابتسامة وبعد ان تعانق احدهما الاخرى تتمتم كل منهما قائلة : «ستقدم امنا ياعزيزتي ! ستقدم امنا» . وابتهج الجميع باستثناء (بيث) التي رقدت في غيبوبة عميقة وهي غير واعية بالامل والفرح وبالشك والغضب ، وكان منظرها يرثى له : فقد تغير ذلك الوجه الوردي ليصبح باهتاً وخالياً من اي تعبير ، واليدان اللتان كانتا في شغل شاغل دائماً قد رقدتا بضعف وعجز ، وباتت الشفتان الباسمتان صامتتين بينما تناثر شعرها الذي لم يعرف غير الترتيب سابقاً على الوسادة بغير انتظام وتشابكت خصلاته .

وهكذا رقدت طوال اليوم لتستفيق بين وقت وآخر وتتمتم «ماء ! ماء !» بشفاه جافة لم تتمكن من صياغة العبارات ألا بصعوبة بالغة .

وكانت (ميج) و (جو) تحومان حولها طيلة اليوم تراقبان وتنظران وتتمنيان وتضعان ثقتهما بالله وبالوالدة . كان الثلج يهطل طوال اليوم

والرياح العاصفة المثلجة تزمجر بلا انقطاع والساعات تمر ببطء قاتل .
واخيراً خيم الليل . وكلما دقت الساعة تبادلت الاختان – كل من موقعها في جانب من السرير – النظرات بعيون تتلامع ، اذ كان الفرج يقترب بانتهاء كل ساعة . وكان الطبيب قد جاء ليعلن احتمال حدوث تغير ما في حالة (بيث) – للاحسن او للاسوأ – بحدود منتصف الليل ، وقد وعد بالعودة لزيارتها في ذلك الوقت .

رقدت (حنة) على الاريكة عند اسفل الفراش وراحت تغط في سبات عميق بعد ان انهكها الارهاق .

وكان السيد (لورنس) يسير رواحاً ومجيئاً في غرفة الجلوس وهو يشعر بانه يفضل مجابهة بطارية معادية من القوات المتمردة عن النظر الى وجه السيدة (مارتش) وما ترتسم عليه من امارات القلق عند دخولها الى البيت . واستلق (لوري) على السجادة وهو يتظاهر بالاستراحة ولكنه كان في الواقع يحدق في النار بنظرة تنم عن الاستغراق في التفكير مما جعل عينيه السوداوين تبدوان رقيقتين وصافيتين على نحو جميل جداً .

ولم تنس الفتاتان تلك الليلة التي نبذهم فيها النوم وهما تراقبان وتشعران بان لاحول لها ولا قوة ، وهذا شعور ينتابنا في مثل هذه الاوقات .

«لو شاء الله ابقاء (بيث) فلن اتذمر ابداً بعد ذلك» . همست (ميج) بجد .

«لو شاء الله ابقاء (بيث) فساحاول حبه وخدمته طول عمري» ، اجابت (جو) بحماسة مماثلة .

«ليتني لا املك قلباً لان قلبي يؤلمني جداً» ، قالت (ميج) وهي تتنهد بعد توقف قصير .

«ان كانت الحياة في اغلب الاحيان بهذه الصعوبة فلا ادري كيف سيتسنى لنا مواصلة العيش فيها» ، قالت (جو) بقنوط .

وهنا دقت الساعة معلنة منتصف الليل ، ونسيت الاختان نفسيهما اثناء مراقبة (بيث) لانهما تصورا ان تغيراً قد طرأ على وجهها الشاحب .

وكان البيت ساكناً كالموت ولم يكسر هذا الصمت العميق سوى زمجرة الريح . وواصلت (حنة) المرهقة سباتها ولم يشهد احد – باستثناء الفتاتين – ذلك الظل الباهت الذي بدا ظاهراً فوق الفراش الصغير .

ومرت ساعة ولم يحدث شيءٌ باستثناء خروج (لوري) بهدوء للذهاب الى محطة القطار . ومرت ساعة اخرى ولم يأت احد . وعصفت بالفتاتين المسكينتين مخاوف اقلقت راحتيهما : هل حصل تأخير بسبب العاصفة؟ هل وقعت حادثة؟ او في اسوأ الاحوال هل حدث مصاب عظيم في واشنطون؟

كان الوقت قد تجاوز الثانية بعد منتصف الليل عندما وقفت (جو) امام النافذة وهي تفكر كم تبدو الدنيا كئيبة وموحشة وهي تنوء تحت هذا الغطاء من الجليد . وفجأة شعرت بحركة قرب السرير فالتفت بسرعة لتجد (ميج) تركع امام كرسي امها وقد غطت وجهها . وعصف بـ (جو) خوف مقيت وهي تظن : «لابد ان (بيث) قد ماتت وان (ميج) تخشى اعلامي .»

عادت الى موقعها بسرعة لتشهد بام عينيها القلقتين ان تغيراً عظيماً –

على ما بدا – قد حدث . لقد زال احمرار الحمى ومظهر الالم وبدا الوجه الصغير الحبيب باهتاً وهادئاً في نومة .

وهكذا لم تجد (جو) اي دافع للبكاء والحزن . وبعد ان انحنت فوق اعز اخوتها وطبعت على جبينها الرطب قبلة بشفة حملت قلبها ، ثم همست قائلة : «في امان الله ياعزيزتي (بيث)! في امان الله!»

وكأن الحركة هذه قد ايقظتها ، اذ نهضت (حنة) من نومها واسرعت الى الفراش لتلقي نظرة على (بيث) ولتتحسس يدها وتراقب شفتيها . ثم القت مئزرها فوق رأسها وجلست تهتز الى الامام والخلف وهي تقول : «لقد زالت الحمى انها تنام نوماً طبيعياً الآن وبشرتها رطبة وتنفسها سهل وطبيعي نحمد الله ونشكره» .

وقبل ان تؤمن الفتاتان بهذه الحقيقة المفرحة ، جاء الطبيب ليؤكدها . وكان الدكتور (بانجس) رجلاً بسيطاً يفتقر الى الوسامة بيدان الاختين ظنتا ان وجهه كان في غاية الروعة والجمال عندما ابتسم وقال ، وهو ينظر اليهما نظرة ابوية : «اجل ياعزيزتي اظن ان الطفلة ستشفى هذه المرة . ليبق البيت هادئاً كي تتمكن من اخذ قسطها من الراحة ، وعندما تستفيق قوما باعطائها هذا ....»

لم تسمع اي منهما ما كان عليهما اعطاؤه لـ (بيث) من دواء لانهما انسلتا الى الرواق المظلم وجلستا على درجة السلم وضمت احداهما الاخرى بحرارة وابتهجتا بقلبين ملأتهما الفرحة والسعادة بحيث وجدت الفتاتان نفسيهما عاجزتين عن الكلام وعندما عادتا الى الغرفة لكي تقبلهما (حنة) وجدتا (بيث) مستلقية على عادتها وقد توسد خدها يدها وزال

ذلك الشحوب من وجهها واخذت تتنفس بهدوء وكأنها قد نامت لتوها .

«حبذا لو تأتي امنا الآن» ، قالت (جو) وقد بدأت تلك الليلة الباردة بالتناقص .

«انظري» قالت (ميج) وقد جاءت بوردة بيضاء ، نصف متفتحة . «ظننت بانها لن تكون جاهزة لكي نضعها في يد (بيث) غداً لو .... لو كان قد قدر لها ان تفارقنا . ولكنها قد تفتحت في الليل . والآن انوي وضعها في مزهريتي هنا لكي تكون اول شيئ تشاهده العزيزة (بيث) عندما تستفيق بالاضافة الى وجه امنا .»

لم يسبق للشمس ان اشرقت بمثل هذا الجمال ، ولم يبد العالم احلى ، في نظري (ميج) و(جو) عندما اطلا من شباكها في الصباح الباكر إثر انتهاء يقظتهما الطويلة ، المحزنة .

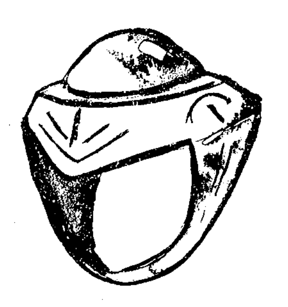
«يبدو كأنه عالم مسحور» ، قالت (ميج) وهي تبتسم لنفسها عندما وقفت خلف الستائر تراقب المنظر المذهل

«اصغي !» صاحت (جو) وهي تثبت على قدميها .

اجل ، كان هناك صوت جرس عند الباب في الطابق الاسفل ، اعقبته صيحة من (حنة) ، ثم جاء صوت (لوري) وهو يقول بهمس بهيج «لقد جاءت ايتها الفتاتان! لقد جاءت!»



الفصل التاسع عشر



وصية أيمي

عندما كانت الامور التي مر ذكرها تحدث في منزل اسرتها ، كانت (ايمي) تقضي اياماً صعبة في بيت العمة (مارتش) . فقد كان لهذا المنفى الذي ارسلت اليه اثره العميق في نفسها ، ولأول مرة في حياتها ادركت كم كانت محبوبة ومدللة في بيتها . فالعمة (مارتش) لم تدلل احداً ابداً لانها لم تؤمن بذلك اساساً ولم تقره . ولكنها ارادت ان تكون كريمة ولطيفة ، فقد حازت الفتاة المؤدبة على رضاها الى حد بعيد ، كما انها كانت تحب اطفال ابن اخيها وان لم تعتبر الاعتراف بذلك من الامور اللائقة . وقد حاولت جهدها كي تسعد (ايمي) . ولكن الاخطاء التي

وقفت فيها كانت امراً يفوق الوصف! فقلوب بعض المسنين من الناس تبقى شابة رغم التجاعيد والشعر الأشيب ، وبذلك تجدهم قادرين على التعاطف مع مباهج الاطفال وهمومهم الصغيرة فيكسبون ودهم ويصبحون ملاذهم ومستودع اسرارهم الامر الذي يمكنهم من جانب آخر من اسداء النصح والارشاد في اطار صيغ لطيفة ومقبولة محققين من خلال ذلك كسب الصداقات واعطاءها مكانتها باحلى الطرق واكثرها تأثيراً . الا ان العمة (مارتش) لم تملك هذه الموهبة ولذلك نجدها قد اثقلت كاهل (ايمي) باوامرها وتوجيهاتها وتصرفاتها الصارمة وارشاداتها الطويلة ، المضجرة . فبعد ان اكتشفت ان هذه الطفلة كانت اكثر دماثة ووداً من اختها شعرت السيدة العجوز ان الواجب يدفعها الى محاولة ابطال مفعول الاثار السيئة التي ترتبت نتيجة الحرية والتدليل . وبذلك فانها فرضت سيطرتها على (ايمي) وبدأت تلقنها كما تم تلقينها هي بالذات قبل ستين عاماً – وهي عملية كان من شأنها زرع الرعب والفزع في نفس (ايمي) التي شعرت وكأنها ذبابة وقعت فريسة في نسيج عنكوبت ضارٍ .

كان عليها غسل الصحون والاكواب كل صباح ، وجلاء المعالق ذات الطراز القديم وابريق الشاي الفضي ، الكبير كما كان عليها غسل الاقداح بصورة جيدة بحيث تصبح براقة . بعد ذلك كان لابد لها من نفض الغبار من الغرف ، وهي مهمة شاقة ومتعبة للغاية : فقد كانت عينا العمة (مارتش) حادتين بحيث كانتا تكتشفان ذرة التراب حيثما كانت كما كانت للآثاث ارجل مخلبية ناهيك على مااحتوته من الحفر الامر الذي لم

يكن من السهل رفع الغبار عنها بسهولة تؤمن رضا العين الحادة . بعد ذلك كان لابد من اطعام الببغاء (بولي) وتمشيط شعر الكلب والصعود الى الطابق العلوي والنزول عنه لقضاء هذا العمل او ذاك والذهاب الى السوق لان السيدة العجوز كانت مقعدة ولم تترك كرسيها الكبير الا نادراً . وبعد انجاز كل هذه الاعمال المرهقة . كان عليها ان تلتفت الى دروسها التي كانت في الواقع اختباراً يومياً لكل فضيلة من الفضائل التي امتلكتها . ازاء ذلك كله كان يسمح لها بقضاء ساعة واحدة في ممارسة التمارين الرياضية او اللعب .

وكان (لوري) يزور البيت يومياً ويتملق العمة ليقنعها بالموافقة على السماح ل (ايمي) بالخروج معه حيث كانا يقضيان اوقاتاً ممتعة جداً في ركوب العربة او التنزه مشياً على الاقدام . بعد وجبة العشاء كان عليها ان تقرأ بصوت عالٍ وتجلس بصمت وسكون عند نوم السيدة العجوز وهو امر كان يحدث في اغلب الاحيان ان كانت تغط في سبات عميق أثناء قراءة الصفحة الاولى .

ثم يحين دور المرقعة(*) او غيرها من اعمال الخياطة وكانت (ايمي) تنهمك في الخياطة بدماثة ظاهرة وبتمرد باطن حتى الغسق حيث يسمح لها بالتمتع حسب مشيئتها حتى يحين موعد الشاي .

وتعتبر الامسيات اكثر الاوقات تعاسة بالنسبة ل(ايمي) اذ كانت العمة (مارتش) تنصرف الى سرد حكايات طويلة عن ايام شبابها .

(*) — المرقعة — قطع من اقمشة مختلفة الالوان والاشكال يصار الى خياطتها لتصبح غطاء للحاف او وسادة — المترجم

وكانت القصص هذه مملة بحيث تكون (ايمي) نتيجتها على استعداد تام للذهاب الى الفراش وهي تنوي ندب حظها العاثر ولكنها كانت في اغلب الاحيان تستسلم لسبات عميق قبل ان تكون قد تمكنت من ذرف دمعة او دمعتين .

ولولا زيارات (لوري) ووجود (إستر) ، الخادمة ، لما تمكنت (ايمي) من قضاء ذلك الوقت المقيت .

فقد كانت الببغاء بحد ذاتها كفيلة باثارة غضب (ايمي) ودفعها الى القيام باعمال لاتحمد عقباها . وقد ادركت الببغاء هذه بعد فترة قصيرة جداً بان الفتاة لم تكن تميل لها ولذلك فانها عمدت الى الانتقام منها بكل الوسائل الشريرة : فكانت تشد شعر (ايمي) كلما اقتربت منها ، وتعمد الى اراقة طعامها وحليبها في القفص – بعد ان تكون (ايمي) قد قامت بتنظيفه – لكي تضطر هذه الفتاة الى تنظيفه مجدداً . بالاضافة الى ذلك كانت هذه الببغاء اللعينة تلجأ الى اصدار شتى انواع الصرخات لتوقظ السيدة العجوز من نومها ناهيك عن التعابير الجارحة التي كانت توجهها الى (ايمي) .

وباختصار كان تصرف هذه الببغاء شائناً جداً .

ولم تتمكن (ايمي) كذلك من الانسجام مع الكلب .

ذلك الهجين البدين الذي كان يزمجر ويعوي عندما كانت تقوم بتنظيفه وتمشيط شعره ..

كما كان يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه الى الاعلى ويعمد الى شتى الممارسات السخيفة عندما كان يريد شيئاً يأكله وكان ذلك يجري بمعدل

ست مرات في اليوم . وكانت الطاهية امرأة عصبية المزاج والحوذي عجوز اطرش . وبذلك لم يهتم احد بهذه الشابة الضيف باستثناء (إستر) .

كانت (إيستر) امرأة فرنسية وقد عاشت مع (المدام) – وهو اللقب الذي كانت تنادي سيدتها به – لسنين عديدة واستبقتها بسبب عدم تمكن هذه السيدة العجوز من تدبر امرها من دونها .

وكان اسمها الحقيقي (إيستيل) ولكن العمة (مارتش) امرتها بتغيره فاطاعت شريطة ان لايطلب منها تغيير دينها . وقد احبت (إيستر) (المدموزيل(*)) الشابة التي وجدت متعة كبيرة في الاستماع الى تفاصيل القصص الغريبة التي كانت ترويها هذه الخادمة عن حياتها في فرنسا وذلك عندما كانت (ايمي) تجلس قربها في أثناء انشغالها بتهيئة الاشرطة المخرمة لسيدتها . كما سمحت (استر) ل (ايمي) بالتجول في انحاء البيت الكبير وتفحص مااحتواه من نفائس واشياء غريبة وجميلة كانت محفوظة في الخزانات وفي الصناديق الاثرية ، سيما اذا ادركنا ان العمة (مارتش) كانت تهوى التكديس كما يهواه العقعق(*) .

وكانت الخزانة الهندية هي التحفة التي استقطبت انتباه (ايمي) واعجابها لما كان فيها من ادراج غريبة وفجوات لحفظ الاوراق ومخابئ سرية احتوت على مختلف انواع الحلي والزينة كان قسم منها ثميناً والقسم الآخر غريباً ولكنها جميعاً كانت اثرية . وقد وجدت (ايمي) في تفحص هذه القطع وترتيبها متعة عظيمة سيما علب الجواهر التي استكانت فيها

(*) – عبارة فرنسية تعني الانسة .

(*) العقعق – هو الغراب الابقع الطويل الذيل – المترجم

الحلي على وسائد مخملية – تلك الحلي التي زينت فتاة جميلة قبل اربعين عاماً . وكان من بين هذه النفائس مجموعة العقيق الاحمر التي كانت العمة (مارتش) تتزين بها عند خروجها من البيت ، والالئ التي اهداها لها ابواها يوم زواجها ، والاحجار الماسية ومجموعة الخواتم ودبابيس الزينة الخاصة بالمآتم والعلب المرصعة التي تعلق في قلائد او سلاسل وتضم صور اصدقاء توفاهم الله واساور للاطفال كانت تزين معصمي طفلتها . بالاضافة الى كل ذلك كانت هناك ساعة العم (مارتش) الكبيرة – تلك الساعة التي عبثت بها ايدي الكثير من الاطفال.

اما خاتم زواج العمة (مارتش) فقد قبع منفرداً في علبة خاصة به – ذلك الخاتم الذي لم تعد العمة قادرة على وضعه الآن في اصبعها البدين ، والذي حفظته بصفته اثمن مالديها من حلي وجواهر .

«اية هذه النفائس تفضل (المدموزيل) اختيارها لو كان لها حرية القيام بذلك؟»

سألت (ايستر) التي كانت تجلس دائماً قريبة من (ايمي) لتراقب ولتضع النفائس مرة اخرى في صناديقها او ادراجها المقفلة .

«لقد حازت الاحجار الماسية على اعجابي بالدرجة الاولى . ولكني لم اجد قلادة واحدة بين هذه النفائس ، وانا اهوى القلائد فاني اختار هذه»

اجابت (ايمي) وهي تنظر باعجاب متناهٍ الى سلسلة من الخرز الذهبية والابنوسية تدلى منها صليب ثقيل مصنوع من نفس المادتين .

«وانا ايضاً أشتهي هذه السلسلة ولكن لا اريدها قلادة ! بل

مسبحة ، لاني اريد استخدامها بهذه الصفة انطلاقاً من كوني كاثوليكية مؤمنة» قالت (استر) وهي تنظر الى هذه القطعة الجميلة بتأمل .

«هل يراد استخدامها كما تستخدمين انت العقد ذا الخرز الخشبية الزكية الرائحة الذي يتدلى من المرآة التي في غرفتك؟» سألت (ايمي) .

«اجل لكي استخدمها في الصلاة والتأمل ، اذ ينال المتعبد منا رضى القديسين واولياء الله عندما يستخدم مسبحة فاخرة كهذه بدلاً من لبسها حلية لاترضي سوى غرور من تلبسها . فلو ذهبت (المدموزيل) كل يوم للتأمل والصلاة – كما كانت تفعل سيدتي الصالحة التي كنت اخدمها قبل (المدام) – فستكون قد عملت عملاً صالحاً . وكان لدى سيدتي الاولى مصلى صغير تجد فيه السلوان لكثير من المشاكل التي تصادفها» .

«وهل اكون قد عملت عملا صالحا اذا ماحذوت حذوها ؟» سألت (ايمي) التي شعرت من خلال وحدتها بالحاجة الى نوع من المساعدة لاسيما وانها كانت تنسى مطالعة كتابها المقدس بغياب (بيث) التي كانت تذكرها دوما .

«يكون قد عملت عملا ممتازا وعظيما . وساقوم باعداد اللازم في غرفتك بكل سرور اذا ماشئت ذلك . لا داعي لاخبار (المدام) بالامر . فعندما تذهب الى النوم يمكنك الذهاب والجلوس بمفردك والتأمل بكل الامور الجيدة والتوجه الى الله بالدعاء لكي يحفظ لك اختك» .

كانت (استر) امرأة ورعة بكل معنى الكلمة وكانت صادقة في نصحها اذ كان لها قلب عطوف رحيم كما كانت تتعاطف مع الاخوات في محنتهن هذه . وقد وجدت هذه الفكرة قبولا من لدن (ايمي) اني سمحت

لـ (استر) باعادة تنظيم الحجرة الصغيرة المجاورة لحجرتها لهذا الغرض آملة ان يعود الامر هذا عليها بالفائدة .

«ليتني اعرف مصير هذه النفائس والكنوز بعد وفاة العمة (مارتش») ،» قالت (ايمي) وهي تعيد المسبحة المتلامعة الى مكانها وتغلق علب المجوهرات الواحدة بعد الاخرى .

«لك ولاخواتك . انا اعرف ذلك جيدا . فـ (المدام) تأتمنني على اسرارها ، كما كنت شاهدة اثناء قيامها باعداد وصيتها . هكذا سيكون الامر» ، همست (أستر) وهي تبتسم .

«ماأجمل ذلك ! ليتها تقوم الآن بالسماح لنا بامتلاكها ! فالمماطلة امر غير مجدٍ» ، علقت (ايمي) وهي تلقي نظرة اخيرة على الماسات .

«الوقت لايزال مبكرا لقيام الاوانس بارتداء مثل هذه الحلي والجواهر . ستكون الآلئ من نصيب اول فتاة تتم خطوبتها منكن ، وهذا ما قالته (المدام) . واتصور ان الخاتم الفيروزي ، الصغير سيكون من نصيبك عند عودتك الى منزلك لان (المدام) مرتاحة جدا من تصرفك اللائق واخلاقك المهذبة» .

«هل تعتقدي ذلك ؟ اني على استعداد لكي اكون حملا وديعا في سبيل الحصول على هذا الخاتم الجميل ! انه اجمل بكثير من خاتم (كتيي برايانت) . اني احب العمة (مارتش) رغم كل شيءٌ» . ثم قامت بلبس الخاتم الفيروزي بوجه غمرته الفرحة وبعزيمة ثابتة للقيام بما يلزم من أجل امتلاكه .

ومنذ ذلك اليوم اصبحت (ايمي) نموذجا للطاعة وقد عزت العمة

(مارتش) الامر هذا الى نجاح ماقامت به من تدريب – هذا النجاح الذي حظى منها بالرضى والارتياح . اما (استر) فقد وضعت في الحجرة الصغيرة طاولة صغيرة ووضعت امامها مسند قدمين وعلقت فوق الطاولة صورة اخذتها من احدى الغرف المغلقة . ولم تظن (استر) ان للصورة هذه قيمة كبيرة ولكنها استعارتها لأنها كانت ملائمة وهي تدرك جيدا بان (المدام) لن تدرك ذلك وبانها لاتهتم ابدا حتى لو علمت بالامر . ولكن الصورة في الواقع كانت نسخة ثمينة لاحدى الصور العالمية الشهيرة . ولم تعجز عينا (ايمي) المحبتان للجمال من النظر الى ذلك الوجه البرئ للأم المقدسة ، بينما امتلأ قلبها بافكار رقيقة وحساسة . وقد وضعت على الطاولة انجيلها الصغير وكتاب التراتيل ومزهرية تلمؤها دائما باحسن الزهور التي يجلبها لها (لوري) وكانت تأتي كل يوم تجلس في مصلاها الصغير هذا بمفردها «لتفكر بالامور الصالحة ولتبتهل الى الله العزيز ان يحفظ اختها» . وقد اعطتها (استر) مسبحة فيها خرز سوداء وصليب فضي ولكن (ايمي) اكتفت بتعليقها فقط ولم تستخدمها بسبب ماراودتها من شكوك بعدم ملاءمة هذه المسبحة مع الصلوات البروتستانتية .

وكانت الفتاة الشابة صادقة في ممارستها هذه . فبعد ان وجدت نفسها بعيدة عن عش العائلة الامن شعرت بحاجة الى يد عطوفة تمسك بها ولذلك اتجهت بصورة غريزية الى الصديق الرقيق ، الجبار الذي يحيط اطفاله الصغار بحبه الابوي . وقد افتقدت امها ومساعدتها – تلك المساعدة التي ترشدها الى فهم نفسها والسيطرة عليها – ولكنها بفضل ما تعلمته عن المجال الذي كان عليها التوجه اليه في مثل هذه الحال فانها

حاولت جهدها لا للسير في الاتجاه الصحيح فحسب بل والسير فيه بثقة . ولكن (ايمي) لم تكن سوى حاجة صغيرة السن وقد بدا حملها ثقيلا في تلك اللحظة . وقد حاولت أن تنسى نفسها وان تواصل محاولتها لتكون دائمة البشاشة والمرح ولترضى بمجرد القيام بالعمل الصالح حتى اذا لم يحظ هذا العمل بمن يشهد على قيامه او الاثناء عليه . ومن خلال جهودها الاولى لكي تصبح فتاة صالحة جدا فانها قررت كتابة وصيتها كما كانت عمتها قد فعلت قبلها وذلك لكي يتم توزيع ممتلكاتها بكرم وانصاف في حالة مرضها او وفاتها . وقد شعرت بوخز وألم بمجرد التفكير في نبذ الكنوز الصغيرة التي كانت بنظرها لاتقل قيمة عن جواهر وحلي السيدة العجوز ، عمتها .

وفي اثناء احدى ساعات اللعب المخصصة لها ، كتبت (ايمي) هذه الوثيقة المهمة باحسن ما استطاعت من اسلوب وبقليل من المساعدة من لدن (استر) بخصوص بعض المطلحات القانونية . وقد شعرت (ايمي) براحة عندما قامت هذه السيدة الفرنسية الطيبة بتبيت توقيعها . وقد قررت بعد ذلك اطلاع (لوري) على الوثيقة لانها ارادته ان يكون شاهدا ثانيا على ماجاء فيها . ولما كان اليوم مطيرا فانها ذهبت الى الطابق العلوي لتمتع نفسها في احدى الغرف الكبيرة وقد استصحبت (بولي) معها لتؤمن لها الرفقة . وفي تلك الغرفة كانت هناك خزانة ملابس مليئة بالأزياء والالبسة ذات الطراز القديم التي سمحت لها (استر) بالعبث بها . ووجدت في لبس هذه الانسجة – التي بهت لونها – والتباهي بها امام المرآة الطويلة متعتها المفضلة وهي تنحني باحترام انحناءة مهيبة او تسحب

ذيل فستانها الطويل برشاقة محدثة حفيفا يبهج اذنيها . وقد انشغلت في ذلك اليوم بالذات الى درجة انها لم تسمع صوت جرس (لوري) ولا ترى وجهه الذي اخذ يسترق النظر اليها اثناء استعراضها ذهابا وايابا امام المراة وترفع رأسها بحركة مفاجئة وقد وضعت عليه قبعة وردية اللون تشبه العمامة تتباين بغرابة مع القميص الازرق والتنورة الصفراء . وقد اضطرت الى السير بحذر لانها كانت تلبس حذاء بكعب عال وكان منظرا طريفا جدا – كما وصف تفاصيله (لوري) لـ (جو) لاحقا – وهي تتحرك ببطء وخيلاء بملابسها الغريبة هذه وقد اخذت (بولي) تمشي بانحراف وتشمخ بانفها خلف (ايمي) محاولة تقليدها ما استطاعت وهي تقف بين الحين والاخر لتطلق ضحكة او عبارة تعجب قائلة : «السنا على احسن مايرام ؟ هيا ! واصلي نشاطك ايتها الوقحة ! اخرسي ! قبليني ! ها ! ها !»

وبعد ان وجد صعوبة جمة كبت انفجار ضحكة كادت تنطلق رغما عنه ، ولكي لا يتسبب بجرح شعور جلالتها قام (لوري) بالنقر على الباب فاستقبل بكرم وكياسة .

«اجلس واسترح ريثما اعيد هذه الملابس الى محلها فاني اريد بعد ذلك استشارتك في امر ذي بال ،» قالت (ايمي) بعد ان استعرضت ابهتها ودفعت بـ (بولي) الى احدى الزوايا . «هذه الببغاء هي محنة حياتي ومصدر تعبي ،» واصلت (ايمي) كلامها وهي تخلع من رأسها تلك القبعة الغريبة في اثناء قيام (لوري) بالجلوس منفرج الساقين على احد الكراسي . «عندما كانت العمة (مارتش) تغط في نومها يوم امس ،

وكنت احاول الالتزام بالهدوء كفأرة ، بدأت (بولي) تثير صخبا وجلبة في قفصها وحين ذهبت لاخراجها وجدت عنكبوتا كبيرا هناك . فاجبرته على الخروج من القفص حيث اسرع بالاختباء تحت خزانة الكتب . فما كان من (بولي) الا المشي خلفه والنظر اليه تحت الخزانة وهي تقول بطريقتها المضحكة وقد رفعت عينيها الى الاعلى : » هيا ياعزيزي اخرج وتمشَ . « ازاء ذلك لم يسعني سوى الضحك الامر الذي دفع (بولي) الى الشتم فاستيقظت العمة (مارتش) وزجرتنا .

«وهل قبل العنكبوت دعوة الببغاء ؟» سأل (لوري) وهو يتثاءب .

«اجل لقد خرج فعلا وقد هربت (بولي) مولية الادبار خوفا فعثرت بكرسي العمة (مارتش) وهي تصرخ» امسكوه ! «امسكوه ! امسكوه ! امسكوه !» في اثناء قيامي بطرد العنكبوت .

«هذا كذب يالهي !» صاحت الببغاء التي كانت تنقر جزمة (لوري) .

«لو كنت ملكي لقطعت رقبتك ايها اللعينة» ، صاح (لوري) وهو يلوح بقبضته للببغاء التي مالت براسها جانبا وصاحت «هللويا* ! لتبارك ازرار سترتك ياعزيزي» .

«اني مستعدة الآن» ، قالت (ايمي) وهي تغلق خزانة الملابس وتخرج ورقة من جيبها . «اريد منك قراءة محتويات هذه الورقة واخباري ان كانت صحيحة ومستوفية للشروط القانونية . شعرت بوجوب قيامي باتخاذ هذه الخطوة لعدم وجود اي ضمان في هذه الدنيا ولعدم رغبتي في

(*) – هللويا – عبارة يقصد بها الشكر لله – المترجم

حدوث اية بلبلة او اي استياء فوق قبري» .

عض (لوري) على شفته . وبعد ان استدار جانبا اخذ يقرأ الوثيقة بجدية واهتمام جديرين بالثناء وهو يلاحظ ما ورد فيها من اخطاء املائية .

وصيتي الاخيرة

اني (ايمي كورتيس مارتش) اشهد باني في كامل قواي العقلية ، اترك مالدي من ممتلكات دنيوية على النحو المبين ادناه :

أترك لابي افضل مالدي من صور ورسوم تخطيطية وخرائط واعمال فنية بما في ذلك الاطر الخاصة بها . كما اترك له مبلغ مائة دولار تعود ملكيته لي ليتصرف به كيفما شاء .

واترك لامي ملابسي كافة – باستثناء مئزري الازرق ذي الجيوب – بالاضافة الى صوري الشخصية وقلادتي مع الكثير من حبي .

واترك لاختي العزيزة (مارجريت) خاتمي الفيروزي في حالة حصولي عليه وصندوقي الاخضر وما يحتويه من اشياء كما اترك لها قطعة (الدانتيلا) الحقيقية لكي تضعها حول عنقها والصورة التي رسمتها لها لتتذكر بها «فتاتها الصغيرة» .

واترك دبوسي الصدر الى اختي (جو) واقصد بذلك الدبوس الذي تم اصلاحه بالشمع الاحمر . كما اترك لها محبرتي البرونزية – التي اضاعت غطاءها – وأرنبي النفيس المصنوع من الجبس تكفيرا مني ، واعتذارا ،

لقيامي بحرق قصتها الروائية .

واترك لـ (بيث) – ان قدر لها ان تعيش بعدي – دمياتي كلها ومكتبي الصغير ومروحتي وياقتي القطنية ونعلي الجديد ان تمكنت من لبسه وذلك بسبب مافقدته من وزن نتيجة مرضها . كما اقدم لها اسفي لقيامي بالاستهزاء بـ (جوانا) .

واترك لصديقي وجاري (ثيودور لورنس) حقيبة اوراقي والحصان الذي صنعته من طين وذلك على الرغم من قوله ان هذا الحصان يفتقر الى رقبة . كما اترك له اختيار اي عمل من اعمالي الفنية الذي يرغب فيه – والتي تعتبر نوتردام افضلها – وذلك اعترافا مني بلطفه وكرمه في ساعة محنتنا .

واترك الى المحسن الينا السيد (لورنس) صندوقي الوردي ذا المرآة الذي سيكون لائقا لحفظ اقلامه والذي سيذكره بالشابة الراحلة التي تشكره على صنائعه واحسانه لعائلتها لاسيما (بيث) .

وارغب بترك مئزري الحريري الازرق الى رفيقتي المفضلة (كتي برايانث) . كما اترك لها خاتمي ذا الخرزة الذهبية واترك لها قبلة .

واترك الى (حنة) علبة الياقات التي طالما ارادتها كما اترك لها جميع مالدي من اعمال (المرقعة) واتمنى ان تذكرني من خلالها .

والآن ، وبعد ان قمت بتوزيع اغلى مالدي من ممتلكات امل ان اكون قد ارضيت الاطراف المعنية كافة وتخلصت من كل لوم . كما اقوم بمسامحة الجميع وامل ان نلتقي جميعا عندما يفنخ في الصور . امين .

اقرارا مني بصحة ماورد اعلاه في هذه الوصية اثبت توقيعي وختمي

في هذا اليوم العشرين من شهر تشرين الثاني من سنة ١٨٦١ الميلادية .
(التوقيع) ايمي كورتيس مارتش
الشاهدان (ايستيل ڤالنور
ثيودور لورنس

كتب الاسم الاخير بقلم الرصاص وقد طلبت (ايمي) من (لوري) ان يكتبه بالحبر ثم يختمه لها على نحو اصولي .

«ماالذي اقنعك بالقيام بهذا الاجراء؟ هل اخبرك احد بان (بيث) قامت بتوزيع ممتلكاتها؟» سأل (لوري) بلهجة جادة في اثناء قيام (ايمي) بجلب شريط وشمع احمرين وفتيلة مشمعة ووضعها امامه .

بعد ان شرحت له مادفعها الى القيام بهذا الاجراء سألته بلهفة: «وماذا فعلت (بيث)؟»

«آسف لاني تكلمت ، ولكنني ساخبرك طالما كنت قد بدأت . لقد اشتد مرضها في احد الايام الى حد انها ارادت ان تهب بيانها الى (ميج) وقططها لك والدمية البائسة الى (جو) التي كان عليها ان تحبها وترعاها من اجل (بيث) نفسها .

ولقد تأسفت لقلة مالديها من اشياء دنيوية ولذلك فانها تركت خصلات من شعرها لكل واحد منا . كما تركت حبها واطيب تمنياتها الى جدي .

الا انها لم تفكر بكتابة وصية» .

كان (لوري) يختم ويوقع في أثناء كلامه ولم ينظر الى اعلى حتى سقطت فوق الورقة دمعة . كان وجه (ايمي) مليئاً بالمشاكل ولكنها لم

تقل سوى هذه العبارة : «الايقوم البعض احيانا باضافة ذيل للوصايا التي يكتبونها؟»

«اجل . انهم يسمونها ملاحق» .

«اذاً اضف ملحقاً لوصيتي مفاده اني ارغب في ترك كل خصلات شعري وتوزيعها على اصدقائي وصديقاتي كافة بعد قصها . لقد نسيت هذا الامر ولكني اريد تحقيقه على الرغم من انه سيتسبب في افساد مظهري الجميل» .

قام (لوري) باضافة هذه العبارات وقد اعتلت وجهه ابتسامة عندما سمع الاخيرة منها والتي تمثل التضحية الكبرى . بعد ذلك مكث مع (ايمي) للترويح عنها وقد اهتم كثيراً بما روته له من المشاكل التي كانت تعاني منها . وعندما حان وقت انصرافه أمسكت به (ايمي) وهمست في اذنه بشفاه مرتجفة : «هل هناك اي خطر يواجه (بيث)؟»

«اخشى ان هناك مثل هذا الخطر . ولكن علينا ان نكون متفائلين ولذلك ارجو ان تكفي عن البكاء ياعزيزتي . » ثم قام (لوري) بلف ذراعه حولها بتصرف اخوي اراحها كثيراً .

وبعد ان انصرف ، ذهبت (ايمي) الى مصلاها الصغير . حيث جلست هناك في الغسق وتوجهت الى الله تعالى بالدعاء طالبة من الباري عز وجل ان يحفظ (بيث) ويبقيها . وفي اثناء ذلك كانت الدموع تنهمر من عينيها وقد شعرت بان ملايين الخواتم الفيروزية تعجز عن تعزيتها على فقدان اختها الرقيقة ، الصغيرة .

الفصل العشرون



امور خصوصية وسرية

لا اظني املك العبارات التي من شأنها ان تصف بدقة لقاء الام بابنتها . فجميل جداً ان يعيش الانسان هذه الساعات ولكن من الصعب جداً ان يصفها ، وعليه سوف اترك الامر لتصور القارئ اللبيب ، ساكتفي بالقول ان البيت قد امتلأ بالفرحة الحقيقية وان أمنية (ميج) الرقيقة قد تحققت .

فعندما استيقظت (بيث) الرقيقة من غيبوبتها الطويلة كانت الوردة الصغيرة ووجه الوالدة اول شيئين وقعت عليهما عيناها . ولعدم تمكنها من طرح اي تساؤل بسبب ضعفها الشديد فانها اكتفت بمجرد الابتسامة

لتستكين بعد ذلك بين الذراعين الحنونين الذين التفا حولها وهي تشعر بان رغبتها الشديدة قد تحققت اخيراً . ثم عادت لتنام مرة اخرى . وقد قامت الفتاتان بخدمة امهما التي رفضت ان تفك من يدها تلك اليد النحيفة التي تمسكت بها حتى في النوم .

وقد استطاعت (حنة) ان تهيئ للمسافرة فطوراً لانها اخفقت في التعبير عن فرحتها وتأثرها بطريقة اخرى . وقد قامت (ميج) و (جو) باطعام والدتهما مثل لقلقين وفيين بينما أنصتا لها عندما أخبرتهما همساً تفاصيل حالة أبيهما والوعد الذي قطعه السيد (برووك) على نفسه للبقاء الى جانب الاب والسهر على راحته والتأخير الذي تسببت فيه العواصف في طريق العودة والراحة التي لايمكن وصفها:

تلك الراحة التي شعرت بها عند النظر الى وجه (لوري) المتفائل عندما وصلت وقد انهكها التعب والبرد والقلق .

ما اغرب ذلك اليوم وما احلاه في نفس الوقت! كان يوماً ساطعاً ومبهجاً من الخارج لان العالم قد خرج ، على مابدا ، ليرحب باول تساقط للثلج ، وكان هادئاً وساكناً من الداخل لان الجميع قد غطوا في سبات عميق ، بعد ليلة قضوها في السهر والمراقبة ، فعم الهدوء البيت بينما وقفت (حنة) حارساً عند الباب . وقد اغلقت (ميج) و (جو) عينهما المرهفتين ، بعد ان رفعت عنهما اعباء المسؤولية ، فرقدتا ، مثل قاربين انهكتهما العاصفة ، بسلام في مساء آمن وهادئ . وقد رفضت السيدة (مارتش) ان تترك جانب (بيث) بل قررت الاستراحة على الكرسي الكبير لتستفيق بين وقت آخر وتلقي نظرة على ابنتها الراقدة وتتحسسها وتطيل

التفكير بها وتتأملها مثلما يفعل البخيل وهو يجلس امام كنز قد استعاده .

في الحين ذاته ارسل (لوري) لينقل الاخبار السعيدة الى (ايمي) وليخفف عنها . وقد قام بسرد التفاصيل بجودة متناهية بحيث اخذت العمة (مارتش) تتنشق – وهي التي طالما كرهت قيام الاخرين بالتنشق – ولم تنطق ابداً بعبارة لقد حذرتكم من ذلك» . وقد خرجت (ايمي) في هذه المناسبة قوية جداً الأمر الذي يدفعني الى الاعتقاد بان الصلوات التي كانت تقام في المصلى الصغير قد بدأت تثمر . فسرعان ماجففت دموعها وكبحت تلهفها لرؤية امها ، ولم تتذكر ابداً ذلك الخاتم الفيروزي ، عندما اتفقت السيدة العجوز مع رأي (لوري) بان (ايمي) قد تصرفت «مثل امرأة صغيرة مثالية» . حتى (بولي) فانها بدت معجبة جداً بها لانها اخذت تقول: «فتاة جيدة» وانهالت عليها بالبركات وتوسلت اليها قائلة:

«تعالي ياعزيزتي وتنزهي!» بلهجة مهذبة ولطيفة .

وكانت (ايمي) ترغب جداً في الخروج في نزهة لتمتع نفسها بهذا الطقس الشتائي ، المنعش ، الا انها اقنعت (لوري) بالاستراحة على الاريكة ريثما تقوم بكتابة رسالة الى امها وقد ادركت بانه كاد ينهار من التعب والارهاق بالرغم من كل محاولاته الرجولية لاخفاء هذه الحقيقة . وقد استغرقه كتابة الرسالة وقتاً طويلاً . وعندما عادت الى حيث تركت (لوري) فانها وجدته مستغرقاً في نومه وقد وضع كلتا يديه تحت رأسه بينما كانت العمة قد اسدلت الستائر وجلست بهدوء تام وقد انتابتها نوبة كرم ولطف غير اعتيادية .

وبعد فترة بدأت (ايمي) وعمتها تظنان بانه لن يستيقظ قبل حلول الليل ولربما كان ذلك ممكناً لولا استفاقته بفعل صيحة الفرع التي اطلقتها (ايمي) عندما شاهدت امها ماثلة امامها . ولربما كان هناك العديد من الفتيات السعيدات في تلك المدينة في ذلك الوقت بالذات ولكنني اميل الى الظن بان (ايمي) كانت اكثرهن سعادة وغبطة عندما جلست على ركبتي امها وقصت عليها ماقاسته من مصاعب لتجد العزاء والسلوان متمثلين بالابتسامات التشجيعية والملاحظات الحنونة . وقد اختلتا في المصلى الصغير الذي لم تعترض الام على وجوده بعد ان تفهمت الاسباب الموجبة لذلك.

«على العكس فان الفكرة تستهويني ياعزيزي» قالت الام وهي تنتقل بانظارها من مسند القدمين الى الكتاب الصغير المتهري للصورة الجميلة واكليلها المتكون من نبات دائم الخضرة .

«انها لحظة عظيمة ان يكون للفرد منا مكان مايخلد اليه بنفسه عندما تتسبب الامور والاوضاع بازعاجه .

فهناك الكثير من الاوقات الصعبة في حياتنا ولكن بامكاننا دوماً التغلب عليها اذا ما توجهنا بطلب العون بالطريقة الصحيحة واعتقد ان فتاتي الصغيرة قد بدأت تدرك ذلك وتتعلمه» .

«اجل ياماه . وعند عودتي الى البيت فاني انوي اعداد مجال في الخزانة الكبيرة لاضع فيه كتبي والنسخة التي رسمتها من هذه الصورة . ان وجه المرأة يفتقر ، كما تشاهدين ، الى بعض الجودة – فالاصل اجمل بكثير مما أتمكن من تقليده – ولكنني رسمت الطفل بشكل افضل ، وانا

احبه كثيراً واود ان اتصور انه كان في يوم ماطفلاً اذ ان ذلك يقربني منه»

وعندما اشارت (ايمي) الى صورة المسيح الطفل الجالس على ركبتي امه لاحظت السيدة (مارتش) شيئاً في اليد التي رفعتها ابنتها سرعان ماجعلها تبتسم ولكنها لم تتكلم، وقد فهمت (ايمي) مغزى النظرة هذه .

وبعد ان توقفت لحظة عن الكلام فانها اضافت بلهجة جادة:

«اردت ان اكلمك عن هذا الشيء ولكنني نسيت .

لقد اهدتني العمة (مارتش) هذا الخاتم . فقد استدعتني اليها وقبلتني ثم وضعت الخاتم في اصبعي وقالت باني كنت موضع فخرها وبانها تريد بقائي معها دوماً .

وقد اعطتني هذا الغطاء الغريب لحفظ الفيروزة لانها كبيرة جداً . اني اود وضعها في اصبعي فهل يمكنني ذلك ياماه؟»

«انهما جميلان جداً ولكنك صغيرة السن لمثل هذه الحلي يا (ايمي) قالت السيدة (مارتش) وهي تنظر الى اليد الممتلئة الصغيرة والى الفيروزة وغطائها » .

«ساحاول التخلص من غروري» قالت (ايمي) .

«لا اظنني احبه لمجرد كونه جميلاً ولكنني اريد لبسه كما لبست بطلة القصة اسورتها ليذكرني بشيء .

«هل تعنين العمة (مارتش) سألت الام وهي تضحك .

«كلا ، بل ليذكرني ان لا اكون انانية»

قالت (ايمي) وقد بدت صادقة وجادة فيما قالت وبذلك توقفت امها

عن الضحك وانصتت باحترام الى تفاصيل الخطة الصغيرة .

«لقد فكرت كثيراً في الاونة الاخيرة بامر ما لدي من سلبيات فوجدت ان اكبرها هي الانانية ولذلك فاني ساحاول جادة علاج هذا الجانب ان تمكنت من ذلك . ان (بيث) ليست انساناً انانياً ولذلك تجدين الجميع يحبها ويأسف لاحتمال فراقها . ان الناس لايشعرون بنصف هذا الاسى لو كنت انا المريض وانا ادرك جيداً باني لااستحق ان يشعر الناس بالاسف والاسى علي . ولكنني اود ان اكون محبوبة وان يفتقدني عدد كبير من الاصدقاء ولذلك فقد قررت ان اكون مثل (بيث) مااستطعت . ولما كنت عرضة لنسيان ما اتخذه من قرارات فاني بحاجة الى شيئ يذكرني بها دائماً لاسيما اذا كان هذا الشيئ يلازمني دوماً . ساتمكن في هذه الحالة من تحقيق ماأريد دون ادنى شك . فهل يمكنني المحاولة من خلال هذه الطريقة؟»

«اجل ياعزيزتي . ولكن ايماني اكبر بما ستضعينه في المكان المخصص له في الخزانة الكبيرة . ومع ذلك ضعي خاتمك في اصبعك وحاولي جهدك القيام بما عليك ، واظنك ستنجحين في مسعاك لان الرغبة الصادقة للصلاح هي نصف المعركة . وعلي الآن العودة الى (بيث) فاصبري قليلاً ياابنتي الصغيرة وسنعيدك الى البيت في القريب العاجل» .

وفي تلك الليلة ، بينما كانت (ميج) تكتب رسالة لابيها تعلمه من خلالها عن وصول المسافرة بسلام ، تسللت (جو) الى الطابق العلوي ، ودخلت غرفة (بيث) حيث وجدت امها في مكانها الاعتيادي .

وهناك وقفت ، واخذت اصابعها تعبث بشعرها وقد بدا عليها القلق

وارتسمت على وجهها نظرة مترددة .

«ماالخبر ياعزيزتي؟» سألت السيدة (مارتش) وهي تمد يدها اليها وفي وجهها ثمة شيئ يبعث على الثقة .

«اريد ان اخبرك امراً ياماه؟»

«بخصوص (ميج)؟»

«ماأسرع ما حزرت ! اجل انه بخصوصها . وبالرغم من انه شيئ تافه يقلقني» .

«ان (بيث) نائمة ولذلك عليك التكلم بصوت واطئ . هيا اخبريني بكل مالديك : آمل ان لاتكون ابنة (موفيت) قد زارتكن مؤخراً» سألت السيدة (مارتش) بلهجة تميل الى الحدة .

«كلا . لو حاولت القيام بزيارتنا لما ترددت في غلق الباب في وجهها» قالت (جو) وهي تجلس على الارض عند قدمي امها» . في الصيف الماضي ونسيت(ميج) قفازها في بيت آل (لورنس) ولم تستعد سوى فردة واحدة منه . وقد غاب الموضوع عن بالنا كلياً حتى الوقت الذي اخبرني فيه (تيدي) بان الفردة الاخرى كانت بحوزة السيد (برووك) الذي احتفظ بها في جيب صداره . وقد سقط منه في مناسبة كان فيها بصحبة (تيدي) الذي يسخر منه . وقد اعترف السيد (برووك) بانه يهوى (ميج) ولكنه لم يجرؤ على البوح بسره هذا بسبب حداثة سنها وفقره هو . اليس هذا امراً مقرفاً ياماه؟»

«هل تعتقدين بان (ميج) تميل اليه؟» سألت السيدة (مارتش) وقد بدت على وجهها امارات القلق .

«ياالهي ! لا اعرف اي شيء عن الحب وعن مثل هذه التفاهات ! »
صاحت (جو) بنبرة نمت عن خليط غريب من الاهتمام والازدراء . «في القصص الروائية تظهر الفتيات هذا الشعور من خلال الجفول والتورد والاغماء وفقدان الوزن والتصرف الاحمق . ولكن (ميج) لاتفعل ذلك او اي شيء من هذا القبيل فهي تأكل وتشرب وتنام بصورة طبيعية ، كما انها لاتهرب بنظراتها بعيداً عندما يذكر اسم هذا الشخص ولكنها تحمر قليلاً فقط عندما يتكلم (تيدي) عن العشاق ويهزأ بهم . اني امنعه عن ذلك ولكنه لايأبه بما اقول» .

«اتعتقدين اذاً ان (ميج) غير مهتمة بـ (جون)؟»

«من؟» سألت (جو) وهي تحدق النظر في امها .

«السيد (بroوك) . اني اناديه الآن باسمه الاول (جون) . لقد عمدنا الى رفع الكلفة بيننا في المستشفى . ان الامر يروق له» .

«ياالهي ! ادرك بانك ستنحازين الى جانبه .

لقد كان لطيفاً وكريماً في معاملته مع ابينا ، وسوف لاترديه بل توافقين على زواج (ميج) منه اذا ما ارادت ذلك . انه لفعل دنيء! يتملق الى ابينا ويقوم بمساعدتك لكي يدفعكما الى محبته» قالت (جو) ثم شدت شعرها بقرصة عصبية .

«لاتغضبي ياعزيزتي . ساخبرك كيف حدث ذلك . ذهب (جون) معي استجابة الى طلب السيد (لورينس) وقد اخلص في خدمة ابيك المسكين بحيث لم يسعنا سوى محبته . لقد كان صريحاً وشريفاً بخصوص شعوره ازاء (ميج) لانه اخبرنا بانه يعشقها ولكنه لن يتقدم لخطبتها الا

بعد ان يكون قد هيأ بيتاً مريحاً . ان اعترافه بشعوره ازاءها قد انطلق من رغبته في الحصول على موافقتنا على حبه لها وخدمتها والسماح له بمحاولة كسب ودها لشخصه . انه انسان ممتاز حقاً ولم يسعنا رفض الاستماع الى ما اراد قوله . وفي كل الاحوال اني لا اوافق على خطوبة (ميج) وهي في هذا السن المبكر».

«هذا امر بديهي والا لكان تصرفاً احمق» .

شعرت ان هناك طبخة شريرة قد اتضح لي الآن بان الامر هو في الواقع اسوأ مما تصورت .

ليتني اتمكن انا شخصياً من الزواج ب (ميج) لكي تبقى معنا في العائلة» .

دفع هذا الكلام السيدة (مارتش) الى الاقسام ولكنها مع ذلك قالت بلهجة جادة: «لقد أتمنتك يا (جو) ولا ارغب في قيامك باخبار (ميج) اي شيء من هذا القبيل في هذه المرحلة . فعندما يعود (جو) واجدهما معاً ساتمكن من معرفة شعورها» تجاهه بصورة افضل» .

«ستفهم شعوره من خلال عينيه الجميلتين التي تتكلم عنهما . بعد ذلك ستقع في شباكه لان قلبها رقيق الى درجة انه يذوب مثل ذوبان الزبدة في حرارة الشمس بمجرد ان ينظر اليها الشخص نظرة عاطفية . انها تقرأ التقارير الموجزة التي يقوم بارسالها اكثر من قراءة رسائلك انت . كما انها قرصتني في مناسبة عندما ذكرت هذه الحقيقة . ثم انها تهوى العيون البنية اللون ولاتظن ان (جون) هو اسم بشع كما انها ستقع في حبه لامحالة .

اني استطيع تصور الامر باكمله : سيطوف الحبيبان في ارجاء البيت وسنضطر نحن الى تفادي لقائهما وستنصرف (ميج) كلياً الى حبها فتصبح بذلك عديمة الفائدة بالنسبة لي . وبعدها سيتمكن (برووك) من الحصول على الثروة باية طريقة من الطرق ليمتلكها تاركاً فراغاً في الاسرة ، وساصبح كسيرة القلب وتسير الامور على غير مايرام . ياالهي ! لماذا لم نخلق اولاداً؟ فالاولاد لايخلقون المشاكل» .

اسندت (جو) ذقنها الى ركبتها بطريقة نمت عن القنوط وهزت قبضتها ل (برووك) المكروه.

واطلقت السيدة (مارتش) حسرة نظرت (جو) اثرها الى اعلى بشيْ من الراحة .

«لايستهويك الامر ياأماه اليس كذلك؟» سألت (جو) . «اني مسرورة لذلك . فدعينا نبعده عنا من غير اخبار (ميج) تفاصيل الامر وستكون سعداء بعد ذلك كعهدنا دائماً» .

«لقد اخطأت عندما تحسرت . فمن الطبيعي جداً ان تذهبن جميعكن الى بيوتكن في الوقت المناسب . اني احب ان ابقى مع بناتي اطول فترة ممكنة ويؤسفني ان الامر هذا قد حدث في وقت مبكر جداً لان (ميج) لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها وسوف لن يتمكن (جون) من تأمين بيت لها الا بعد وقت طويل .

ولقد قررنا انا ووالدكن ان لايصار الى ربط (ميج) باي التزام وان لايتم زواجها قبل ان تبلغ العشرين من عمرها . فان كانت (ميج) تحب ويبادلها الاخير نفس الشعور فبامكانهما الانتظار الامر الذي سيضع حبهما

هذا على المحك . ان (ميج) فتاة حية الضمير وبذلك فاني لاأخشى من احتمال قيامها بمعاملة (برووك) معاملة قاسية ، فظة . فهي فتاتي الجميلة ، العطوفة . آمل ان تجد السعادة في حياتها» .

«الا تفضلين زواجها من رجل غني؟» سألت (جو) عندما لاحظت بعض التردد في صوت امها .

«ان الثروة امر جيد ومفيد يا (جو) وآمل ان لاتضطر فتياتي الى ايجاد انفسهن في حاجة ملحة لها كما آمل ان لايجدن فيها اغراء لايمكنهن مقاومته .

اود ان اجد (جون) يعمل في مجال جيد يؤمن لها دخلاً لايضطره الى دين ويوفر ل (ميج) اسباب الراحة .

اني لااطمع ان تكون لبناتي ثروة طائلة وموقع اجتماعي مرموق او اسم عظيم . فاذا ماأتت الثروة صحبة الحب والفضيلة فساكون ممتنة واتمنى لكن تحقيق المتعة . ولكني ادرك بالتجربة مقدار السعادة الكبير الذي يمكن الحصول عليها في بيت بسيط ، صغير حيث يتم كسب العيش اليومي من عرق الجبين .

اني ارضى ان تبدأ (ميج) حياة متواضعة لانها ستكون غنية بامتلاكها قلب رجل صالح وهذا افضل كثيراً من الثروة المادية» .

«اني افهم ماتقولين واتفق معك ولكن ظني قد خاب في (ميج) لاني قد خططت لها للزواج من (تيدي) عندما يحين الوقت لكي تنعم بالثروة طيلة حياتها . اليس هذا شيئ جميل؟» سألت (جو) وهي تنظر الى اعلى بوجه اكثر اشراقاً

«انت تعلمين بانه اصغر سناً منها ... «بدأت السيدة (مارتش) ولكن (جو) قاطعتها قائلة «اصغر بقليل فقط . انه كبير بالنسبة لعمره وطويل القامة كما ان بامكانه ان يكون راشداً في تصرفاته اذا مارغب في ذلك ، ناهيك عن كونه غنياً وكريماً وعطوفاً وعن حبه لنا جميعاً . ولذلك اقول بان افساد مخططي هو امر يؤسف له» .

«اخشى ان (لوري) ليس راشداً بالقدر الكافي بالنسبة ل (ميج) ، كما انه لايزال شخصاً لايمكن الاعتماد عليه . لاتحاولي صنع المخططات يا (جو) بل اتركي تآلف الاصدقاء للوقت ولقلوبهم . لايمكننا التدخل في مثل هذه الأمور وضمان خروجنا بنتائج ايجابية .

وعلينا تجنب التفاهات العاطفية – على حد تعبيرك –

ومنعها من السيطرة على عقولنا خشية قيامها بافساد الصداقات» .

«حسناً لن افعل ذلك ولكنني اكره تعقيد الامور في الوقت الذي لايحتاج تعديلها سوى جهد قليل .

ليت وضع الحديد على رووسنا يوقف نمونا ولكن واسفاه! فالبراعم لابد ان تتفتح لتصبح وروداً والهريرات يصبحن قططاً!»

«ماهذا الكلام عن الحديد والقطة؟» سألت (ميج) وهي تنسل الى الغرفة حاملة بيدها رسالة كانت قد انتهت من كتابتها قبل قليل .

«مجرد واحدة من خطبي السخيفة . اني ذاهبة الى الفراش . هيا يا (بيجي)» ، قالت (جو)

«انك على حق وقد احسنت كتابة الرسالة .

ارجو اضافة تحياتي الى (جون)» ، قالت السيدة (مارتش) بعد ان

القت نظرة سريعة على الرسالة واعادتها الى (ميج).

«وهل تناديه باسمه المجرد ، (جون)؟» سألت (ميج) وهي تبتسم وتنظر ببراءة في عيني امها.

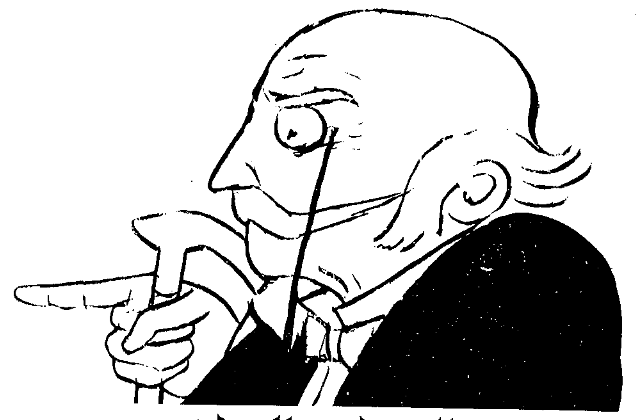
«اجل . لقد اصبح بمثابة ابن لنا ونحن نحبه كثيراً» ، اجابت السيدة (مارتش) وهي تعيد النظرة باخرى ثاقبة .

«يسرني ذلك ، فهو وحيد . تصبحين على خير ياامي العزيزة . كم نشعر بالراحة والسعادة لوجودك معنا» اجابت (ميج) بهدوء .

وكانت القبلة التي طبعتها امها على خدها رقيقة جداً . واثناء خروجها من الغرفة قالت الام لنفسها بنبرة رضى يشوبها الندم: «انها لاتحب (جون) لحد الآن ، ولكنها ستتعلم ذلك قريباً» .



الفصل الحادي والعشرون



الشقاق والوفاق

كان وجه (جو) في اليوم التالي جديراً بالدراسة لانها قد ناءت تحت وطأة السر ولم تتمالك نفسها من ان تبدو غامضة وذات اهمية . وقد لاحظت (ميج) ذلك بيد انها لم تكلف نفسها مشقة الاستفسار لانها ادركت بالتجربة بان افضل طريقة للتعامل مع (جو) هي تطبيق قانون النقائض اذ بامكانها الحصول على ماتريد من معلومات ان هي احجمت عن السؤال . ولذلك فانها وجدت نفسها في حيرة عندما واصلت (جو) صمتها واخذت تتصرف باستعلاء أغاظ (ميج) التي قابلتها من جانبها ببرود وقور مكرسة نفسها لرعاية امها وخدمتها . ونتيجة ذلك تركت

(جو) لتتصرف حسب مشيئتها ورغبتها . فقد تولت السيدة (مارتش) القيام بواجبات التمريض بدلاً منها واعطتها مجالاً للراحة وممارسة التمارين الرياضية والترفيه عن نفسها بعد عزلتها الطويلة .

وبذهاب (ايمي) كان (لوري) ملاذها الوحيد . وبقدر ماكانت تتمتع بصحبته فانها كانت تتهيب منه في تلك الفترة بالذات لانه كان مداعباً لايرتدع بسهولة ولذلك فانها كانت تخشى من تمكنه من التوصل الى سرها من خلال تملقه وملاحظته لها .

وكانت (جو) محقة في تهيبها هذا اذ ماان شعر هذا الفتى الذي كان يهوى المقالب ان هناك ثمة سر حتى جند نفسه لمحاولة اكتشافه بكل ماأوتي من حيل ودهاء . وقد عاشت (جو) من خلال ذلك وقتاً قلقاً ومرهقاً . ولم يعدم (لوري) وسيلة لتحقيق هدفه : فانه حاول المداهنة ، والرشوة ، والسخرية ، والتهديد ، والزجر واللامبالاة في سبيل الوقوف على تفاصيل الحقيقة من (جو) . ثم أعلن بانه يعرف الحقيقة ولما لم يصل الى نتيجة ادعى بانه لايهتم . واخيراً ، ومن خلال المثابرة ، ارضى نفسه عندما ادرك بان الموضوع يتعلق ب (ميج) و (برووك) . وقد شعر مهاناً لان معلمه لم يأتمنه على هذا السر ولذلك فانه جند طاقاته وامكانياته في سبيل التوصل الى خطة تحقق له الأخذ بالثأر .

في الحيز ذاته كانت (ميج) قد نسيت الموضوع على مابدا وقد انهمكت في الاستعداد للترحيب بابيها الذي كان على وشك العودة اليهم . ولكن على حين غرة اعتراها تغير ولمدة يوم او يومين فلم تعد نفس الفتاة التي عرفها الجميع . فكانت تجفل عندما يكلمها احد وتحمر عندما ينظر

اليها احد واصبحت قليلة الكلام منهمكة بما لديها من اعمال الخياطة وقد اعتلت وجهها نظرة قلقة ومتهيبة . وعندما سألتها امها عن امرها اخبرتها بانها على مايرام ولكنها طلبت من (جو) تركها على حالها عندما حاولت هذه معرفة سبب هذا التصرف غير الاعتيادي .

«انها تشعر بانه يسود الجو – الحب ، وانها تقع في حبائله بسرعة كبيرة ، فلديها كل العوارض . فهي مضطربة وسريعة الانفعال ، لاتأكل تستلقي مستيقظة وتخلد للزوايا للنحيب .

لقد اكتشفتها تغني تلك الاغنية التي اعطاها (بزووك) لها . وفي مناسبة اشارت اليه باسم (جون) ، كما تفعلين انت ، ثم احمرت احمرار الوردة القرمزية .

فما عسانا ان نفعل؟» قالت (جو) وقد بدت على استعداد لاتخاذ اي اجراء مهما كان عنيفاً .

«لاشيئ سوى الانتظار . اتركيها لوحدها وكوني رقيقة وصبورة في تعاملك معها . فعندما يصل ابوك فانه سيقوم بتسوية الامر» اجابت الام .

«هذه رسالة لك يا (ميج) . انها مختومة !

بالغرابة الامر! لايلجأ (لوري) الى ختم الرسائل التي يرسلها لي» قالت (جو) في اليوم التالي اثناء قيامها بتوزيع محتويات صندوق البريد الصغير .

وكانت السيدة (مارتش) و (جو) منهمكتان بما لديهما من شؤون عندما اضطرا الى رفع رأسيهما اثر الصرخة التي اطلقتها (ميج) وهي تحدق

النظر في رسالتها بوجه اعتراه الخوف .

«ما الامر يابنيتي؟» صاحت الام وهي تهرع اليها بينما حاولت (جو) اختطاف الرسالة التي كانت اصل البلاء هذا .

«أنها غلطة — لم يبعثها هو . آه يا (جو) كيف سولت لك نفسك عمل مثل هذا الشيء؟» قالت (ميج) وأخفت وجهها بين يديها واخذت تبكي كأي فتاة مكسورة القلب .

«انا ! لم افعل اي شيء! ماهذا الذي تتكلم عنه؟»

تلامعت عينا (ميج) وتطاير منها الشرر وهي تخرج من جيبها مذكرة مكرمشة وتقذف بها (جو) وهي تقول مؤنبة : «انت كتبتها وقد ساعدك هذا الفتى . كيف يمكنك ان تكوني بمثل هذه الوقاحة والقسوة وبمثل هذا الخبث بالنسبة لكلينا؟»

كادت لاتسمعها (جو) التي انهمكت مع امها بقراءة الرسالة التي كتبت بخط غريب جداً .

عزيزتي مارجريت .

لايسعني بعد اليوم كبح جماح عاطفتي ولابد لي من معرفة مصيري قبل عودتي . لم اجرؤ على اخبار ابويك بالأمر لحد الآن ولكنني اظن بانهما سيوافقان اذا ما ادركا باننا نعبد احدنا الآخر .

سيساعدني السيد (لورنس) للحصول على فرصة عمل جيدة وستسعديني بعد ذلك ياحبيبتي . اتوسل اليك ان لاتخبري عائلتك بالامر الان بل اكتفي بارسال عبارة امل عن طريق (لوري) الى المتفاني في حبك .

جون

«ياله من وغد صغير ! بهذه الطريقة يريد مكافئتي لالتزامي بما تعهدت به لامي . سأزجره بحدة وسوف أجبره على القدوم الى هنا وتقديم الاعتذار»

قالت (جو) وهي تتحرق شوقاً لتنفيذ العدالة على الفور . ولكن امها اوقفتها وقالت وهي تنظر اليها بطريقة غير اعتيادية : «قفي يا (جو) ! عليك اثبات براءتك اولاً . لقد عملت الكثير من المقالب ولذلك فاني اخشى ان تكون لك يد في هذا الامر» .

«يا الهي ياأماه ! لم يكن لي يد في الامر ابداً . لم يسبق لي مشاهدة هذه الرسالة ولااعرف اي شيئ عنها وهذه هي الحقيقة» قالت (جو) بجد بحيث صدقتها امها واختها (ميج) .

«فلو كان لي يد في الموضوع لقمت بعمل افضل من هذا ولكتبت رسالة اكثر ملائمة . لابد انك قد ادركت بان السيد (بروك) لايكتب رسالة كهذه» وأضافت بازدراء وهي ترمي بالورقة الى الارض .

«الخط شبيه بخطه قالت (ميج) وهي تقارن خط الرسالة بخط المذكرة التي بيدها .

«ماهذا يا(ميج)؟ هل قمت بالاجابة؟»

سألت السيدة (مارتش) بسرعة .

«اجل فعلت ذلك ! » قالت (ميج) ثم غطت وجهها مرة اخرى بعد ان اعتراها شعور بالعار .

«اسمحا لي باستدعاء هذا الفتى الشرير ليشرح عمله المنكر هذا وليأخذ نصيبه من الزجر . لن أرتاح الابعد تسوية حسابي معه»

قالت (جو) وتوجهت الى الباب مرة ثانية .

«اسكتي! دعيني اعالج الامر هذا ، فهو اسوأ مما ظننت . مارجريت: اخبريني القصة بتفاصيلها» امرت السيدة (مارتش) وهي تجلس جنب ابنتها وتمسك بـ (جو) خشية انطلاقها الى الخارج .

«استلمت الرسالة الاولى من (لوري) الذي لم يبد انه كان عارفاً باي جانب من جوانب الامر»

بدأت (ميج) من غير ان تنظر الى اعلى . «كنت قلقة في البداية وقررت اخبارك . بعد ذلك تذكرت كم انت تحبين السيد (بroوك) الامر الذي دفعني الى الظن بانك ربما لاتمانعين من احتفاظي بهذا السر لبضعة ايام . وكنت من الحماقة الى درجة اني اردت ان اعتقد جهل الجميع بتفاصيل هذه القضية .

وبينما كنت احاول الوصول الى قرار حول مايتوجب علي قوله شعرت شعور الفتيات اللواتي يواجهن نفس مشكلتي في الكتب الروائية اغفري لي ياأماه! لقد دفعت الآن ثمن حماقتي .

سوف أتمكن من مواجهته بعد الآن» .

«ماذا قلت له؟» سالت السيدة (مارتش) .

«مجرد اني لازلت صغيرة السن ولايسعني معالجة الموقف ، واني لا استطيع الاحتفاظ باسرار لاتعرف امي عنها اي شيئ ، وان عليه التحدث في الامر مع ابي واني ممتنة للطفه وكرمه وعلى استعداد لان اكون صديقته لاشيئ اكثر» .

ابتسمت السيدة (مارتش) عن ارتياح بينما صفقت (جو) بيديها

وهي تعلق بضحكة:

«تكادين تكونين كفء لـ (كارولين بيرسي) التي كانت مثال الحصانة والحكمة. هيا يا (ميج) اخبرينا: ماذا كان جوابه؟»

«انه يكتب بطريقة مختلفة ويقول انه لم يقم بارسال اي خطاب وانه آسف لقيام اختي المحتالة (جو) بتجاوز حدود اللياقة من خلال استخدام اسمينا بحرية، ثم يقول اخيراً انه بالرغم مما تعكس الرسالة من شعور نبيل وكريم فلابد لي من تصور النتائج الوخيمة التي يمكن ان تترتب على مثل هذا الفعل».

اتكأت (ميج) على امها وهي تبدو صورة حية للقنوط بينما راحت (جو) تسير في الغرفة ذهاباً واياباً وهي تشتم (لوري). وفجأة توقفت، وامسكت بالخطابين وبعد امعان النظر بهما قالت بصورة قاطعة: «لا اصدق بان (برووك) قد شاهد اياً من هاتين الرسالتين. لقد كتب (تيدي) كليهما وانه يحتفظ بخطابك لكي يشمت بي لاني رفضت اطلاعه على سري».

«لاتحتفظي بأية اسرار. اخبري امنا بما لديك من معلومات وتجنبي المشاكل كما كان علي ان افعل»، قالت (ميج) محذرة.

«ليباركك الله يا طفلتي! امنا هي التي اخبرتني».

«كفاك يا (جو). ساواسي (ميج) ريثما تذهبين لاستدعاء (لوري). ساصل الى حقيقة الموضوع واضع حداً لمثل هذه المقالب فوراً».

انطلقت (جو) ذاهبة بينما قامت السيدة (مارتش) بلطف وهدوء باخبار (ميج) مايكنه لها السيد (برووك) من شعور». والآن اخبريني عن

شعورك انت . فهل تحبينه بالقدر الكافي . بحيث تكونين على استعداد للانتظار لحين تمكنه من تدبير منزل لك ام تفضلين ان تكوني حرة في الوقت الحاضر؟» .

«لقد كنت خائفة وقلقة الى درجة قررت من خلالها ان ابقى بعيدة عن الحب والمحبين لفترة طويلة ولربما الى الابد» ، اجابت (ميج) بانفعال . «ان لم يكن (جون) على علم بهذه التفاهات فلا داعي لقيامك باخباره بل اكتفي باسكات (لوري) و (جو) . اني ارفض ان أخدع وان يُستهزأ بي – واأسفاه!» .

بعد ان لاحظت ان (ميج) ذات المزاج الهادئ الرقيق قد اثيرت ، وان شعورها قد جرح من خلال هذا المزاح الخبيث ، فان السيدة (مارتش) اخذت تهون على ابنتها وتعدها بان الامر سيبقى سراً . وما ان سُمع وقع اقدام (لوري) حتى هرعت (ميج) الى المكتبة فاستقبلت (السيدة مارتش) المتهم بمفرده . ولم تكن (جو) قد اخبرته عن سبب استدعائه خشية ان يرفض المجيء معها ولكن (لوري) ادرك السبب لزيارته هذه اللحظة التي لاحظ فيها وجه السيدة (مارتش) ولذلك فانه وقف وهو يبرم قبعته في يده وقد عكس وجهه شعوراً ظاهراً بالذنب ادانه على الفور . وقد طُلب من (جو) مغادرة الغرفة إلا انها اخذت تسير في الرواق ذهاباً واياباً كالحارس الذي يخشى احتمال هرب السجين . ولفترة نصف ساعة كان هناك ارتفاع وانخفاض في مستوى الصوتين داخل الغرفة ، اما ماحدث خلال هذا اللقاء فقد بقي سراً لم تعرفه الفتاتان ابداً .

وعندما استدعيتا الى الدخول كان (لوري) يقف الى جانب امها وقد بدا الندم على وجهه الى درجة ان (جو) غفرت له افعاله على الفور ولكنها لم تجد من الحكمة البوح بهذه الحقيقة . وقد واجهت (ميج) اعتذاره وشعرت براحة كبيرة عندما تأكد لها بان (برووك) لم يكن على علم بهذا المقلب .

«لن اخبره ابداً حتى الى آخر يوم من عمري : سوف لا تستطيع اي قوة في العالم ان تجبرني على البوح به . ارجوك يا (ميج) اغفري لي وسأثبت لكِ مدى اسفي على ما حدث» ، اضاف (لوري) قائلاً وهو يبدو خجلاً .

«سأحاول ولكن عليك ان تدرك بان عملك هذا لايليق بمن يدعى انه سيد مهذب ، كما لا اعتقد ان بامكانك ان تكون على هذه الدرجة من اللؤم والخبث يا (لوري)» ، اجابت (ميج) وهي تحاول ان تخفي ارتباكها تحت هذا المظهر التأنيبي .

كان امراً مقرفاً بصورة عامة وانا لا استحق ان تكلموني لمدة شهر ولكنكن لن تخاصمنني ، اليس كذلك؟» قال لوري ثم شبك يديه بحركة توسل . وبعد ان تكلم بنبرة صوته المقنعة لم تجد الام وابنتاها اي مجال لرفض طلبه بالرغم من تصرفه غير اللائق . وغفرت له (ميج) كما ارتخى وجه السيدة (مارتش) الصارم ، بالرغم من كل محاولاتها لمواصلة نظرتها الجادة ، بعد ان سمعته يتعهد بالقيام باي عمل للتكفير عما ارتكبه من عمل شائن بحقها وهو يذل نفسه امام الانسة المجروحة الشعور .

اثناء ذلك كانت (جو) تقف بمعزل عما دار وقد بدت غير مهتمة وهي

تحاول ان تؤلب قلبها ضد (لوري) لكن ما حققته لم يزد عن تكلف الجد بزم الشفتين والظهور بهيئة تعبر عن عدم الرضا . وقد حاول (لوري) النظر اليها مرة او مرتين ولكنها لم تظهر اي دليل على الاستجابة الامر الذي تسبب في جرح شعوره فادار لها ظهره لحين انتهاء البقية منه . وما ان انتهت (ميج) وامها حتى التفت الى (جو) وانحنى لها انحناءة بسيطة ثم خرج دون ان يقول كلمة واحدة .

وما ان خرج حتى تمنت (جو) لو انها كانت اكثر تسامحاً ، وعندما ذهبت امها واختها الى الطابق العلوي شعرت بالوحدة واشتاقت لـ (لوري) . بعد ان حاولت المقاومة لفترة قصيرة من الوقت فانها استجابت لرغبتها وذهبت الى البيت الكبير متسلحة بكتاب ارادت اعادته الى مكتبة البيت .

«هل السيد (لورنس) موجود؟» سألت (جو) احدى الخادمات التي كانت تهبط السلم .

«اجل يا آنستي ولكنني لااعتقد بانه يرغب في مقابلة احد» .

«لماذا؟ هل هو مريض؟» .

«كلا ولكنه قد تشاجر مع السيد (لوري) حول قضية اغاضته ولذلك لا اجرؤ على الدخول اليه» .

«واين السيد (لوري)؟» .

«لقد اغلق عليه باب غرفته ورفض اجابة كل من حاول ان يكلمه ، لقد حاولت النقر على بابه ولكنه رفض الاجابة . وجبة الطعام جاهزة ولاادري ما سيكون مصيرها اذ لايوجد من يأكلها» .

«سأذهب انا لاكتشف سبب ذلك فاني لااخاف من اي منهما» .

ذهبت (جو) الى الطابق العلوي ونقرت على باب غرفة (لوري) بلطف وكياسة .

«توقفي عن ذلك والا فتحت الباب واجبرتك على التوقف ، صاح السيد الشاب بلهجة تهديد .

كررت (جو) النقر مباشرة بعد ذلك . وسرعان ما انفتح الباب بعنف فوثبت (جو) داخل الغرفة قبل ان يتمكن (لوري) من تجاوز اثر هذه المباغتة . وبعد ان ادركت بأنه كان في مزاج حاد فانها تظاهرت بالندم والتوبة – وهي التي كانت تعرف جيداً كيفية التعامل معه وادارته – ثم ركعت على ركبتيها بطريقة فنية وقالت بلهجة دمثة : «ارجو ان تعذر غضبي منك فقد جئت للمصالحة ولا يسعني العودة إلا بعد ان تعود المياه الى مجاريها» .

«لابأس . انهضي ولا تكوني حمقاء يا (جو) ، هكذا كان الجواب الشهم لتضرعها .

«شكراً ، سافعل ذلك . هل بامكاني ان اسألك ما الامر؟ لاتبدو مرتاحاً ! » .

«لقد اصبت بصدمة ولايمكنني تحمل الامر» ، زمجر (لوري) قائلاً بامتعاض .

«من المسؤول عن ذلك؟» سألت (جو) بنبرة اصرار .

«جدي . ولو كان شخصاً آخر لما ترددت في ....» .

وانهى الفتى الغاضب جملته بحركة نشيطة من يده اليمنى .

«لاشيئ في هذا الامر . اني اغيضك في كثير من الاحيان بيد انك لاتهتم» ، قالت (جو) وهي تحاول استرضاءه .

«ذلك لانك فتاة وهناك متعة في الامر . ولكني لااسمح لاي رجل ان يثيرني» .

«لا اظن ان هناك من يجرؤ اذا ما ظهرت كما انت الآن . تشبه السحابة الرعادة . ما السبب؟» .

«لاني لم اخبره عن سبب استدعائي من قبل املك . فقد وعدت ان يبقى الامر سراً وبذلك لم اكن على استعداد لكي احنث بوعدي» .

«الم تستطع ارضاءه بطريقة اخرى؟» .

«كلا لانه اصر على معرفة الحقيقة كما هي . كنت على استعداد لاخباره عن دوري في المقلب ولكن من غير اي ذكر لاسم (ميج) . ولما عجزت عن ذلك فاني قررت الصمت وتحملت زجر الرجل العجوز الى الحد الذي ضايقني فيه فلم اطق الاحتمال . وفقدت اعصابي ولكنني خرجت من الغرفة خشية قيامي بما لايحمد عقباه» .

«اعترف بان الامر لم يكن لطيفاً . وانه متأسف . اني ادرك ذلك جيداً . هيا اذهب الى الطابق السفلي من اجل المصالحة . وسأساعدك» .

«لن اذهب ابداً . اني لاارضى ان أُزجر وأُهان لمجرد دعابة صغيرة . لقد تأسفت لحال (ميج) واعتذرت مثل رجل ولكنني لن اعتذر عندما ادرك جيداً بأني لم اكن مخطئاً» .

«انه لم يدرك ذلك» .

«يجب ان يثق بي ولايتصرف معي كما لو كنت طفلاً . لاتحاولي

اقناعي يا (جو) . عليه ان يدرك باني قادر على العناية بنفسي ولااحتاج الى مئزر شخص آخر اتمسك به طلباً للحماية والرعاية» .

«يالكما من مجنونين : انت وجدك» ، تنهدت (جو) قائلة . «كيف تعتزم انهاء الموضوع؟» .

«عليه ان يعتذر مني ويصدقني عندما اخبره باني لااتمكن من شرح اسباب الجلبة» .

«ليباركك الله! انه لن يفعل ذلك» .

«اذاً لااذهب اليه حتى يفعل» .

«التزم بالعقل يا (فيدي) ودع الامر يمضي وسأشرح ما يمكنني شرحه له . لايمكنك البقاء في غرفتك طوال الوقت . فما جدوى هذا السلوك المثير؟» .

«لاانوي استمرار العيش هنا لفترة طويلة . سأنسل واذهب الى مكان بعيد وعندما يفتقدني جدي سيضطر آنذاك الى فهم وضعي واعادتي» .

«قد يكون ذلك فعلاً ولكنك يجب ان تتفادى تركه لوحده» .

«لاتعظيني . سأذهب الى واشنطن والتقي بـ (بroوك) هناك . ان واشنطن مدينة ممتعة وسأقضي وقتاً سعيداً بعد هذه المشاكل» .

«اجل! يالها من متعة! ليتني استطيع الهرب كذلك» ، قالت (جو) بعد ان نسيت دور المرشدة اشياء تصورها للحياة الاجتماعية في العاصمة .

«وما المانع . يمكنك مرافقتي . سيُدهش والدك وسأثير انا (بروك) .

سيكون مقلباً رائعاً . هيا (جو) لنقم بهذه المغامرة يا (جو) . سنترك رسالة نخبرهم فيها باننا على مايرام ثم نذهب مباشرة بعد ذلك . لدي مايكفي من المال . ستعود عليك مثل هذه الرحلة بالخير سيا وانك متوجهة الى ابيك» .

ولاول وهلة بدت (جو) كأنها على استعداد للموافقة لان الفكرة قد وقعت من نفسها موقعاً حسناً بالرغم من طيشها لاسيا وان (جو) قد ملت المكوث في الدار ورعاية اختها المريضة فتاقت نفسها الى شيئ من التغيير وقد انسجمت فكرة رؤية ابيها مع اثارته حياة المستشفيات والمعسكرات من فتنة في نفسها . كان الامر بالنسبة لها يعني المتعة والحرية . تلامعت عيناها وهما تتوجهان بتأمل صوب النافذة ولكنهما سرعان ما ابصرا البيت القديم في الطرف المقابل . وهكذا هزت رأسها بقرار محزن .

«لو كنت غلاماً لتمكنا من الهرب سوياً . وبما انني فتاة بائسة فلابد لي من الالتزام بالتصرف اللائق والبقاء في البيت . لاتحاول اغرائي يا (تيدي) انها فكرة مجنونة» .

«وهنا يكمن عنصر المتعة» ، قال (لوري) الذي تملكته رغبة جامحة للافلات بطريقة ما .

«كفاك كلاماً !» صاحت (جو) وهي تغطي اذنيها . «جئت هنا للاصلاح لا للقيام بمغامرة طائشة» .

«اني اعلم ان (ميج) تفسد مثل هذه المحاولة ولكنني ظننت بانك تملكين روح المغامرة» ، قال (لوري) بدس .

«كفاك ايها الفتى الشرير. اجلس وفكر بآثامك ولاتدفعني الى اضافة المزيد الى مالدي.

والآن اخبرني: هل تعدني بالعدول عن فكرة الهرب اذا ما اقنعت جلك بالاعتذار منك عما حدث؟» قالت (جو) بلهجة جادة.

«اجل ولكنك لن تفعلي ذلك»، اجاب (لوري) الذي كان راغباً في المصالحة ولكنه شعر بوجوب استرضاء كبريائه المجروحة اولاً.

«ان تمكنني من اقناع الشاب يعني تمكني من اقناع العجوز»، تمتمت (جو) وهي تسير خارجة وقد تركت (لوري) منكباً على خريطة للسكك الحديدية.

«ادخل!» اجاب الصوت الاجش الذي بدا اكثر جشة عندما نقرت (جو) على الباب.

«انا (جو) يا سيدي. وقد جئت لاعيد كتاباً» قالت بتودد اثناء دخولها.

«هل تريدين استعارة المزيد؟» سأل الرجل العجوز وهو يبدو متجهماً ولكنه يحاول اخفاء ذلك.

«اجل، من فضلك. لقد استهوتني شخصية (سام) العجوز الى حد كبير ولذلك فاني اود استعارة المجلد الثاني»، اجابت (جو) وهي تأمل باستمالته عن طريق استعارة المجلد الثاني من عمل الذي كان هو قد اشار عليها بقراءته.

استرخى الحاجبان الكثيفان قليلاً عندما دفع الرجل العجوز السلم المتحرك باتجاه الرف الذي وضعت عليه اعمال الكاتب (جونسون).

صعدت (جو) لتجلس على الدرجة العليا وتتظاهر بالتفتيش عن كتابها ولكنها كانت في الواقع تحاول التفكير بافضل طريقة تمكنها من الدخول في الموضوع الذي جاءت من اجله . ولم يفت الرجل العجوز ، على مابدا ، بان ثمة شيئ كان يجول بخاطر (جو) اذ بعد ان جال بنظرة في انحاء الغرفة التفت اليها وخاطبها بطريقة مفاجئة بحيث سقط من يدها الكتاب الذي كانت تتصفح اوراقه .

«ما الذي فعله هذا الفتى مؤخراً؟» لاتحاولي التغطية ! ادرك جيداً بانه قد قام بعمل مؤذٍ وقد عرفت ذلك من طريقةعودته الى البيت . ولكنني لم استطع الحصول على اي شيئٍ منه وعندما هددته قائلاً باني ساجبره على الكلام فانه خرج غاضباً وحبس نفسه في غرفته .

«لقد قام بعمل خاطئ ولكننا غفرنا له . وقد اتفقنا على عدم البوح باي جزء من اجزاء الموضوع» .

قالت (جو) بشيئ من التردد .

«لا اعتبر هذا جواباً كافياً . سوف لا ارضى ان يستتر خلفكن ايتها الفتيات الطيبات . فان كان قد ارتكب خطأ فعليه ان يعترف ويعتذر وينال قصاصة . هيا يا (جو) اخبريني» .

بدا السيد (لورنس) مخيفاً للغاية وقد تكلم بلهجة حادة ارهبت (جو) وجعلتها تتمنى لو استطاعت الفرار ولكنها كانت جاثمة فوق اعلى السلم بينما وقف العجوز في اسفله فكان بمثابة اسد يعترض طريقها وبذلك وجدت نفسها مجبرة على البقاء وعلى محاولة الخروج من هذا المأزق بشجاعة .

«لا يمكنني اخبارك ياسيدي . لقد منعتني امي من البوح بهذا السر . لقد اعترف (لوري) وطلب المعذرة ونال ما يكفيه من القصاص . اننا لا نلتزم بالصمت لحمايته هو بالذات بل لحماية شخص آخر ولذلك فان تدخلك قد يزيد من المشاكل . ارجو ان تكف . ان بعض اللوم علي شخصياً . اما الآن فان كل شيء على ما يرام فدعنا ننسى الموضوع هذا ولنتكلم عن دورية (متجول)* . او اي شيء ممتع آخر» .

«تباً للـ (متجول) . انزلي واصدقيني القول : هل قام هذا الفتى المتهور بعمل وقح؟ فان كان قد قام باي عمل من هذا القبيل — بعد ما لمس منكن من كرم ولطف — فسوف اعاقبه بيدي» .

بدا التهديد مخيفاً ولكنه لم يفزع (جو) لانها كانت تعرف ان العجوز الغضوب لا يتمكن من ايذاء حفيده مهما هدد بالويل والثبور . ولذلك فانها هبطت بامتثال وقصت تفاصيل المقلب بصورة جعلت الامر يبدو هيناً كما انها لم تذكر اسم (ميج) .

«ساسامح الفتى ان كان سكوته بسبب التزامه بما وعد وليس بسبب العناد . انه فتى عنيد يصعب تدبر امره» ، قال السيد(لورنس) وبدأ بفرك شعر رأسه حتى ظهر كمن تعرض لريح عاتية .

«وانا عنيدة كذلك ولكنني ارتاح للكلمة الطيبة التي من شأنها اعادة المياه الى مجاريها» ، قالت (جو) وهي تحاول معالجة امر رفيقها الذي بدا يخرج من مشكلة ليدخل في اخرى مباشرة بعدها .

* — دورية ادبية كان يصدرها الاديب المشهور والعلامة البريطاني الدكتور ساموئيل جونسون وقد صدر منها (٢٠٨) مجلداً خلال الفترة ١٧٤٩/١٧٥٠ — المترجم .

«اتعتقدين باني اسئ معاملته اذاً؟» هكذا جاء الجواب القاسي لما حاولت الايحاء به .

«كلا ياسيدي . انت تبالغ في اللطف والكرم احياناً ولكنك تتسرع في تصرفاتك احياناً عندما يتسبب (لوري) باغاضتك . اليس ذلك صحيحاً؟»

لقد عزمت (جو) على انهاء هذه الازمة وقد حاولت ان تبدو هادئة ولطيفة الى اقصى حد ممكن .

وكم كانت دهشتها عظيمة عندما القى العجوز بنظاراته على المنضدة وقال بصراحة : انك على حق . فانا هكذا فعلاً . اني احب هذا الفتى ولكنه يضايقني في بعض الاحيان الى حد لا يمكن السكوت عنه ، ولا ادري كيف ستكون النتيجة لو استمر الامر على هذا المنوال .

«ساخبرك النتيجة اذاً : انه سيهرب» . وما ان انتهت (جو) من هذه العبارة حتى شعرت بالندم الشديد لقولها . كانت تريد تحذيره من مغبة الاستمرار في مثل هذه المعاملة – ارادت ان تخبره بان (لوري) لم يكن على استعداد لتحمل مثل هذا التصرف آملة أن يميل الجد الى اعتماد منهج اكثر تسامحاً ورقة مع حفيده .

وفجأة تبدلت سحنة الرجل العجوز الذي جلس وهو ينظر نظرة قلقة الى صورة رجل وسيم علقت فوق المنضدة . كانت صورة والد (لوري) الذي كان قد هرب في سن الشباب ليتزوج من فتاة ضد ارادة الاب المتسلط . وقد تصورت (جو) بان السيد (لورنس) كان يستذكر الماضي نادماً ولذلك فانها تمنت لو انها التزمت بالصمت .

«لن يفعل ذلك إلا اذا كان قلقاً جداً ، وهو يهدد بالهرب عندما يتضايق من دروسه . وانا شخصياً اتمنى ذلك بعض الاحيان سيما بعد ان قصصت شعري . فاذا ما افتقدتنا في يوم ما فبامكانك الاعلان عن هرب غلامين وان تبدأ التفتيش بين ركاب السفن المتجهة الى الهند» .
قالت (جو) ذلك وانفجرت ضاحكة فبدا السيد (لورنس) مطمئناً اذ انه قد اعتبر الموضوع مزاحاً على ما بدا .

«ايتها الفتاة اللعينة! كيف يمكنك التحدث بهذه الطريقة؟ اين احترامك واين تربيتك؟ اللهم بارك فتياتنا! لقد اصبح الابناء والبنات مصدر تعاسة ومع ذلك فالحياة لا تطاق بدونهم» ، قال الشاب ليتناول طعامه . اخبريه بان الازمة قد انتهت ولكن عليه التخلي عن التظاهر بالاسى والالم امام جده فاني لا اطيق ذلك ابداً» .

«انه يرفض النزول ياسيدي . فهو يشعر بالم لانك لم تصدقه عندما اخبرك بعدم تمكنه من البوح بسره . لقد جرحت شعوره بغضبك يا سيدي» .

حاولت (جو) ان تبدو في وضع مأساوي ولكنها اخفقت في ذلك على ما بدا اذ سرعان ما انفجر العجوز ضاحكاً فادركت بانها قد حققت ما تريد .

«اني آسف لذلك ولا بد لي من شكره لانه لم يسمعني عبارة جارحة . ولكن ما الذي يطلبه؟» قال السيد (لورنس) وقد بدا خجلاً من شكاسته .

«لو كنت في مكانك لوجهت له كتاب اعتذار . يقول بانه لن يترك

غرفته حتى يستلم هذا الاعتذار . انه يتكلم عن واشنطون واحتمال هربه اليها .
ان اعتذاراً رسمياً سيجعله يدرك حماقته ويدفعه الى النزول على نحو ودي هيا يا سيدي ، حاول اتباع هذه الطريقة ، فهي اسهل من المواجهة والكلام . ساحمل الرسالة بيدي واعلمه واجبه» .

القى السيد (لورنس) عليها نظرة حادة ، ثم وضع نظارته على عينه وهو يقول ببطء «يالك من هرة ماكرة ومع ذلك فلا اعترض على تسيري من قبلك او من قبل (بيث) .
هيا ناوليني قصاصة ورق ودعينا ننتهي من هذه المشكلة السخيفة» .

كتب المذكرة بعبارات توجه من سيد مهذب الى آخر اثر اهانة معينة . وقامت (جو) بطبع قبله على راس السيد (لورنس) الاصلع وهرعت لتدس بالمذكرة من تحت باب غرفة (لوري) وهي تسدي النصح له من موضع المفتاح وتطلب منه الالتزام بالطاعة والادب والكياسة . ولما وجدت بان الباب بقيت موصدة فانها تمنت ان تتمكن المذكرة من تحقيق هدفها ، ثم استدارت ومشت مبتعدة . وما هي إلا لحظات حتى ظهر (لوري) وهو ينزلق فوق الدرابزين الى الاسفل ويقول برقة : «يالك من فتى مذهل يا (جو)! هل تعرضت لغضب جدي؟»

«كلا . كان هادئاً جداً» .

«لقد تراكمت عليّ المشاكل ونبذني الجميع حتى انت فانك كنت على استعداد لتركي الى مصيري» . قال (لوري) بلهجة باردة .

«لا تثر الموضوع ثانية . عليك ان تقلب صفحة جديدة وتبدأ بداية

جديدة يا ولدي (لوري)» .

«اني اواصل قلب الصفحات الجديدة لادمرها كما كنت ادمر الدفاتر الخاصة بالكتابة . كما انني بدأت الكثير من البدايات بحيث لا اعلم اين ستكون النهاية ،» قال (لوري) باسى .

«هيا اذهب وتناول شيئاً من الطعام فسوف تشعر بتحسن . فالرجال يتكلمون كلاماً فارغاً عندما تكون بطونهم خالية» ، قالت (جو) وخرجت من البيت مسرعة .

«هذا قذف يستهدف النيل من العنصر الرجالي» ، قال (لوري) وهو ذاهب لتناول الطعام مع جده الذي كان مزاجه رائقاً والذي تصرف بادب ولطف طيلة ذلك اليوم .

ظن الجميع بان المشكلة قد انتهت وبان السحابة قد مرت بسلام ، ولكن الشر قد وقع وبالرغم من ان البقية قد نسوا الامر الا انه بقي عالقاً في ذهن (ميج) . لم تنوه ابداً عن شخص معين ولكنها كانت تفكر فيه دوماً وتحلم به . وفي مناسبة ما كانت (جو) تفتش عن طابع بريدي فوق منضدة اختها عندما عثرت على قصاصة ورق كتب عليها العبارة التالية : «السيدة جون برووك» .

وما ان قرأت (جو) هذه العبارة حتى انت من فرط تأثرها ، ورمت بالقصاصة الى النار وهي تشعر بان مقلب (لوري) قد قرب حلول هذا اليوم المشؤوم ، المفزع .



الفصل الثاني والعشرون



مروج بهيجة

كانت الاسابيع الهادئة التي اعقبت تلك المشكلة اشبه بالاشراق بعد عاصفة هو جاء. إذ أن صحة المريضين في تحسن مستمر وسريع : فقد بدأ السيد (مارتش) بالتحدث عن العودة الى بيته وعائلته واستطاعت (بيث) ان تستلقي على الاريكة في غرفة المكتبة طوال اليوم وهي تعبث مع هريراتها وتمارس خياطة ملابس ما لديها من دمى بعد ان اهملت هذه الممارسة كلياً اثناء مرضها .

وقد شعرت بان اطرافها قد اصيبت بالوهن والتصلب بعد النشاط والفاعلية الامر الذي من خلاله وجدت (جو) نفسها مجبرة على الامساك

بيد اختها والسير بها في البيت . وقد تسببت (ميج) بحرق يديها وتلويثهما باللون الاسود وهي تحاول صنع بعض اطباق الحلوى لاختها العزيزة . اما (ايمي) فقد احتفلت عند عودتها بالقيام بمنح اخواتها اكبر نسبة استطاعت اقناعهن بقبولها من نفائسها .

و باقتراب اعياد الميلاد ورأس السنة اخذت الاسرار والالغاز المعتادة تلازم بيت آل (مارتش) فكانت (جو) تفاجئ العائلة بطقوس ومراسيم غريبة و مضحكة احتفالاً بمقدم عيد الميلاد هذا بشكل غير اعتيادي . ولم يكن (لوري) اقل غرابة من (جو) في اختيار النشاطات الترفيهية فلو قدر له تحقيق رغباته لقام باشعال نيران الزينة في الهواء الطلق واطلاق الصواريخ النارية وبناء الاقواس . وبعد العديد من المحاولات والمشاحنات تم وضع حد لنشاطات هذين الزوجين الذين خرجا من هذه التجربة بوجهين بائسين سرعان ما اتضح رياؤهما من خلال انفجار صاحبيهما بالضحك كلما التقى احدهما بالآخر .

وقد بشر تعاقب عدة ايام كان الطقس فيها معتدلاً بحلول عيد ميلاد رائع . فشعرت (حنة) ان ذلك اليوم سيكون مشمساً وجميلاً بشكل غير اعتيادي وقد ثبت صحة نبوءتها لا من خلال التصرف اللائق للجميع بل من خلال ما بشر به سير الامور من نتائج حسنة كذلك . فقد كتب السيد (مارتش) يخبر اهله باحتمال عودته بعد وقت قصير . وبعد ان قامت امها واخواتها بمساعدتها في ارتداء الفستان الجديد الذي اهدته لها امها ، حملت (بيث) الى الشباك لترى مفاجئة (لوري) و (جو) . فقد حاول هذان المبدعان تحقيق امر جديد بلقبهما : فقد تمكنا

مثل عفريتين صغيرين من اعداد مفاجئة هزلية بعد عمل مضنٍ استغرق منهما ليلة باكملها – حيث انتصبت وسط الحديقة فتاة جليدية مهيبة ، تتوج راسها شرابة الراعي ، وهي تمسك باحدى يديها سلة مملوءة بالفواكه والزهور بينما تمسك بالاخرى رزمة كبيرة احتوت على عدة نوتات موسيقية جديدة ، وغطت كتفيها سجادة افغانية زاهية الالوان بينما تدلى من شفتيها شريط ورقي وردي اللون كتب عليه الانشودة التالية :

من (يونفراو*) الى (بيت)
ليباركك الله ايها الملكة بيث
وعسى ان لا يخيفك شيءٌ
ولتكن الصحة والسعادة والطمأنينة
من نصيبك في عيد الميلاد هذا
هذه فاكهة لاطعام نحلتنا العاملة
وزهور ليشم رائحتها انفها الصغير
وموسيقى لبيانها الصغير
وسجادة افغانية لتحمي بها قدميها
وصورة لـ جوانا
رسمها الفنان رافائيل الثاني
الذي عمل بجد عظيم

* – يونفراو – جبل في جنوب سويسرا يبلغ ارتفاعه (١٣٦٨٨) قدماً – المترجم .
– نسبة الى جبال الالب – المترجم .

ليخلق منها صورة حية وجميلة
فاقبلي شريطاً احمر
لذيل قطتك المدام (بور)
ومثلجات صنعتها (بيج)
ووضعتها لك في قدر
لقد دفن من صنعني
اغلب الحب في صدري الجليدي
فاقبليه مني
انا العذراء الآليية*
وكذلك من (لوري) ومن (جو) .

ضحكت (بيث) ملء فمها عندما شاهدت هذا المنظر وراح (لوري) يركض رواحاً ومجيئاً وهو ينقل الهدايا الى (بيث) بينما انشغلت (جو) بارتجال الكلمات التي تزامنت مع تقديم كل هدية .

«اني مليئة بالسعادة بحيث لا يمكنني الاستزادة منها حتى لو كان ابي معنا الآن» ، قالت (بيث) وهي تتنهد تنهد الرضى اثناء قيام (جو) بحملها الى المكتبة لتستريح بعد كل تلك الاثارة ولتنعم باكل بعض ذلك العنب اللذيذ الذي ارسله لها جبل (يونفراو) .

«وانا سعيدة كذلك» . اضافت (جو) وهي تربت على جيبها الذي ضم في حناياه قصة (يوندين وسنترام) التي طالما تمنتها .

«انا متأكدة باني سعيدة جداً ، رددت (ايمي) وهي تنحني فوق

العذراء الاليبية: نسبة الى جبال الالب.

النسخة المحفورة من صورة (الام والطفل) التي اهدتها لها امها بعد ان وضعتها في اطار انيق .

«وانا بطبيعة الحال فرحة جداً ايضاً ، صاحت (ميج) وهي تلمس الطيات الفضية لاول فستان حريري اصبح لديها وهو الذي اصر السيد (لورنس) على اهدائه لها .

«كيف يمكنني إلا ان اكون سعيدة؟» قالت السيدة (مارتش) بنبرة امتنان اثناء تجوال عينيها بين رسالة زوجها ووجه (بيث) الباسم وهي تضغط على الدبوس ذي اللونين الذهبي والرمادي الذي ثبتته بناتها على صدرها .

في هذا العالم الاعتيادي ، الرتيب تحدث احياناً امور على غرار ما يحدث في القصص والروايات ، وهو امر يجلب الراحة للقلب . فبعد انقضاء نصف ساعة على ما اعلنته الفتيات من امر فرحتهن وعدم امكانيتهن من الاستزادة منها الا بحدود قطرة واحدة فقط فان القطرة هذه جاءت على حين غرة . فقد فتح (لوري) باب حجرة الجلوس واطل براسه بهدوء ، ولكنه بدا كمن كان على وشك القيام بهجوم مباغت ، او ترديد اغنية حرب خاصة بمقاتلي الهنود الحمر ، لفرط ما ظهر على وجهه من اثارة مكبوتة ولفرط ما دل عليه صوته من فرحة الامر الذي دفع من كان في الغرفة الى النهوض فجأة أثر اعلانه بصوت لاهث ، متقطع : «هذه هدية اخرى من هدايا عيد الميلاد لافراد عائلته (مارتش)» .

وقبل ان تتمكن العبارات من الخروج من فيه اختفى (لوري) فجأة ليظهر محله رجل طويل معصوب الوجه – لم يظهر منه سوى عينه – وهو

يتكيئ على ذراع رجل طويل آخر حاول ان يقول شيئاً ولكنه عجز عن ذلك . وبطبيعة الحال تباغتت الفتيات وامهن اللواتي فقدن السيطرة على انفسهن لعدة لحظات اذ حدثت اشياء غريبة جداً من غير ان تتمكن اية منهن من التفوه بكلمة واحدة :

فقد اختفت السيدة مارتش بين اربعة اذرع محبة امتدت لتضمها في عناق طويل ، وكادت تتسبب (جو) باهانة نفسها عندما اوشك ان يغمى عليها فاضطر (لوري) الى الاسراع بمعالجتها ، وقام السيد (برووك) بتقبيل (ميج) عن طريق الخطأ كما بين بعد ذلك بعبارات كادت تكون مبهمة ، وعثرت (ايمي) الوقورة بمقعد كان في طريقها ولكنها لم تكلف نفسها مشقة النهوض بل مدت ذراعيها لتحيط بهما جزمة والدها وتضمها الى صدرها ، بطريقة مؤثرة .

وقد استطاعت السيدة (مارتش) اخيراً ان تتمالك نفسها لترفع يدها باشارة تحذير وتقول :

«التزموا الهدوء وتذكروا (بيث) ! »

ولكن تحذيرها جاء متاخراً : فلقد انفتحت باب المكتبة على نحو فجائي لتظهر على عتبته فتاة صغيرة التفت ببطانية حمراء اللون .

حيث نفثت البهجة في اطرافها الواهنة قوة دفعتها بعنف الى احضان ابيها . اما ما حدث بعد ذلك فيبقى امراً غير ذي بال — فقد فاضت القلوب لتغسل مرارة الماضي ولتبقى حلاوة الحاضر فقط .

لم يكن المنظر رومانسياً ، ولكن ضحكة من الصميم اعادت كل شيئ الى وضعه الطبيعي : فقد اكتشفت (حنة) وهي تذرف الدموع

فوق الديك الرومي المحشي الذي حملته في صينية بيدها والذي نسيت ان تضعه على المائدة عندما هرعت من المطبخ لتشارك الجميع فرحتهم . وبعد ان هدأت عاصفة الضحك بدأت السيدة (مارتش) تشكر السيد (برووك) على الرعاية الامينة التي اولاها لزوجها . وهنا تذكر السيد (برووك) بان رب الاسرة كان بحاجة الى الراحة ولذا فانه استأذن بالخروج بعد ان امسك بيد (لوري) وجره معه . ثم طلب من المريضين ان يخلدا الى الراحة فقاما ، تنفيذاً لهذه الرغبة ، بالجلوس على مقعد وفير واحد ولكنهما واصلا كلامهما دون انقطاع .

اخبر السيد (مارتش) عائلته بانه كان يتوق الى مفاجأتهن وبان طبيبه المعالج قد وافق على قيامه باستغلال فرصة هذا الطقس المعتدل والعودة الى عائلته . ولم يتوقف السيد (مارتش) عن ذكر لطف السيد (برووك) وحسن الرعاية التي لقيها على يده كما اطنب في ذكر رفعة اخلاقه وحسن ادبه . وهنا اترك للقارئ اللبيب معرفة السبب في قيام السيد (مارتش) بالتوقف فجأة عن الكلام وبالنظر الى زوجته نظرة ذات مغزى ، بعد ان حانت منه التفاتة الى (ميج) التي كانت منهمكة في تحريك جمرات النار في الموقد ، كما يترك للقارئ ايضاً معرفة السبب الذي دفع السيدة (مارتش) الى الايماء برأسها – تعبيراً عن ادراكها لما اراده زوجها – ومن ثم التوجه الى زوجها فجأة بسؤاله عما اذا كان يرغب في تناول شيئ من الطعام .

لقد انتبهت (جو) لهذه الاشارات وفهمت مغزاها ولذلك فانها نهضت بوجه مقطب وذهبت لاعداد الشاي وهي تتمتم بعد ان اغلقت

الباب خلفها : اكره الشبان المؤدبين ذوي العيون البنية!»

كانت وجبة الغذاء الخاصة بيوم عيد الميلاد شيئاً لم يسبق له مثيل في تاريخ عائلة (مارتش) : فقد كان منظر الديك الرومي – بعد ان قامت (حنة) بحشوه وطهيه الى درجةالاحمرار ومن ثم تزيينه – مبهجاً ومثيراً للشهية وكذلك طبق الحلوى الذي كان يذوب في افواه آكليه . وكان كل شيئ على ما يرام .

وقد شارك عائلة (مارتش) في تناول هذه الوجبة الدسمة كل من السيد (لورنس) وحفيده (لوري) والسيد (برووك) الذي سددت له (جو) نظرات لم تخل من حقد – نظرات كانت مصدر تسلية كبيرة لـ (لوري) . وعند رأس المائدة وضع كرسيان وثيران قرب بعضها وقد جلس عليهما السيد (مارتش) وابنته (بيث) اللذان كانا يتناولان وجبة متواضعة من لحم الديك الرومي وقليلاً من الفاكهة .

وهكذا اكل الجميع وشربوا وتبادلوا الاحاديث ورتلوا الالحان وقضوا وقتاً ممتعاً .

وقد رفضت الاخوات الذهاب في نزهة على ظهر عربة جليد مفضلات البقاء بجانب ابيهن ، وبعد مبارحة الضيوف تجمعت العائلة السعيدة حول النار .

«قبل عام بالضبط كنا نعلن عن تذمرنا من عيد الميلاد الكئيب الذي توقعناه حوله ، الاتذكرون ذلك؟» سألت (جو) وهي تكسر صمتاً قصيراً تلا العديد من الاحاديث التي تناولت مختلف الامور .

«كانت سنة لا بأس بها بصورة عامة» قالت (ميج) وهي تنظر الى

النار بابتسامة وتهنئ نفسها على تصرفها الوقور مع السيد (برووك) .

«كانت سنة صعبة جداً على ما اظن» .

علقت (ايمي) وهي تراقب تألق الضوء فوق خاتمها .

«يسرني انتهاؤها لاننا استعدناك»

همست (بيث) التي جلست فوق ركبة أبيها .

«كانت السنة تمثل طريقاً وعراً توجب عليكن قطعه ، ياحاجاتي الصغيرات ، لا سيما الجزء الاخير منها .

ومع ذلك فقد تمكنتن من قطعه بشجاعة وصبر وستتمكن عن قريب من التخلص من احمالكن ، على ما اعتقد» قال السيد (مارتش) وهو ينظر الى نسائه الصغيرات بعين الرضى الابوية .

«كيف عرفت ذلك؟ هل اخبرتك امنا؟» سألت (جو) .

«لم تخبرني الكثير ولكن تناثر القش يكشف عن اتجاه هبوب الريح وقد اكتشفت اليوم عدداً من الامور» .

«اخبرنا ما هي» . قالت (ميج) التي جلست بجانبه «هذا احدها» قال ذلك وجذب اليد التي وضعتها صاحبتها على مسند كرسيه ليشير الى سبابتها التي خشن ملمسها والى الحرق الذي اصاب ظهرها والبقع التي انتشرت على راحتها» . اني اذكر الوقت الذي كانت فيه هذه اليد بيضاء ، ناعمة اللمس وقد تركز اهتمام صاحبتها على ابقائها بتلك الصورة . وكانت هذه اليد جميلة جداً ولكنني اجدها الآن اجمل بكثير لاني اجد بين هذه الاثار كلها تفاصيل تاريخ شيق .

فالحرق قد قفل الغرور وراحة اليد الخشنة قد استحقت شيئاً افضل

بكثير من البقع التي انتشرت عليها . واني على ثقة من حجم ما انجزته هذه الاصابع المغطاة بآثار وخزات الابر من اعمال الخياطة سيبقى وقتاً طويلاً لكثرة ما واكب الوخز هذا من حسن نية . اني اثمن ، ياعزيزتي (ميج) ، مهارة الانثى في ادامة السعادة في البيت اكثر من الايدي البيضاء ، الناعمة والمنجزات التي تضطلع بها سيدات المجتمع الراقي . واني اشعر بالفخر عندما اصافح هذه اليد الطيبة ، المنتجة وآمل ان لا يطلب مني قريباً اعطاؤها .

وهكذا كان ثواب (مارجريت) لقاء ساعات العمل المضنية التي بذلتها : ضغطه ودية من يد والدها وابتسامة الرضى التي ارتسمت على وجهه .

«وماذا عن (جو)؟ ارجو ان تقول فيها قولاً معروفاً لانها حاولت جهدها ان تقوم بما كلفت به من واجبات كما انها رعتني خير رعاية» . همست (بيث) في اذن ابيها .

ضحك ونظر عبر الغرفة الى الفتاة التي جلست امامه وقد ارتسمت فوق وجهها البني نظرة هادئة .

«بالرغم من الشعر القصير فاني لا ادري (ابني جو) الذي تركته قبل عام» ، قال السيد(مارتش) .

«بل على العكس فاني ارى امامي فتاة حسنة الهندام . تهتم بمظهرها فهي لا تحاول الصفير او اللجوء الى الالفاظ العامية والنابية او الاستلقاء على السجادة كسابق عهدها .

فوجهها قد اصبح نحيفاً وشاحباً بسبب المراقبة والقلق ، ولكنني

احب النظر اليه لانه قد ازداد رقة واصبح صوتها اكثر انخفاضاً .
بالاضافة الى ذلك لا نجدها الآن تثب من مكان الى آخر بل تسير ببطء
وترعى شاباً معيناً بطريقة امومية وهو امر يسعدني للغاية .
لاشك اني افتقد فتاتي الصغيرة ، الجامحة ولكن اذا ما تم لي الحصول على
امرأة طيبة القلب ، قوية الشخصية ، تحب مساعدة الناس ، بدلاً عنها
فساكون راضياً . لا ادري ان كان جز الصوف قد اعاد الوعي الى نعجتنا
السوداء ولكنني على ثقة تامة بانني فتشت في كل ارجاء واشنطون
العاصمة فلم اجد ما يستحق شراؤه من الاشياء الجميلة بمبلغ خمسة
وعشرين دولاراً الذي ارسلته لي ابنتي الصالحة ، (جو)» .

اكتسبت عينا (جو) لاول وهلة لوناً قاتماً ، وتوردت وجنتاها في
ضوء النار المستعرة، وهي تنصت الى هذا الثناء وتشعر بانها قد استحقت
جزءً منه على أقل تقدير.

«جاء الآن دور (بيث)» ، قالت (ايمي) وهي تتوق لحلول دورها
ومع ذلك فانها كانت على استعداد للأنتظار .

«ان حجمها من الصغر . يجعل من الصعب قول كلام كثير فيها
خشية ان تضمحل وتختفي كلياً وان لم تعد خجولة كما كانت عليه في
السابق» قال الاب ببشاشة . وبعد ان تذكر كيف انهم كانوا على وشك
ان يفقدوها الى الابد ، فانه ضمها الى صدره ، ووضع خدها على خده
وقال بحنان: «وجدتك بصحة جيدة ، وساحاول جهدي ان ابقيك
كذلك . ساعدني يارب !»

وبعد لحظة من الصمت نظر الاب الى (ايمي) ، التي جلست على

مقعد واطئ قرب قدميه ، وقال وهو يربت على شعرها الذهبي المتلامع :
لاحظت اثناء وجبة الغداء بان (ايمي) تناولت الجزء الواقع بين الفخذ والكاحل من الديك الرومي ، كما لاحظت بانها قد قضت عدداً من الاعمال التي كلفتها بها امها طيلة فترة مابعد الظهر ، وانها تنازلت لـ (ميج) عن مقعدها وحاولت ان تسهر على راحة الجميع بصبر ومزاج رائق .
وقد لاحظت بانها لاتتذمر بكثرة ولاتنظر الى نفسها بالمرآة ولاتذكر اي شيء حتى عن الخاتم الجميل الذي تضعه في اصبعها . واستنتج من ذلك كله انها بدأت تفكر بغيرها اكثر من تفكيرها بنفسها كما بدأت تحاول قولبة نفسها وشخصيتها بنفس الدقة والحرص اللذين تحاول من خلالهما صنع الدمى الطينية . ويسرني هذا الامر للغاية اذ بالرغم من شعوري بالفخر ازاء التمثال الانيق الذي صنعته اصابعها سيتضاعف شعوري هذا عندما اجد ان بامكان ابنتي الجميلة صنع حياة اجمل وافضل لها ولغيرها» .
«ماالذي يدور في مخيلتك يا (بيث)؟»
سألت (جو) بعد ان شكرت (ايمي) اباها واخبرت الجميع بالتفاصيل المتعلقة بالخاتم .
«قرأت اليوم في رواية (رحلة الحاج) كيف وصل (كرستيان) و (هو بفول) ، بعد عناء طويل ، الى مرج اخضر جميل حيث كانت زهور الزنبق تزدهر على مدار العام فجلسا للاستراحة - كما نجلس نحن الآن بفرح وغبطة - قبل مواصلة سفرهما الى حيث كانا يقصدان» اجابت

(بيث) وهي تنسل من بين ذراعي والدها وتتجه ببطء آلتها الموسيقية: «حان وقت الغناء واريد ان اكون في محلي القديم. ساحاول تقديم اغنية الراعي التي سمعها الحجاج في الرواية. لقد كتبت اللحن ساقدمه هدية الى ابي الذي طالما ابدى اعجابه بما احتوته العبارات من معان.

وبعد ان جلست (بيث) امام بيانها الصغير بدأت بلمس مفاتيحه برقة. وبذلك الصوت العذب - الذي كان الجميع قد ظنوا بانهم لن يسمعوه بعد - غنت (بيث)، يصاحبها عزفها الشجي، هذه الترنيمة الجذابة:

لايخشى السقوط من يقف على الارض
ولايفتقد الغرور من كان صغير المقام
وسيبقى الله تعالى
دليل البسطاء والمتواضعين.
اني قانع بما لدي.
كثيراً كان ام قليلاً
فمزيداً من القناعة ياالهي
فانت المعطي الكبير
اكثار العطاء عبء
على الذين يحجون الى بيتك الحرام
فحبذا لو حصلوا على القليل هنا
لينعموا بالجنة في الحياة الاخرى



الفصل الثالث والعشرون



العمة مارتش تحسم الموضوع

مثل النحل الذي يحتشد خلف ملكته ، هكذا حامت السيدة (مارتش) وبناتها حول رب الاسرة في اليوم التالي .

وقد اهملن كل شيء في سبيل النظر الى هذا الرجل المقعد والاستماع الى مايقول وتلبية مايطلب ، وهكذا كاد يموت هذا الرجل من كثرة ماأغدق عليه من الرعاية والحنان .

وعندما جلس على مقعد كبير بجوار اريكة (بيث) —

تحيط به زوجته وبناته بينما راحت (حنة) تطل بين الفينة والفينة لتلقي نظرة على الرجل العزيز — يبدو انه لم يعد هناك شيء آخر تستكمل به

العائلة سعادتها . الا انه كان هناك ، في الواقع ، شيءٌ ناقص ، وقد شعر به الكبار وان لم يعترف به احد .

وكان السيد (مارتش) وزوجته يتبادلان النظرات القلقة وهما يراقبان (ميج) . وانتابت (جو) نوبات مفاجئة من الرزانة والوقار وقد شوهدت وهي تلوح بقبضتها لمظلة السيد (برووك) الذي كان قد تركها في الردهة . وكانت (ميج) شاردة الذهن ، خجولة صامتة كما كانت تجفل كلما رن جرس الباب الخارجي ، وتغمر الحمرة وجهها اذا ما ذكر اسم (جون) . وقالت (ايمي)

«ان الجميع ، على ما يبدو ، ينتظرون شيئاً معيناً ولايمكنهم الاستقرار بسبب ذلك . انه لامر غريب حقاً بعد عودة ابينا سالماً . اما (بيث) فكانت تتساءل ببراءة عن سبب قلة زيارات جيرانهم قياساً بما مضى .

وقد مر (لوري) من امام البيت عصر احد الايام وما ان رأى (ميج) تقف خلف الشباك حتى بدا كمن داهمته نوبة مأساوية اذ ركع فجأة على الارض التي غطاها الثلج واخذ يضرب على صدره وينتف شعره ويشبك يده متضرعاً ، كمن يطلب قضاء حاجة له فما كان من (ميج) الا صرفه بعد زجره واخباره بوجوب التصرف بشكل لائق . ازاء ذلك راح (لوري) يتظاهر بالبكاء ويعصر الدموع من منديله ويمشي متعثراً كمن داهمته نوبة من اليأس .

«ماذا يعني هذا المخادع بتصرفه هذا؟»

سألت (ميج) ضاحكة وهي تحاول ان تبدو غير مدركة .

«انه يصور لك ماسيكون عليه حال حبيبك (جون) قريباً .
شيءُ مؤثر جداً ، اليس كذلك؟» اجابت (جو) بتهكم .
«لاتقولي حبيبي (جون) فهذا كلام لاصحة له . كما انه غير لائق»
قالت (ميج) . ولكن صوتها تباطأ عندما رددت عبارة «حبيبي جون»
وكأن للعبارة وقعاً جميلاً على نفسها . «ارجو ان تكفي عن مضايقتي ، يا
(جو) ، لقد اخبرتك بان امره لايعنيني ابداً وليس لي ماأضيفه سوى ان
علاقتنا ستستمر وسنكون جميعاً اصدقاء كما كنا سابقاً» .
«هذا امر مستحيل لان ثمة شيءُ ماقد حدث فعلاً ، ثم ان مقلب
(لوري) قد اثر في نفسك وغير شعورك ازائي بعض الشيءُ . انه امر واضح
بالنسبة لي وكذلك بالنسبة للوالدة . لقد تغيرت يا (ميج) واصبحت
بعيدة عني كما يبدو . انا لااريد مضايقتك وساتحمل نتائج ماسيحدث
كأي رجل ولكني اتمنى ان يحسم الامر بشكل ما او بآخر . اني اكره
التلكوء والانتظار . فان توفرت لديك النية على المضي في هذا الموضوع
فاسرعي اذ يجب الانتهاء منه باقرب وقت ممكن» قالت (جو) بغضب .
«لا يمكنني قول شيءُ او القيام باية خطوة قبل ان يتقدم هو . وسوف
لن يتقدم الآن لان ابي اخبره باني لم ازل صغيرة السن». قالت (ميج)
وهي منهمكة في عملها وعلى وجهها ابتسامة غريبة توحي بانها لاتتفق مع
ابيها حول موضوع العمر .
«لو تكلم لما عرفت مايجب قوله بل ستلجأين الى البكاء وقد يحمر
وجهك خجلاً وبذلك ستمكنيه من تحقيق هدفه بدلاً من الوقوف بوجهه
بعبارة لااوافق لكي تنهي الموضوع» .

«لست ضعيفة او حمقاء بالدرجة التي تتصورين .

اني ادرك جيداً مايجب قوله فقد احتطت للموضوع لكي لا أؤخذ على حين غرة» .

لم تتمالك (جو) من الابتسام لما تظاهرت به (ميج) من اهمية .

«هل لك ان تخبريني مايمكنك قوله؟»

سألت (جو) بلهجة مؤدبة .

«بالتأكيد . فقد بلغت السادسة عشرة من العمر الامر الذي يجعلك أهلاً لكي تكوني مستودع اسراري ناهيك عما ستعود به عليك تجربتي هذه من فائدة في المستقبل القريب وفي ظرف مماثل» .

«لا انوي ان اكون في ظرف مماثل . ولربما اجد المتعة في مراقبة الآخرين وهم ينهمكون في مثل هذه الامور ولكنني سأشعر بالحماقة لو قدر لي ان اكون مثلهم» قالت (جو) وقد ارهبتها الفكرة.

«اظنك مخطئة يا (جو) وسوف لن تشعرين بانك حمقاء اذا ما احببت شخصاً وبادلك هو نفس شعورك» قالت (ميج) وكأنها تكلم نفسها وهي تسترق النظر الى الشارع حيث كانت تشاهد العديد من العشاق وهم يسيرون ازواجاً في الامسيات الصيفية .

«ظننت بانك ستردين السيد (برووك) خائباً:» قالت (جو) وهي تخاطب اختها بطريقة فظة «سأكتفي بالقول باني اتفق مع ابي مازلت صغيرة السن للدخول في ارتباط من هذا النوع واطلب منه وضع حد للموضوع» .

«ياله من موقف حازم! ولكنني لا اظنك ستتمكنين من مجابهته بهذا

الكلام ولاظنه سيكتفي بمثل هذا الجواب بل سوف تستسلمين لارادته متى ماأصر على موقفه» .

«كلا! سوف اخبره بان قراري نهائي .

وساخرج بعد ذلك من الغرفة بوقار» .

نهضت (ميج) اثناء كلامها وحاولت القيام بالسير بوقار ولكنها سرعان ماعادت الى مكانها بسرعة البرق ، وانكبت على عملها وكأن شيئاً لم يكن ، بمجرد سماعها وقع اقدام في الردهة الخارجية . اثر هذه الحركة المفاجئة ، كبتت (جو) ضحكة داهمتها ونهضت لتفتح باب الغرفة عند سماعها نقراً هادئاً عليها .

«مساء الخير . جئت لاسترداد مظلتي .. بل لاستفسر عن صحة ابيك هذا اليوم» قال السيد (برووك) وقد اعتراه الخجل بينما راحت عيناه تنتقل من وجه الى آخر .

«انه بخير . سوف اخبره بوجودك» قالت (ميج) بشيءٍ من الارتباك . اما (جو) فقد تركت الغرفة لتعطي اختها الفرصة لكي تقوم بالقاء خطابها والخروج من الغرفة بتعالي . ولكنها ماان خرجت حتى اتجهت (ميج) نحو الباب بضعف وهي تقول: «تفضل بالجلوس . ستكون والدتي سعيدة جداً برؤيتك . ساذهب لاناديها» .

«لاتذهبي يا (مارجريت) . هل انت خائفة مني؟»

وقد بدا السيد (برووك) متألماً الى درجة ظنت (ميج) من خلالها بانها لربما قد اساءت التصرف .

ولكنها احمرت خجلاً عندما ناداها باسمها الكامل فقد كان امراً لم

تعتد عليه ومع ذلك فقد بدا طبيعياً جداً وبذلك لم تجد فيه اية غرابة
«كيف اخاف منك بعد مالمسناه من لطفك وكرمك ازاء ابينا .
ليتني اتمكن من شكرك بالقدر الكافي» قالت (مارجريت) وهي تمد يدها له .

«هل تريدين مني اخبارك عن كيفية شكري؟»

سأل (برووك) وهو يمسك اليد الصغيرة التي امتدت اليه ويضعها بين يديه وهو ينظر الى صاحبتها بعينين بنيتين مليئتين بالحب ..

وتسارعت دقات قلبها وهي تريد الافلات وسماع مالديه من كلام في آن واحد .

«كلا! ارجوك لاتخبرني ... افضل ان لااسمع» قالت وهي تحاول سحب يدها وقد بدا عليها الخوف بالرغم من نكرانها الامر .

«لن ازعجك يا (ميج) . اردت فقط ان اعرف ما اذا كنت اعني اي شيءْ بالنسبة لك . اما انا فاحبك كثيراً . ياعزيزتي» اضاف (برووك) برقة .

كانت الفرصة مواتية لقيام (ميج) بصد هذا الحبيب ، ولكنها لم تفعل ذلك ، بل نسيت كل عبارة ارادت قولها واكتفت بقول «لا ادري» . قالت (ميج) هذه العبارة برقة وبصوت واطيءْ الى درجة اضطر (جون) من خلالها الى الانحناء قليلاً ليسمعها .

ابتسم لنفسه وبدا راضياً ، ثم ضغط على اليد الممتلئة بامتنان وقال بنبرة مقنعة

«هل تعديني بمحاولة اكتشاف ماأطلب معرفته؟

اني اتوق الى معرفة الجواب ، ولايسعني الذهاب الى العمل الابعد ان اعرف النتيجة» .

«ولكنني مازلت صغيرة السن» قالت (ميج) بتردد وهي تتساءل في نفسها عن سبب مااصابها من رعشة .

«اني على استعداد للانتظار ، وفي الحين ذاته يمكنك ان تعودي نفسك على محبتي . فهل تعتبرين هذا درساً صعباً ، ياعزيزتي» .

« ليس صعباً ان اردت حقاً معرفته ولكن ....»

«ارجوك حاولي .. اود تعليمك من كل قلبي واجد ذلك اسهل بكثير من تدريس اللغة الالمانية» قال (جون) وقد تمكن من الامساك باليد الاخرى وبذلك لم تعد قادرة على اخفاء وجهها عنه .

وبالرغم من التضرع الذي كان في صوته فقد وجدت (ميج) ، من خلال نظرة خجلة استرقتها ان عينيه كانتا جذلتين اضافة الى ما كان بهما من رقة ووداعة ، وان الابتسامة التي ارتسمت على وجهه قد اوحت بانه كان واثقاً من النجاح في تحقيق مايريد ، الامر الذي ضايقها وجعلها تستذكر فجأة الدروس الحمقاء التي تعلمتها من (آني موفيت) في فنون الغنج والدلال . وفي الحين ذاته استيقظ فيها حب القوة وتملكها – ذلك الحب الذي يسكن في صدور افضل النساء الصغيرات .

ومن غير ان تدري ماذا تعمل فانها استجابت لنزوة عابرة وسحبت يديها وقالت بلهجة فظة ، متعالية :

«لن احاول . ارجوك ان تذهب وتتركني».

يالتعاسة السيد (برووك) الذي بدا كأن قصوره في الهواء قد تهاوت

متهدمة ، لانه لم يكن قد شاهد (ميج) بمثل هذا المزاج الامر الذي حيره .

«هل حقاً تقصدين ماتقولين؟» سأل بقلق وهو يتبع (ميج) بنظرة .

«اجل ، ولا اريد ازعاج نفسي بامور من هذا النوع . يقول ابي اني لازلت صغيرة السن على مثل هذه الامور».

«هل لي ان آمل باحتمال قيامك باعادة النظر في موقفك بعد وقت لاحق؟ اني على استعداد للانتظار .

لاتحاولي اللعب معي يا (ميج) ! فانت ارفع من ذلك» .

«ارجوك ان تصرف النظر عني ، هذه رغبتي» قالت (ميج) وهي تجد نوعاً من الراحة في اختبار صبر حبيبها وقوتها في آن واحد .

وقف (برووك) بوقار وصمت وبدا لها مثل ابطال القصص الروائية التي طالما اعجبت بهم . ولكنه لم يلطم رأسه ولاراح يقطع الغرفة ذهاباً واياباً كما يفعل العشاق . وراح ينظر اليها بتأمل وحنان فرق له قلبها بالرغم منها . وهنا لايمكنني التكهن بما كان سيحصل بعد ذلك لولا مجئ العمة (مارتش) ودخولها الغرفة في تلك اللحظة الحرجة .

لم تستطع السيدة العجوز مقاومة شوقها لرؤية ابن اخيها بعد ان سمعت خبر وصوله من (لوري) الذي كان قد التقى بها عن طريق الصدفة في احدى نزهاتها بالعربة . وكان اعضاء عائلة (مارتش) مشغولين في الجزء الخلفي من البيت . وقد دخلت العمة البيت بهدوء وهي تأمل مفاجأة الجميع .

ولكنها بالتأكيد تمكنت من مفاجأة شخصين .

فكان جفول (ميج) بدخول عمتها اشبه بجفول من يجد نفسه وجهاً لوجه امام شبح مخيف . اما (برووك) فقد اختفى في غرفة المكتبة :

«ليباركنا الله! ماهذا الذي اراه؟» صاحت السيدة وهي تضرب الارض بعصاها وتنتقل بنظراتها من الشاب الذي امتقع لونه الى الشابة التي تورد وجهها خجلاً .

«انه احد اصدقاء ابي ... كم انا مسرورة برؤيتك»

قالت (ميج) وهي تتلعثم وتشعر بانها على وشك ان تزجر من قبل السيدة العجوز .

«هذا واضح» قالت العمة وهي تجلس . «ولكن ماالذي يقوله صديق ابيك بحيث يجعلك تبدين مثل الفاوانيا(*)؟ هناك امر لابد لي من معرفته! هيا اخبريني» قالت العمة وهي تضرب الارض ثانية بعصاها .

«كنا نتكلم لااكثر . لقد جاء السيد (برووك) لاستعادة مظلته التي كان قد نسيها عندنا»

قالت (ميج) وهي تتمنى خروج السيد (برووك) ومظلته بسلام عن البيت .

«(برووك)؟ معلم ذلك الفتى؟ فهمت الآن!

انا اعرف القصة التي سمعت تفاصيلها من (جو) بعد ان اجبرتها على اخباري نتيجة خطأ وقعت فيه .

لا اظنك قد وافقت على الزواج ياعزيزتي؟

صاحت العمة باشمئزاز

(*) – الفاوانيا – او عود الصليب – نبات ذو زهرات حمراء كبيرة – المترجم

«كفاك! لابد انه سيسمع كلامك . اليس من الافضل لي ان استدعي امي «قالت (مارتش) التي بدت قلقة جداً .

«انتظري لحظة ، فلدي ماأقوله لك ، وعلي ان انتهي منه فوراً . اخبريني هل تنوين الزواج من هذا الرجل؟ ان كنت ترغبين ذلك فسوف لن ترثي فلساً واحداً من نقودي . فتذكري هذا الانذار وتصرفي بتعقل» قالت السيدة العجوز بطريقة مؤثرة .

وليعلم القارئ الكريم ان هذه العمة لاتملك القابلية التامة على اثارة روع المعارضة في اهدأ الناس واكثرهم دماثة فحسب ، بل كانت هذه الاثارة تشكل مصدر متعة لها . وهناك مسحة من عناد وشكاسة لدى افضلنا سيما ان كان هؤلاء عشاقاً يافعين . فلو كانت العمة (مارتش) قد طلبت من (ميج) قبول (جون برووك) زوجاً ولما اعربت عن عدم تمكنها من ذلك ، او لربما رفضت مرة واحدة . ولكن عندما خاطبت السيدة العجوز قريبتها بهذه اللهجة التعسفية فانها دفعت الاخيرة هذه الى اتخاذ اجراء معاكس على الفور وهكذا اجتمع العناد والميل ليسهلا عملية اتخاذ القرار . ولما كان التأثر قد بلغ من (ميج) مبلغاً قبل مجيئ العمة فانها اخذت تعارض هذه العمة بعنف .

«ساتزوج الشخص الذي ارغب فيه ، ايتها العمة (مارتش) وبامكانك ترك ثروتك لمن تشائين من الناس» قالت (ميج) وهي ترفع رأسها الى الاعلى دلالة على قرارها النهائي .

«ابهذه الطريقة الفظة تستجيبين لنصيحتي ، ايتها الانسة؟ ستندمين على عملك هذا بعد وقت قصير عندما تمرين بتجربة الحب داخل كوخ

وضيع لتجدينها تجربة فاشلة» .

«لا يمكنها ان تكون اسوأ من تلك التي يجدها بعض الناس في القصور الكبيرة» اجابت (ميج) .

وضعت العمة مارتش نظارتها على عينيها والقت على الفتاة نظرة خاصة لانها لم تكن قد شاهدتها بمثل هذا المزاج . اما (ميج) فكادت لاتعرف نفسها لفرط مابدته من الشجاعة والاستقلالية ، كما شعرت بغبطة وهي تدافع عن (جون) وتقوم بتثبيت حقها في حبه ان شاءت ذلك . وسرعان ماادركت العمة (مارتش) بانها قد اخطأت . وبعد فترة صمت قصيرة بدأت مجدداً تقول ماتريد باسلوب حاولت ان يكون اكثر رقة وادباً: «والآن ياعزيزتي (ميج) عليك الالتزام بالتعقل اذ لابد لك من العمل بنصيحتي التي تستهدف خيرك من خلال محاولة منعك من ارتكاب هفوة قد تتسبب في تدمير حياتك .

عليك ان تختاري زيجة موفقة لتساعدي عائلتك . ان الواجب يحتم عليك انتخاب شريك حياة ذي مؤهلات ممتازة ، وهو واجب يتعين على اهلك مراعاته» .

«ان ابي وامي لايتفقان معك بالرأي وهما معجبان ب (جون) بالرغم من فقره» .

«لايملك والداك من الحكمة الدنيوية ياعزيزتي ، اكثر مما يملكه طفلان الاخبرة لديهما بامور الدنيا» .

«كم انا مسرورة بذلك» أجابت (ميج) بشجاعة .

لم تعر العمة (مارتش) هذه الملاحظة اي اهتمام بل واصلت كلامها

قائله :

«انه رجل فقير ولاينتسب الى اقارب اغنياء اليس كذلك؟»

«كلا ولكن لديه العديد من الاصدقاء الحميمين» .

«لايمكنك الاعتماد على الاصدقاء . حاولي ذلك وستجدين ان مثل هذه العلاقات تفتقر الى الدفء . هل لديه اي عمل اوْ اية تجارة؟»

«كلا . ولكن السيد (لورنس) سيساعده من هذا الجانب» .

«هذا ليس بحل ذي ديمومة ف (جيمس لورنس) شخص مزاجي ولايمكن الاعتماد عليه .

لقد عزمت اذاً ، على الزواج من رجل لايملك المال والمنصب والعمل وستضطرين الى العمل المضني بينما بامكانك اختيار طريق العيش الرغيد بمجرد الانصياع الى ما اقول . تصورت انك فتاة اكثر عقلاً من ذلك يا (ميج)» .

«لن اتمكن من اختيار زوج افضل حتى لو انتظرت نصف عمري . ف (جون) شخص موهوب اضافة الى مالديه من طيبة وحكمة . كما انه عازم على العمل وسيجد المجال امامه مفتوحاً . ولاتنسي ياعمتي بان (جون) هو رجل محبوب ومحترم من قبل الجميع اضافة الى مايملكه من شجاعة وطاقة . وانه لمن دواعي فخري ان اجده يحبني بالرغم من فقري ، وحداثة سني وحماقتي » قالت (ميج) وقد بدت أجمل بكثير من خلال صراحتها هذه .

«انه يدرك بان لديك اقارب اغنياء ، وهذا يفسر سبب اهتمامه بك ومحبته لك ، ياطفلتي » .

«كيف تجرأين على قول هذا الشيء ياعمتي؟

ان (جون) اعلى بكثير من مثل هذه الدناءة ، وانا لست على استعداد للاستماع لك دقيقة واحدة اكثر اذا ما استمرت على نهجك هذا في الكلام» صاحت (ميج) بالم وقد نسيت كل شيء باستثناء ماترتب على شكوك السيدة العجوز من ظلم . «ان حبيبي (جون) لن يتزوج بسببه . لقد قررنا العمل سوياً وسننتظر ، فلست بخائفة من الفقر والحاجة لانني ، بالرغم منها ، قد عشت سعيدة لحد الآن وانا ادرك جيداً باني ساعيش كذلك معه لانه يحبني وانا ....»

وهنا توقفت (ميج) فجأة بعد ان ادركت بانها لم تكن قد قررت في الواقع وبانها كانت قد صرفت «حبيبها (جون)» الى حال سبيله وربما كان يستمع الى هذه المحاورة .

شعرت العمة (مارتش) بغضب شديد لانها كانت تريد ان تزوج قريبتها الشابة هذه زواجاً جيداً . وقد كان هناك ثمة شيء في ذلك الوجه اليافع ، الجميل اثار فيها الحزن والمرارة .

«حسن . ها انا انفض يدي من الموضوع .

انت فتاة عنيدة وقد خسرت خسارة لايمكنك تصورها بسبب تصرفك الاحمق . لقد خيبت ظني فيك . ولم تبق لدي اية رغبة في رؤية ابيك او السلام عليه . ارجو ان لاتتوقعي استلام اي شيء مني بمناسبة زواجك فاصدقاء حبيبك (برووك) سيتولون هذا الجانب . هذه هي نهاية علاقتنا»

عند انتهاء كلامها خرجت العمة (مارتش) بعد ان صفقت الباب

خلفها ، وبخروجها فانها اخذت معها ، على مابدا ، ماكان لدى قريبتها من شجاعة .

وبذلك وجدت (ميج) نفسها تقف متسائلة ما كان عساها ان تفعل: اتضحك ام تبكي . وبينما هي على هذه الحال دخل عليها (برووك) وقال: «لقد سمعت كل شيءٍ يا (ميج) . شكراً لدفاعك عني . وشكراً للعمة (مارتش) لانها استطاعت ان تثبت بانك تهتمين بي قليلاً .

«لم ادرك مدى اهتمامي بك حتى بدأت العمة بالنيل منك» قالت (ميج)

«اذاً لاداعي لذهابي . فهل تسمحين ببقائي وشعوري بالسعادة ، ياعزيزتي؟»

وهنا سنحت ل(ميج) فرصة اخرى للقيام بصد هذا الحبيب والخروج من الغرفة بوقار بعد ذلك ولكنها لم تفكر بالقيام باي منهما بل تسببت بضياع كرامتها في عين (جو) عندها همست بتواضع قائلة «اجل ياجون»

واخفت وجهها فوق سترته .

بعد ربع ساعة من رحيل العمة (مارتش) نزلت (جو) من الطابق العلوي وتوقفت لاول وهلة امام باب غرفة الجلوس . ولما لم تسمع اي صوت من الداخل فانها ابتسمت برضى وهي تقول لنفسها:

«لقد طردته كما كان اتفاقنا وهذه هي نهاية الامر . والان ساذهب لسماع تفاصيل مادار ولأضحك من الموضوع ملء فمي » .

ولكن الحظ لم يسعف (جو) بالتمتع بضحكتها فسرعان ماتسمرت

عند عتبة الباب اثر المشهد الذي شاهدته امامها – وقفت تنظر بانشداه!
لقد دخلت لتبتهج باندحار عدو ولتهنئ اختها ذات الارادة القوية على تمكنها من طرد عشيق بغيض! فما الذي وجدت امامها؟ كانت حقاً صدمة قوية: لقد وجدت هذا العدد يجلس فوق الاريكة بوقار، ووجدت اختها ذات الارادة القوية تجلس فوق ركبته وقد ارتسمت فوق وجهها نظرة استسلام ورضى . وشهقت (جو) من فرط التعجب لهذه النتيجة غير المتوقعة.

واثر سماعها صوت انفتاح الباب التفت العاشقان ليجدا (جو) تقف امامها . قفزت (ميج) وقد بدت خجلة وفخورة في آن واحد . اما «ذلك الرجل» .

على حد تعبير (جو) – فقد اكتفى بضحكة والقيام ببرود وهدوء ليقبل هذه الوافدة الجديدة على خدها وليقول لها: «هنئينا يا اختي (جو)» .

وهكذا زاد الطين بلة – كان امراً لايطاق .

وبعد ان حركت يدها باشارات مبهمة توارت عن الانظار من غير ان تنبس بكلمة واحدة . وبعد ان اسرعت بالصعود الى الطابق العلوي فانها ازعجت الجميع عندما اندفعت كالعاصفة لتقول:

«ليذهب احدكم الى الطابق الاسفل بسرعة:

ان (جون برووك) يتصرف تصرفاً شائناً تستحسنه (ميج) من غير اي اعتراض!» .

غادر السيد (مارتش) وزوجته غرفتهما على عجل بينما رمت (جو)

نفسها على الفراش وهي تبكي وتصرخ اثناء قيامها باخبار (بيث) و (ايمي) تفاصيل المشهد الذي رأته في غرفة الجلوس . اما الاختان الصغيرتان فلم تجدا اية غرابة في هذا الامر الذي كان بالنسبة لهما طبيعياً ومثيراً للاهتمام . وبسبب عدم تعاطف اختيها معها فان (جو) انطلقت الى ملاذها في اعلى البيت حيث جلست لتشكو همومها الى الفئران .

لم يعرف احد تفاصيل مادار في غرفة الجلوس عصر ذلك اليوم . لقد دار هناك حديث طويل تملك الحاضرين من خلاله العجب الشديد لما ابداه السيد (برووك) الهادئ من فصاحة وقوة حجة في اقناع مستمعيه والوصول الى هدفه .

وعندما حان موعد وجبة الشاي لم يكن (برووك) قد انتهى من وصف الجنة التي عزم على تحقيقها ل (ميج) . وحين نهض الجميع متوجهين الى غرف الطعام ، رافق (برووك) حبيبته بكل فخر واعتزاز .

وقد بدا الاثنان في غاية البهجة والسرور بحيث لم تتمكن (جو) من اظهار ماتشعره من غيرة وكآبة . وقد اعجبت (ايمي) بتفاني (جون) ووقار (ميج) بينما راحت (بيث) تطل عليهما بابتسامات الفرحة والرضى . اما الأبوان فقد انشغلا بمراقبة الحبيبين بفرحة وارتياح اوضحا من خلالهما قول العمة (مارتش) بانهما «لايملكان من الحكمة الدنيوية اكثر مما يملكه طفلان ...» لم يأكل احد كثيراً من الطعام ولكنم بدوا فرحين جداً ، وبدت الغرفة القديمة زاهية مبتهجة باول قصة حب تعيشها العائلة .

«لايمكنك ان تقولي بعد الآن ان لاشيء مفرح يحدث هنا ، اليس كذلك يا (ميج)؟» قالت (ايمي) وهي تحاول التوصل الى افضل طريقة

تجمع فيها الحبيبان في صورة تنوي رسمها بيدها .

«كلا ! لايمكنني ذلك بالتأكيد . لقد حدث الكثير منذ ان قلت هذه العبارة . يبدو اني قد قلتها قبل عام» اجابت (ميج) التي بدت في حلم جميل وقد ارتفعت فوق مستوى الامور الاعتيادية .

«جاءت الافراح هذه المرة مباشرة بعد الاحزان واظن بان التغيير قد بدأ» قالت السيدة (مارتش) .

«في حياة اكثر العوائل يطل بين الاونة والاخرى عام مليء بالاحداث ، وهذا بالضبط ماحدث هذا العام الذي يبشر بنهاية سعيدة» .

«آمل ان ينتهي العام المقبل بصورة افضل» .

تمتمت (جو) التي صعب عليها ان تجد (ميج) امامها منصرفة كلياً الى غريب تمكن من الاستحواذ على كل مشاعرها ، فما امنته (جو) من شعور بالمحبة العميقة كاد يكون مقصوراً على عدد قليل من الناس ولذلك فانها كانت تخشى فقدان هذه المودة او نقصها باي شكل من الاشكال .

«وآمل ان تنتهي السنة الثالثة بصورة افضل ، وهذا ماانوي تحقيقه اذا ماتم لي تنفيذ مارسمته من اهداف « قال السيد (برووك) وهو ينظر الى (ميج) مبتسماً وكأن كل شيء قد اصبح ممكناً الآن .

«الاتبدو هذه فترة طويلة للانتظار» سألت (ايمي) التي كانت تتمنى أن يتم الزواج باقرب وقت .

«علي ان اتعلم الكثير قبل ان اصبح مهيأة لذلك وان فترة عام تبدو قصيرة بالنسبة لي » اجابت (ميج) وقد اعتلت وجهها نظرة وقار جميلة لم

يلحظها احد من قبل .

«ماعليك سوى الانتظار . وساقوم انا بما يتطلبه الامر من جهد» قال (جو) وهو يبذل جهده عندما انحنى ليلتقط منديل (ميج) من الارض وقد ظهر على وجهه تعبير دفع (جو) الى هز رأسها والقول لنفسها بشيء من الراحة – عندما سمع طرق على الباب – (هاهو (لوري) . والآن ستتمكن من الاستماع الى احاديث مجدية» .

ولكن (جو) كانت بعيدة عن الحقيقة : فقد دخل (لوري) يحجل مثل حصان ، وقد امتلأ نشاطاً وحيوية وهو يحمل بيديه باقة ورد كبيرة خاصة بحفلات الاعراس وقد كتب عليها عبارة «الى السيدة جون بroوك» . ولابد ان (لوري) كان يظن بان ماحدث انما كان نتيجة جهوده الخيرة التي بذلها .

«لقد ادركت منذ البداية بان (برووك) سيحقق هدفه كما يفعل دائماً لانه اذا ماوضع هدفاً نصب عينيه فانه يسعى جاهداً لتحقيقه بالرغم مما يجد امامه من موانع وصعاب» قال (لوري) بعد ان قدم هديته وهنأ الحبيبين .

«اني ممتن لهذه التوصية وآمل ان تكون فألاً حسناً للمستقبل ولذلك فانت مدعو منذ الآن لحضور حفلة الزواج » قال السيد (برووك) الذي شعر بانه كان على وئام مع كل الناس بما فيهم تلميذه المشاكس هذا .

«ساحضر الزواج هذا حتى لو كنت في ابعد نقطة من العالم . فنظرة الى وجه (جو) تجعل الرحلة الطويلة هذه مجدية . انت لاتبدين فرحة ياسيدتي فما الامر؟» قال (لوري) وهو يتبع (جو) الى زاوية من زوايا

الغرفة التي اجتمع فيها الجميع للترحيب بالسيد (لورنس) .

«لا اقر هذا الزواج وبالرغم من ذلك فقد عزمت على محاولة تحمله وعدم معارضته باي شكل من الاشكال» قالت (جو) بلهجة جادة

«انت لاتدرك كم يصعب علي التخلي عن (ميج)»

واصلت (جو) وقد اعترت صوتها رعشة واضحة .

«انك لن تتخلي عنها بل عن نصفها فقط»

قال (لوري) مواسياً .

«سوف لاتعود الامور على ماكنت عليه سابقاً .

فلقد فقدت اعز صديقة لي» تنهدت (جو) .

«لا ازال صديقاً لديك . قد لااكون افضل ماتطمحين الحصول عليه من الاصدقاء ولكنك ستجدينني الى جانبك طول الوقت وهذا وعد لن احنث فيه» قال (لوري) بجد واخلاص حقيقيين .

«ادرك ذلك وانا ممتنة لك . فانت اعظم سلوى بالنسبة لي يا (تيدي) اجابت (جو) وهي تشد على يده مصافحة .

«هيا يا (جو)! كفاك كآبة فكل شيْ على مايرام . (ميج) سعيدة للغاية وسيعمل (برووك) المستحيل لتهيئة جميع مستلزمات عشهما الصغير . وسيعمل جدي على مساعدته وسرعان ماسنرى (ميج) في بيتها السعيد . وبعد ذهابها سوف نقضي اوقاتاً ممتعة حيث سانتهي من دراستي الجامعية في وقت قصير جداً وعند ذاك سادعوك لمصاحبتي في رحلة خارج البلاد . الا تجدين في هذا عزاء كافياً؟»

«اجل انه لكذلك . ولكن قد تحدث امور كثيرة خلال فترة ثلاثة

اعوام – امر لايمكن لاحد التكهن بها ، قالت (جو) بتأمل .

«هذا صحيح . الا تتمنين ان تتمكني من القاء نظرة بعيدة المدى لتري اين يمكننا ان نكون في ذلك الوقت؟ اني اتمنى هذا الشيئ من كل قلبي » قال (لوري) .

«لا اتمنى ذلك مخافة ان ارى شيئاً محزناً . فالجميع سعداء كما ترى الآن ولا اظنهم سيكونون اكثر سعادة مما هم عليه الآن» قالت (جو) وهي تجول بنظرها في ارجاء الغرفة .

جلس الابوان وهما يعيشان مرة اخرى احداث اول فصل من فصول قصة حبهما التي بدأت قبل مايقرب من عشرين سنة مضت . وكانت (ايمي) منهمكة في رسم الحبيبين اللذين جلسا يسبحان في عالمهما الخاص الذي انعكس بريقه على وجهيهما – ذلك البريق الذي اخفقت يد الرسامة في تصويره استلقت (بيث) على الاريكة تتجاذب اطراف الحديث مع صديقها العجوز الذي امسك بيدها الصغيرة وكأنه شعر بان اليد هذه قد امتلكت القوة التي من شأنها ان تقوده الى الطريق الهادئ الذي كانت حاجتها تمشي فيه . اما (جو) فقبعت في مقعدها الواطئ المفضل وعلى وجهها تلك النظرة الهادئة ، الجادة التي تلائمها ، وقد اتكأ (لوري) على ظهر كرسيها وهو يبتسم ابتسامته الودودة المعروفة .

وهكذا تسدل الستارة على فتيان هذه العائلة – (ميج) ، (جو) ، (بيث) و (ايمي) . اما امر ارتفاعها ثانية فمقرون بما سيلقاه الفصل الاول من مسرحية «نساء صغيرات» من قبول .



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٤٠ لسنة ١٩٨٨





دار الحرية للطباعة

٦٥٠ فلساً